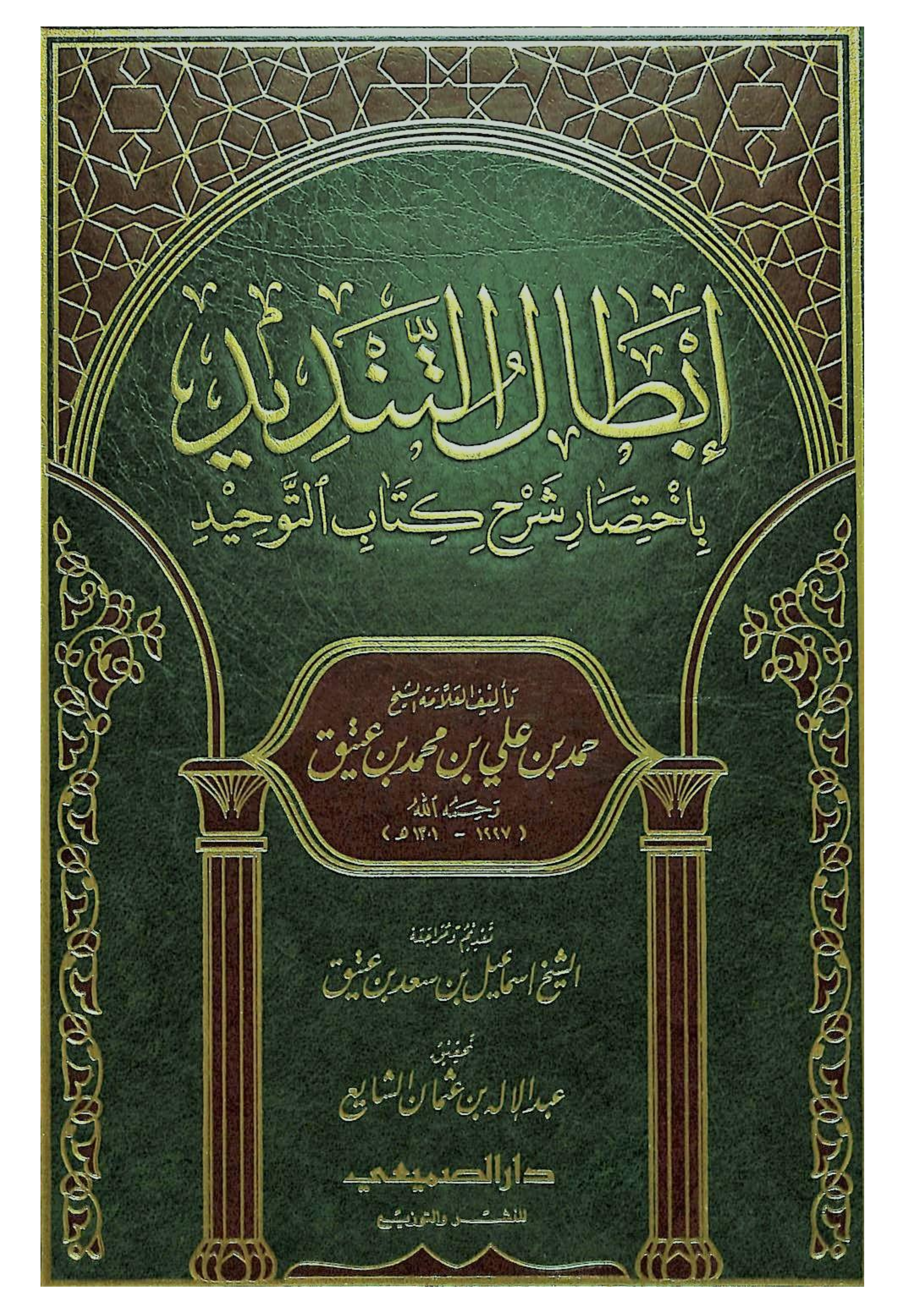

إبطال التنديد
باختصار شرح كتاب التوحيد
تأليف العلامة الشيخ
حمد بن علي بن محمد بن عتيق
رحمه الله
(١٢٢٧ - ١٣٠١ هـ)
تقديم ومراجعة
الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق
تحقيق
عبد الإله بن عثمان الشايع
دار الصميعي
للنشر والتوزيع

إبطال التنديد

باختصار شرح كتاب التوحيد

ح دار الصميعي للنشر والتوزيع ١٤٣٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
بن عتيق ، حمد علي
إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد/ حمد علي بن عتيق ، عبدالإله عثمان الشايع . ط٣/ الرياض، ١٤٣٢هـ
٣٥٦ ص، سم
ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٨٠٥٠-٢٥٠٥
١- التوحيد .أ. الشايع ، عبدالإله عثمان (محقق) ب- العنوان
ديوي: ٢٤٠ ١٤٣٣/٨٣٠٢
رقم الإيداع : ٢٤٠ ١٤٣٣/٨٣٠٢
ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٨٠٥٠-٢٥٠٥

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م
الصف والإخراج
دار الصميعي للنشر والتوزيع

دار الصميعي للنشر والتوزيع /
المملكة العربية السعودية الرياض ص. ب : ٤٩٦٧
الرمز البريدي ١١٤١٢ المركز الرئيسي : الرياض.
السويدي- شارع السويدي العام
ت: ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩، فاكس: ٤٢٤٥٣٤١
فرع القصيم : عنيزة - بجوار مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية ت: ٣٦٢٤٤٢٨
تلفاكس: ٣٦٢١٧٢٨ مدير التسويق ٠٥٥٥١٦٩٠٥١
daralsomaie@hotmail.com



تأليف العلامة الشيخ

حمد بن علي بن محمد بن عتيق

رحمه الله

(١٢٢٧ - ١٣٠١ هـ)

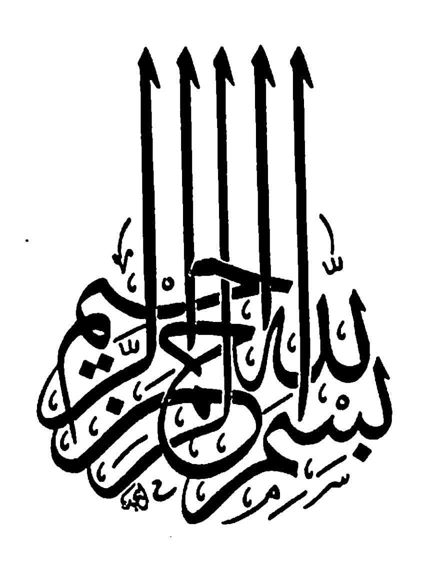
تقديم ومراجعة

الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق

تحقيق

عبد الإله بن عثمان الشايع

دار الصميعي
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ إسماعيل بن عتيق

الحمد لله على آلائه والصلاة والسلام على أنبيائه، وبعد :

فإن مما استأثر الله به وجعله محض حقه تعالى هو توحيده وطاعته والإخلاص في الأقوال والأعمال والاعتقاد له وحده . . . وقد أجملها تعالى في كلمة التوحيد : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران : ١٨]، وهي الكلمة التي تلقاها رسول الله ﷺ وصحابته وجعلوها منهج حياتهم في الاعتقاد والتشريع والمعاملة والسلوك والعبادة والأخلاق، فأقاموا بها دولة الإسلام وأسسوا بها حضارة العالم المستقبل، وظلت كذلك حتى عبث بمقوماتها أدعياء غرباء عن الإسلام وذلك بإحداث ما لم يأذن الله ورسوله به فزلت أقدامهم وضلت عقولهم وباؤوا بالخسران، فكان في سقوط الدولة العثمانية والقائمة باسم الخلافة الإسلامية حدث جلل أنبأ عن انهيار القيم وضياع التشريع وفقد القيادة الإسلامية الراشدة، ودليل ذلك أن الإسلام طورد في عواصمها وأزيح خمار الحياء ممن حكموها لولا أن الله حفظ دينه ببعث جديد ونشر فريد بظهور الدعوة السلفية والخطة المرضية، فكأن الأمر عاد أنف، والتاريخ أعاد نفسه بما سلف، فامتد شعاع الإسلام من الجزيرة العربية بصفاء، وأغارت جيوشه على الوثنية المحبوكة باسم الإسلام زورًا وبهتانًا، فظهرت البلاد المقدسة من ملامح الوثنية الكالحة، وذلك بهدم

القبور والمشاهد والمزارات المتعددة وسيلة عيش المنحرفين والزاهدين في حقيقة الإسلام، مما جعلهم يحملون على هذه الدعوة باسم الوهابية أو المذهب الخامس، أو الشيخ النجدي وما إلى ذلك . . . وفي قيام الدولة السعودية على هذا الأساس من الدين ظلت تحكم الجزيرة العربية حكمًا مباشرًا تنفذ فيه أحكام الله وشرعه.

و «كتاب التوحيد» للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، طراز جديد في تفهيم الناس مقاصد التوحيد إذ جعله على أبواب دائرية تنداح كل دائرة بأوسع من أختها.

فالدائرة الأولى : هو معرفة التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله.

والدائرة الثانية : تحقيق ذلك التوحيد.

والدائرة الثالثة : الخوف من الشرك بأنواعه.

والرابعة : حماية التوحيد.

والخامسة : حماية حمى التوحيد.

وتفسير ذلك كله في المؤلف الوجيز المسمى بـ«كتاب التوحيد» شرحه حفيده الأول سليمان بن عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتعقبه بالتهذيب والتحقيق الحفيد الثاني الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب . . ودرج على أثرهما تلميذهما الشيخ حمد بن عتيق لتلخيص ما ورد في الشرحين وزيادة ما استوضحه من معاني.

فها هو كتاب «إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد» نقدمه للقراء في طبعة أنيقة وحلية جديدة عسى أن يكون فيه خير عون على مستهل

فجر جديد لطالع سعيد ، وقد تفضل الأخ الكريم الأستاذ عبدالإله بن عثمان الشايع بمراجعة الكتاب ومقابلته على الأصول الخطية والمطبوعة وجرى تحقيقه وفق ما وفقه الله وأعانه عليه فهو نعم المولى ونعم النصير .

والله نسأل أن يوفق الناشر والكاتب والمستفيد وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

إسماعيل بن سعد بن عتيق

١١/ ٤/ ١٤٢٤هـ

مقدمة المحقق

الحمد لله الذي رضي الإسلام للمؤمنين دينًا، ونصب الأدلة على صحته وبينها تبيينًا، وغرس التوحيد في قلوبهم، فأثمرت بإخلاصه فنونًا، وأعانهم على طاعته هداية منه وكفى بربك هاديًا ومعينًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالحق شهيدًا ومبشرًا ونذيرًا، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا[1].

أما بعد، فهذا كتاب «إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد» للشيخ العلامة حمد بن عتيق (ت ١٣٠١) - رحمه الله تعالى -.

وقد تميز هذا الشرح عن غيره من الشروح بأمور كثيره منها:

١- اختصار عباراته، ودقة استنباطاته.

٢- أن هذا المختصر حفظ لنا تعليقات الشيخ سليمان بن عبدالله صاحب «تيسير العزيز الحميد» والذي لا يزال كتابه ناقصًا بعض الأبواب من أخره، وقد نقل لنا الشيخ حمد بن عتيق من نسخة الشارح، تعليقات له نفيسه علقها على نسخته ليست موجودة في «التيسير» الذي هو أصل هذا الكتاب «الإبطال»، فكان من الأولى - في ظني - أن توضع هذه التعليقات

---

(١) انظر: مقدمة الشيخ سليمان بن عبدالله لتيسير العزيز الحميد (ص/ ٣).

في مواضعها في النسخ المطبوعة من «تيسير العزيز الحميد» بدلاً من وضع أبواب من «فتح المجيد» والله أعلم.

٣- أن هذا المختصر من تأليف إمام عالم متمكن وخاصة في علم التوحيد.

٤- حوى هذا المختصر تعليقات وتعقبات نفيسه للشيخ حمد بن عتيق. وغير ذلك من الفوائد واللطائف والنفائس.

وقد تلخص عملي في هذا الكتاب في عدة أمور منها :

١- اثبت نص المخطوطة (أ) - والتي سيأتي وصفها بعد قليل.

٢- قابلت بعض المواضع المشكلة بين المخطوطة (أ)، والمخطوطة (س).

٣- قابلت الكتاب على النسخة المطبوعة بتحقيق شيخنا الشيخ إسماعيل بن عتيق.

٤- ترقيم الآيات القرآنية وعزوها إلى سورها.

٥- تخريج الأحاديث النبوية ونقل كلام العلماء عليها باختصار، وقد استفدت من عملي في كتاب «الدر النضيد على أبواب التوحيد» للشيخ سليمان بن حمدان (ت ١٣٩٧)(١).

٦- مقابلة متن كتاب التوحيد على ثلاثة نسخ مطبوعة.

٧- صنع فهارس للأيات القرآنية، والأحاديث النبوية والآثار، والأشعار، والفوائد، وأهم المراجع، والموضوعات.

---

(١) نشر دار الصميعي سنة ١٤٢٤هـ.

وصف النسخ المعتمدة :

النسخة الأولى :

وهي تقع في ٥٣ لوحة، في كل صفحة ما يقرب من ٢٤ سطرًا، نسخها إبراهيم بن عبدالله بن قريش، انتهى من نسخها في يوم الأربعاء، الموافق ١٤ / رجب / سنة ١٢٧٣هـ، وهي نسخة تامة واضحة الخط، محفوظة في مكتبة شيخنا الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق - حفظه الله -، حصلت عليها منه، وهذه النسخة جعلتها هي الأصل لأنها منسوخة على حياة المؤلف. ورمز هذه النسخة (أ).

النسخة الثانية :

وهي تقع في ٣٩ لوحة، عدد الأسطر ٢٤، مقاس ٢٤ × ١٨ سم، نسخها محمد بن إسحاق بن حمد بن عتيق - حفيد المؤلف - ، في سنة ١٣٤٢هـ، وهذه النسخة فيها الكثير من السقط، والتصحيف، لذلك لم استفد منها إلا في بعض المواضع فقط، وهي محفوظة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت رقم (٦٣٩٧)، ورمز هذه النسخة (س).

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق لما يحب ويرضى، وأن يغفر لي الخطأ والزلل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وكتب

أبو معاذ عبدالإله بن عثمان بن عبدالله الشايع

١٩/ ٤/ ١٤٢٤هـ

ص. ب ٢٣٠٩١، الرياض ١١٤٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

هذا تعليق على كتاب التوحيد تصنيف الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب أجزل
الله له الثواب وأدخله الجنة بغير حساب [illegible] من المنقولات وغالب
الأحاديث المنسوبات من شرح حفيده سليمان بن عبد الله رحمه الله وعفى عنه
فلهذا سميت هذا التعليق إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد وقد
انتهت مبيضة الشارح إلى باب من هزل بشيء فيه ذكر الله ووجدت
من مسودته إلى باب منكري القدر وبعضه نقل على نسخة ليست الأصل فيما بعد ذلك
ويسر الله إتمامه بما فيه فلله الحمد والمنة قوله بسم الله معنى اسم الإله كما قال ابن
عباس الذي له الإلهية والعبودية على خلقه أجمعين ذكره ابن جرير عنه قال
بعضهم وذكر في الزيادة في المبنى [illegible] الرحمن الرحيم
قال ابن عباس اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر أي أوسع رحمة قال
ابن القيم الرحمن دال على الصفة القائمة به والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم
فكان الأول للوصف والثاني للفعل فالأول دال على أن الرحمة صفته والثاني
دال على أنه يرحم خلقه برحمته انتهى غلط بعض المتأخرين في تفسير الرحمن بالموصوف
بكمال الإنعام والرحيم بكونه [illegible] الإنعام فإن ذلك مذهب
أهل التأويل الباطل من الجهمية المبتدعة ذكر معناه شيخنا الشيخ عبد الرحمن
بن حسن حفيد المصنف قوله كتاب التوحيد يسمى دين الإسلام
توحيدا لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له وواحد
في ذاته وصفاته لا نظير له وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له وإلى
هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذين جاءوا به من
عند الله وهي متلازمة كل نوع منها لا ينفك عن الآخر فمن أتى بنوع منها
ولم يأت بالآخر فما ذاك إلا لأنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب وإن
شئت قلت التوحيد نوعان توحيد في المعرفة والإثبات وهو توحيد
الربوبية والأسماء والصفات وتوحيد في الطلب والقصد وهو توحيد
الإلهية والعبادة ذكره شيخ الإسلام وابن القيم فأما توحيد الربوبية

صورة الورقة الأولى من النسخة (أ)

ولو كان من لغته لكان بالمعنى المعروف في الكتاب والسنة هو الذي يراد به
العاشر أن معنى الاستوى كان معلوما علما ظاهرا بين الصحابة والتابعين
وتابعيهم فيكون التفسير المحدث بعدهم باطلا قطعا وهذا قول يزيد بن هرون
الواسطي قال من قال ان الرحمن على العرش استوى خلاف ما تقرر في النفوس فهو جهمي
وقول مالك الاستوى معلوم ليس المراد ان هذا اللفظ في القران معلوم كما قال بعض
الناس استولى وانه سئل عن الكيفية وما كان جعله معلوما والسؤال عن نزول لفظ
الاستوى ليس بدعة ولا الكلام فيه فقد تكلم فيه بعض الصحابة والتابعين وانما البدعة
السؤال عن الكيفية ومنشا هذه الضلالات من سوء التخيلات انتهى كلام الشيخ ملخصا
وقد رد هذا التاويل ايضا من عشرين وجها وابطله ابن القيم رحمه الله وعفى عنه من اربعين طريقة
في كتاب الصواعق وكذا غيره من اهل العلم فرحمهم الله وعفى عنهم والحقنا بآثارهم انه
على كل شيء قدير تمت الكتاب بحمد الله تعالى [illegible] في ضحوة الاربعا
لعله رابع عشر من رجب [illegible]
بقلم الفقير الى الله تعالى ابراهيم بن عبد الله
[illegible] غفر الله له
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب احسن الله له المثاب واجزل له الثواب اصل دين الاسلام وقاعدته امران
الامر بعبادة الله وحده لا شريك له والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه الثاني الانذار عن الشرك
في عبادة الله والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله والمخالف في ذلك انواع فاشدهم مخالفة
من خالف في الجميع ومن الناس من عبد الله وحده ولم ينكر الشرك ولم يعاد اهله ومنهم من عاداهم ولم
يكفرهم ومنهم من لا يحب التوحيد ولم يبغضه ومنهم من كفرهم وزعم انه مسبة للصالحين ومنهم من لم
يبغض الشرك ولم يحبه ومنهم من لم يعرف الشرك ولم ينكره ومنهم من لم يعرف التوحيد ولم ينكره ومنهم وهو
اشد الانواع خطرا من عمل بالتوحيد ولم يعرف قدره فلم يعاد اهله ولم يبغض من تركه ولم يكفرهم
ومنهم من ترك الشرك وكرهه ولم يعرف قدره فلم يعاد اهله ولم يكفرهم وهؤلاء قد خالفوا ما جاءت به
الانبياء من دين الله سبحانه والله اعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

صورة الورقة الأخيرة من النسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم هذا تعليق على
كتاب التوحيد تصنيف الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب أجزل الله له الثواب وأدخله ا
الجنة بغير حساب وأكثر ما فيه من المنقولات وغالب الأحاديث المنسوبات من شرح حفيد
ه سليمان بن عبد الله رحمه الله وعفا عنه فلهذا سميت هذا التعليق ابطال التنديد باختصا
ر شرح التوحيد وقد انتهت مبيضة الشارح إلى باب من هزل بشيء فيه ذكر الله ور
جد من مسودته إلى باب منكر القدر ووجدت نقلا على نسخة له من الأصل لما بعد ذلك
ويسر الله تمام باقيه فلله الحمد والمنة قوله: بسم الله معنى الله لا إله كما قال ابن عباس ذو الأ
لوهية والعبودية على خلقه أجمعين ذكره ابن جرير عنه قال بعضهم وذكر في القرآن في ألفين
وثلاث مئة وستين موضعا الرحمن الرحيم قال ابن عباس اسمان رقيقان أحدهما أرق من
الآخر أي أوسع رحمة قال ابن القيم رحمه الله الرحمن دال على الصفة القائمة به والرحيم دال على
تعلقها بالمرحوم فكان الأول للموصوف والثاني للفعل فالأول دال على أن الرحمة صفته والثا
ني دال على أنه يرحم خلقه برحمته انتهى غلط بعض المتأخرين في تفسير الرحمن بكمال الإنعا
م والرحيم بما دون الكمال أو بإرادة الإنعام فإن ذلك مذهب أهل التأويل الباطل من
الجهمية المبتدعة ذكر معناه شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن حفيد المصنف قوله:
التوحيد يسمى دين الإسلام توحيدا لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأ
فعاله لا شريك له وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له وواحد في إلهيته وعبادته لا
ند له وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذي جاؤوا به من
عند الله وهي متلازمة كل نوع منها لا ينفك عن الآخر فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآ
خر فما ذاك إلا لأنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب وإن شئت قلت التوحيد نوعا
ن توحيد في المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات وتوحيد في
الطلب والقصد وهو توحيد الإلهية والعبادة ذكره شيخ الإسلام وابن القيم فأما تو
حيد الربوبية والملك فهو الإقرار بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ورازقه وأنه المحيي
المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار الذي له الأمر كله وبيده الخير كله و
يدخل فيه الإيمان بالقدر وأما توحيد الأسماء والصفات فهو الإقرار بأن الله على كل شيء
قدير وبكل شيء عليم وأنه سميع بصير وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم
والإيمان بما جاء في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات واعتقاد ذلك

على الحقيقة

صورة الورقة الأولى من النسخة (س)

خلق السموات وبعده علم أن الاستواء على العرش المناقض به غير الاستيلاء العام عليه وعلى
غيره ذكرت هذا الوجه بمعناه. السابع أنه لم يثبت أن لفظ الاستوى في اللغة بمعنى استولى إذ
الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور: ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق
ولم يثبت نقل صحيح أنه عربي ولا غيره وغير واحد من أئمة اللغة أنكره وقالوا إنه بيت مصنوع لا
يعرف في اللغة وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحتاج إلى صحته فكيف
ببيت من الشعر لا يعرف إسناده وقد طعن فيه أئمة اللغة وذكر أبو الحسن في كتاب الإفصاح قال
سئل الخليل هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى فقال هذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز
في لغتها وهو إمام في اللغة على ما عرف من حاله فحينئذ حمله على ما لا يعرف حمل باطل. الثامن أنه روي
عن جماعة من أهل اللغة أنه لا يجوز استوى بمعنى استولى إلا فيمن كان منازعا مغالبا فإذا غلب
أحدهما صاحبه قيل استولى والله لم ينازعه أحد. التاسع أنه لو ثبت أنه في لغة العرب لم
يجب أن يكون من لغة العرب العرباء ولو من لغة العرب العرباء لم يجب أن يكون من لغة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان من لغته لكان المعنى المعروف في الكتاب والسنة
هو الذي يراد به. العاشر أن معنى الاستوى كان معلوما على الظاهر بين الصحابة والتا
بعين وتابعيهم فيكون التفسير المحدث بعدهم باطلا قطعا وهذا قول يزيد بن هارون
الواسطي قال من قال الرحمن على العرش استوى خلاف ما يقر في النفوس فهو جهمي وقول مالك
الاستوى معلوم ليس المراد أن هذا اللفظ في القرآن معلوم كما قال بعض الناس استولى
وأنه يسأل عن الكيفية ومالك جعله معلوما والسؤال عن نزول لفظ الاستوى ليس
بدعة ولا الكلام فيه فقد تكلم فيه بعض الصحابة والتابعين وإنما البدعة
السؤال عن الكيفية ومنشأ هذه الضلالات من شؤم التخييلات
انتهى كلام الشيخ ملخصا وقد رد هذا البناء وبين السيف من
عشرين وجها وأبطله ابن القيم رحمه الله من أربعين طر
يقة في كتاب الصواعق وذكر غيرهم من أهل العلم
رحمهم الله وعفى عنهم وألحقنا بآثارهم إنه على كل
شيء قدير تمت بحمد الله بيد الفقير
إلى الله [illegible]
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين
وصلى الله على محمد في اليوم الثامن عشر
[illegible] سنة ١١٤٣
إن تجد عيبا فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا

صورة الورقة الأخيرة من النسخة (س)

ترجمة الشيخ حمد بن علي بن عتيق(*)

أعتقنا الله وإياه من النار

هـو الشـيخ العـالـم، العـامل، الورع، الزاهد، حـمـد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد بن حميضة.

ولد رحمه الله تعالى في بلد الزلفي - عام ١٢٢٧هـ - ونشأ بها وتعلم القـرآن، وتشبث بطلب العلم وهو في سن الصغر، وسـافر لطلب العلم وقـرأ على علمـاء نجـد، ومن أجلهـم المجدد الثاني الشيخ عبدالرحـمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، رحمهم الله تعالى.

وأخذ عنه العلم كثير من علمـاء نجد، من أشـهرهـم الشيخ العـلامة عبدالله بن الشيخ عبداللطيف، والشيخ العـلامة سليمـان بن سـحمـان وأبناؤه العلماء الأجلاء الشيخ سعد، والشيخ عبدالعزيز، والشيخ عبدالله، والشيخ عبداللطيف، والشيخ إسحاق وغيرهم.

وكان رحمه الله مشهوراً بالكرم والورع، والإقبال على العبادة، آمرًا بالمعروف، نـاهيًا عن المنكر، لا تأخـذه في الله لومة لائم. وقـد وقـع في نجد في زمنه فتن عظيـمة، فكان من أعـظم النـاس صبرًا وجهـادًا بسيفه ولسـانه، ولـم يأل جهدًا في التحريض على الجهاد الشرعي في تلك الفتن.

(*) بقلم فضيلة الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق.

وكانت بينه وبين الشيخ العالم العلامة عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن المكاتبات المشهورة المذكور غالبها في «مجموعة الرسائل النجدية».

وولاه الإمام فيصل رحمه الله تعالى قضاء بلد الدلم، المدينة المعروفة في الخرج، ثم نقله منها إلى الحلوة، في حوطة بني تميم، ومنها إلى الأفلاج وبها استقر حتى توفي سنة ١٣٠١هـ، إحدى وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة، ودفن ببلد العمار، وقبره معروف إلى الآن بها.

وله مؤلفات نافعة، منها: «إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد»، و «بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك»، و «الفرق المبين بين مذهب السلف وابن سبعين»، وله رسالة في نحو الكراستين في الرد على ابن دعيج في رسالته التي ضمنها تزكية الكفار وأئمة الردة ومسبة المسلمين وأنهم يكفرون من أقام ببلد المشركين وإن كان مظهراً للدين، وله غيرها من الرسائل الشيء الكثير.

وكان رحمه الله يقول الشعر، سريع البديهة، كتب إليه ابنه سعد في سفره لطلب العلم من الهند هذين البيتين:

لاكتساب العلم سافرنا ونرجو
أنه فتح وإقبال وبر
قلت يا قلبي فأرخ منهما
قال تأريخي له (يمن أغر)[1]

---

(١) مجموع الحروف الأبجدية، ١٣٠١هـ.

فلما وقع نظر والده عليهما أنشأ يقول:

يا إلهي لا تخيب سعيه
أوله التوفيق حقًا والظفر
واجعل العلم اللدني حظه
أوله فهم المنزل والأثر
اعطه رزقًا حلالاً واسعًا
كافيًا حاجاته في ذا السفر
اكفه جميع محذوراته
حادثات البر أيضًا والبحر

وقد رزقه الله من ذريته قرة أعين، فمنهم العلماء الفطاحل ومنهم العباد الزهاد الكرماء. فمن العلماء العالم العلامة الشيخ سعد، والعالم العابد الشيخ عبدالعزيز، والعالم العامل الشيخ عبدالله، والعالم الورع الشيخ عبداللطيف، والشيخ الذكي إسحاق، والعابد الورع علي، والزاهد العابد إسماعيل، وطالب العلم المجتهد محمد، والمشهور بالكرم والجود عبدالرحمن.

وقد رثاه العالم العلامة صاحب المؤلفات الكثيرة المفيدة الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى فقال:

على الحبر بحر العلم بدر المنابر
وشمس الهدى فليبكك أهل البصائر
وأية عين لا تشج بمائها
عليه كشج المعصرات المواطر
فلا نعمت يومًا ولا قلب قائي
خلي من الأشجان ليس بغائر
فوالهفًا من فادح جل خطبه
وثلم من الإسلام إحدى الفواقر
ورزء فظيع بل مريع ولائع
بشمس الهدى أضحى نزيل المقابر
يعز علينا أن نرى اليوم مثله
لحل عويص المشكلات البوادر
وللشبهات المعضلات وردها
إذا ما تبدت من كفور مقامر
فلله من حبر تصعد للعلا
فحل على هام النجوم الزواهر

ولله من حبر إمام وبلتع
يعوم بتيار من العلم زاخر[١]
يقفو لآثار النبي وصحبه
يجدد من منهاجهم كل داثر
ويحيي علامات من العلم قد عفت
ويعمر من بنيانه كل دامر
إمام تزيا بالعبادة فاستما
بها وارتقى مجداً سمي المظاهر
لقد كان أمًا في السماحة والندى
فليس له في عصره من مناظر
وفي الحلم قد أضحى لعمرك آية
وفي العلم ذو حظ أطيد ووافر[٢]
تقي نقي ألمعي مهذب
أريب رسيب الجاش ليس بطائر[٣]

إلى آخره . . .

---

(١) **البلتع** : الحاذق بكل شيء، **يعوم** : يسبح، **التيار** : موج البحر إذا هاج، [الشيخ إسماعيل].

(٢) **اطيد** : متمكن، [الشيخ إسماعيل].

(٣) **الأريب** : الماهر، **الرسيب من الرجال**: الحليم الثابت، [الشيخ إسماعيل].



إبطال التنديد

باختصار شرح كتاب التوحيد

تأليف العلامة الشيخ

حمد بن علي بن محمد بن عتيق

رحمه الله

(١٢٢٧ - ١٣٠١ هـ)

تقديم ومراجعة

الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق

تحقيق

عبد الإله بن عثمان الشايع



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مقدمة الشارح

[الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه][1].

هذا تعليق على «كتاب التوحيد» تصنيف الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، أجزل الله له الثواب، وأدخله الجنة بغير حساب، وأكثر ما فيه من المنقولات وغالب الأحاديث المنسوبات من شرح حفيده سليمان بن عبدالله رحمه الله وعفى عنه، فلهذا سميت هذا التعليق: «إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد» وقد انتهت مبيضة الشارح إلى «باب من هزل بشيء فيه ذكر الله» [ووجدت] من مسودته إلى «باب منكر القدر»، ووجد نقل على نسخة له من الأصل فيما بعد ذلك، ويسر الله تمام باقيه، فلله الحمد والمنة.

---

(١) من النسخة (س).



بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد

قوله : «بِسْمِ اللَّهِ» معنى الله : الإله، قال ابن عباس : الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، ذكره ابن جرير عنه، قال بعضهم : وذكر في القرآن في ألفين وثلاثمائة وستين موضعًا، «الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ» قال ابن عباس : اسمان دالان رقيقان أحدهما أرق من الآخر أي أوسع رحمة. قال ابن القيم رحمه الله : الرحمن دال على الصفة القائمة به، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته.

(تتمة) غلط بعض المتأخرين في تفسير الرحمن بكمال الإنعام، والرحيم بما دون الكمال، وبإرادة الإنعام، فإن ذلك مذهب أهل التأويل الباطل من الجهمية المبتدعة. ذكر معناه شيخنا الشيخ عبدالرحمن بن حسن حفيد المصنف.

قوله : **«كتاب التوحيد»** يسمى دين الإسلام توحيدًا لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلاهيته وعبادته لا ند له، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذي جاؤوا به من عند الله، وهي متلازمة كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر فما ذاك

إلا لأنه *لم يأت به على وجه الكمال* المطلوب، وإن شئت قلت التوحيد نوعان:

توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

وتوحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الإلهية والعبادة، ذكره شيخ الإسلام وابن القيم رحمهما الله.

فأما توحيد الربوبية والملك فهو الإقرار بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ورازقه وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله وبيده الخير كله، ويدخل فيه الإيمان بالقدر، وأما توحيد الأسماء والصفات فهو الإقرار بأن الله على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم وأنه سميع بصير، وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، والإيمان بما جاء في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات، واعتقاد ذلك على الحقيقة، فيوصف الرب تعالى بذلك من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، والله تعالى لا يشبهه شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

فأما الأول: فقد أقر به المشركون كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١]، وغير ذلك من الآيات.

وأما الثاني: فإنهم يقرون بجنسه وإن أنكر بعضهم بعضه جهلاً أو عناداً.

وأما الثالث: وهو توحيد الإلهية فهو مبني على إخلاص التأله لله من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والدعاء وجميع العبادات، ظاهرها وباطنها، وأن لا يجعل فيها شيء لغيره، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهما، وهذا التوحيد هو أول واجب على المكلف، وقد أفصح القرآن به كل الإفصاح، وأبدى فيه وأعاد، وضرب لذلك الأمثال بحيث أن كل سورة من القرآن فيها الدلالة على هذا النوع، وذلك لأنه الذي وقعت فيه الخصومة بين الرسل والأمم كما دل القرآن على ذلك، وهو الذي قصد المصنف رحمه الله تعالى بيانه، وإن كان كتابه مشتملاً على الثلاثة، قال ابن القيم رحمه الله[1]:

هذا وثاني نوعي التوحيد تو ... حيد العبادة منك للرحمن

أن لا تكون لغيره عبداً ولا ... تعبده بغير شريعة الإيمان

فتقوم بالإسلام والإيمان وا ... لإحسان في سر وفي إعلان

والصدق والإخلاص ركنا ... ذلك التوحيد كالركنين للبنيان

(١) الكافية الشافية (ص/ ٢٥٦).

إلا لأنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب، وإن شئت قلت التوحيد نوعان:

توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

وتوحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الإلهية والعبادة، ذكره شيخ الإسلام وابن القيم رحمهما الله.

فأما توحيد الربوبية والملك فهو الإقرار بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ورازقه وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله وبيده الخير كله، ويدخل فيه الإيمان بالقدر، وأما توحيد الأسماء والصفات فهو الإقرار بأن الله على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم وأنه سميع بصير، وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، والإيمان بما جاء في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات، واعتقاد ذلك على الحقيقة، فيوصف الرب تعالى بذلك من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، والله تعالى لا يشبهه شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

فأما الأول: فقد أقر به المشركون كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، وغير ذلك من الآيات.

وأما الثاني: فإنهم يقرون بجنسه وإن أنكر بعضهم بعضه جهلاً أو عنادًا.

وأما الثالث: وهو توحيد الإلهية فهو مبني على إخلاص التأله لله من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والدعاء وجميع العبادات، ظاهرها وباطنها، وأن لا يجعل فيها شيء لغيره، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهما، وهذا التوحيد هو أول واجب على المكلف، وقد أفصح القرآن به كل الإفصاح، وأبدى فيه وأعاد، وضرب لذلك الأمثال بحيث أن كل سورة من القرآن فيها الدلالة على هذا النوع، وذلك لأنه الذي وقعت فيه الخصومة بين الرسل والأمم كما دل القرآن على ذلك، وهو الذي قصد المصنف رحمه الله تعالى بيانه، وإن كان كتابه مشتملاً على الثلاثة، قال ابن القيم رحمه الله[١]:

هذا وثاني نوعي التوحيد تو ... **حيد العبادة منك للرحمن**

أن لا تكون لغيره عبداً ولا ... **تعبده بغير شريعة الإيمان**

فتقوم بالإسلام والإيمان وا ... **لإحسان في سر وفي إعلان**

والصدق والإخلاص ركنا ... **ذلك التوحيد كالركنين للبنيان**

---

(١) الكافية الشافية (ص/ ٢٥٦).

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قوله: «وقول الله تعالى». قال الشارح: يجوز في «قول الله» الرفع والجر، وهذا حكم ما يمر بك من هذا الباب[١].

قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: ومعنى الآية أن الله خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أحسن الجزاء، ومن عصاه عذبه وأخبر أنه غير محتاج إليهم. قال علي ابن أبي طالب: ألا لآمرهم أن يعبدون وأدعوهم إلى عبادتي. وقال مجاهد: ألا لآمرهم وأنهاهم، واختاره شيخ الإسلام، قال ويدل عليه قوله: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، قال الشافعي: لا يؤمر ولا ينهى وقوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧]، أي لولا عبادتكم إياه، وقال في القرآن في غير موضع: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾، فقد أمرهم بما خلقوا له، وأرسل الرسل إلى الجن والإنس بذلك، وهذا المعنى هو الذي قصد بالآية قطعًا، وهو الذي يفهم جماهير المسلمين ويحتجون بالآية عليه ويقرون أن الله إنما خلقهم ليعبدوه العبادة الشرعية وهي طاعته وطاعة رسله لا ليضيعوا حقه الذي خلقهم له.

وقال أيضًا: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، وقال ابن القيم: مدارها على خمس عشرة

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/ ٢٩).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

قاعدة من كملها كمل مراتب العبودية، و بيان ذلك أن العبادة منقسمة على القلب واللسان والجوارح، والأحكام التي للعبودية خمسة: واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح، وهذه لكل واحد من القلب واللسان والجوارح.

قال المصنف: وفي الآية الحكمة في خلق الجن والإنس.

قوله ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً﴾ [النحل: ٣٦]. أخبر تعالى أنه بعث في كل أمة أي في كل طائفة وقرن من الناس رسولاً بهذه الكلمة: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] أي اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة ما سواه؛ فلهذا خلقت الخليقة وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وهذه الآية هي أول واجب على المكلفين معرفتها؛ وهي معنى ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾؛ فإنها تضمنت النفي والإثبات كما تضمنته ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ ففي قوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ الإثبات، وقوله ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النفي. قاله الشارح(١).

وقال ابن القيم: وطريقة القرآن في مثل هذا أن يقرن النفي بالإثبات فينفي عبادة ما سوى الله ويثبت عبادته، وهذا هو حقيقة التوحيد؛ والنفي المحض ليس بتوحيد؛ وكذلك الإثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد إلا متضمنًا للنفي والإثبات. وهذا حقيقة ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾. انتهى.

(١) في التيسير (ص/ ٣٢).

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الآية [الإسراء: ٢٣].

قال المصنف رحمه الله: وفيها الحكمة في إرسال الرسل: وأن الرسالة عمَّت كل أمة، وأن دين الأنبياء واحد. ويأتي معنى الطاغوت في «باب السحر» عند كلام عمر وجابر.

وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الآية [الإسراء: ٢٣]، قال مجاهد: قضى يعني وصى وكذا قرأ أُبيّ بن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم. وقال ابن عباس: يعني أمر، رواه ابن جرير. وقوله ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ أي أن تعبدوه ولا تعبدوا غيره ممن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعًا، وهذه الآية هي معنى ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾، فإن قوله ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا﴾ هو معنى لا إله، وقوله ﴿إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ هو معنى إلا الله ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي وقضى أن تحسنوا بالوالدين إحسانًا كما قضى بعبادته وحده لا شريك له، وعطف حقهما على حق الله دليل على تأكد حقهما، وأنه أوجب الحقوق بعد حق الله. وهذا كثير في القرآن؛ يقرن حقه تعالى بحق الوالدين كقوله: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]، ولم يخص تعالى نوع من أنواع الإحسان ليعم جميع أنواع الإحسان.

وقد تواترت السنة عن النبي ﷺ بالأمر ببر الوالدين وتحريم عقوقهما ففي البخاري[١] عن ابن مسعود: قلت يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**»، قلت: ثم أي، قال: «**الجهاد في سبيل الله**» حدثني بهن ولو استزدته

---

(١) البخاري (٥٩٧٠).

لزادني، وفي الصحيحين[1] عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**»، قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**»، وكان متكئًا فجلس فقال: «**ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**»، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت.

وفي الترمذي عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**رضا الرب في رضا الوالدين، وسخطه في سخط الوالدين**» صححه ابن حبان والحاكم[2]. قال الشيخ تقي الدين: تجب طاعتهما فيما فيه نفع لهما ولو شق عليه.

قوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] قال ابن كثير: يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، فإنه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الحالات فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئًا من مخلوقاته.

قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ قال ابن كثير: يقول تعالى لنبيه ﷺ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله، وحرموا ما رزقهم الله؛ وقتلوا أولادهم، وكل ذلك فعلوه بآرائهم الفاسدة، وتسويل الشيطان لهم ﴿تَعَالَوْا﴾ أي هلموا وأقبلوا ﴿أَتْلُ﴾ أي أقص عليكم وأخبركم بما حرم

---

(١) البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

(٢) الترمذي (١٩٠٠)، وابن حبان (٢٠٢٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٠٠).

وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الآية [النساء: ٣٦].

وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الآيات [الأنعام: ١٥١].

قال ابن مسعود: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾[1] [الأنعام: ١٥٣].

ربكم عليكم حقًا لا تخرصًا ولا ظنًا، بل وحي منه، وأمر من عنده ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ وكأن في الكلام محذوف دلّ عليه السياق تقديره: *وصاكم أن لا تشركوا به شيئًا*. ولهذا قال في آخر الآية ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٥١] انتهى.

قال شيخنا: المعنى حرم عليكم هذا الذي نهاكم عنه وهو الإشراك بالله[2].

قوله: **«قال ابن مسعود»** قال بعضهم ما معناه: أي: من أراد أن ينظر إلى الوصية التي كأنها كتبت وختم عليها، ثم طويت فلم تغير ولم تُبدّل، وليس المراد أن النبي ﷺ كتبها وختم عليها.

---

(١) الترمذي (٣٠٧٠) وقال: حسن غريب، والطبراني في المعجم الكبير (١٠٠٦٠)، وفي الأوسط (١٢٠٨). قال الألباني: ضعيف الإسناد

(٢) فتح المجيد (١/ ٩٥).

قال الشارح[1]: وهذا الأثر رواه الترمذي وحسنه، وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني بنحوه. وقد روى عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات الثلاث؟**» ثم تلى قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] حتى فرغ من الآيات الثلاث، ثم قال: «**من وفى بهن فأجره على الله، ومن انتقص منهن شيئًا فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله، إن شاء آخذه وإن شاء عفى عنه**» رواه ابن أبي حاتم والحاكم وصححه[2].

قوله: «**على حمار**» قال المصنف: فيه تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف وجواز الإرداف على الدابة إذا كانت مطيقة.

قوله: «**أتدري**» أخرج السؤال بصيغة الاستفهام ليكون أوقع في النفس، وأبلغ في فهم المتعلم. قال شيخ الإسلام: كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل ليس هو استخقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق.

قوله: «**فقلت الله ورسوله أعلم**»، فيه الأدب للمتعلم، وأنه ينبغي لمن سئل عما لا يعلم أن يقول ذلك، بخلاف المتكلفين.

---

(١) (ص/ ٤٤).

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٣١٨) وإسناده ضعيف.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: «**يا معاذ: أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم؛ قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا**»، قلت: يا رسول الله: أفلا أبشر الناس؟ قال: «**لا تبشرهم فيتكلوا**» أخرجاه في الصحيحين[1].

قوله: «**أن يعبدوه**» أي أن يفردوه بالعبادة ولا يجعلوا له شريكًا في نوع منها وإن قل. قال بعض المحققين في قوله: «**أن يعبدوه**» يتضمن جميع أنواع التكاليف الشرعية. وقوله: «**ولا يشركوا به شيئًا**» يشمل قسمي الشرك الجلي والخفي؛ قوله: أفلا أبشر الناس؟ فيه استحباب بشارة المسلم بما يسره، قاله المصنف. قوله: «**لا تبشرهم فيتكلوا**». وفي رواية: «**إني أخاف أن يتكلوا**» أي يعتمدوا على ذلك فيتركوا التنافس في الأعمال الصالحة، وفي رواية: «**فأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا**» أي تحرجًا من الإثم.

تتمة: روى أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله: ابن آدم، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك**»[2]، وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى**

(١) البخاري (٢٨٥٦، ٧٣٧٣)، ومسلم (٣٠).

(٢) رواه أحمد (١٤/ ٣٢١/ ٨٦٩٦) ط الرسالة؛ وابن ماجه (٤١٠٧)؛ والترمذي (٢٤٦٦)؛ وابن حبان (٣٩٣)؛ وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٥٩).

إني والجن والإنس في نبأ عظيم: أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويُشكر سواي» رواه الطبراني في مسند الشاميين، والحاكم في تاريخه والبيهقي في شعب الإيمان[1].

* * *

فيه مسائل

الأولى : الحكمة في خلق الجن والإنس.

الثانية : أن العبادة هي التوحيد، لأن الخصومة فيه.

الثالثة : أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله: ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣، ٥].

الرابعة : الحكمة في إرسال الرسل.

الخامسة : أن الرسالة عمّت كل أمة.

السادسة : أن دين الأنبياء واحد.

السابعة : المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٦].

الثامنة : أن الطاغوت عام في كل ما عُبد من دون الله.

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٢/ ١١/ ١)، وابن عساكر (٥/ ٣٥٠/ ١) من طريق الطبراني وهو في مسند الشاميين (٣/ ٩٣/ ٩٧٤)، والحديث ضعفه العلامة الألباني. انظر: الضعيفة (٢٣٧١).

التاسعة : عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، و فيها عشر مسائل، أولاها النهي عن الشرك.

العاشرة : الآيات المحكمات في سورة الإسراء وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها الله بقوله: ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولاً﴾ [الإسراء: ٢٢]. وختمها بقوله: ﴿وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]. ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩].

الحادية عشرة : آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى بقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

الثانية عشرة : التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته.

الثالثة عشرة : معرفة حق الله علينا.

الرابعة عشرة : معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه.

الخامسة عشرة : أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة : جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة : استحباب بشارة المسلم بما يسره.

الثامنة عشرة : الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة : قول المسؤول عما لا يعلم: الله ورسوله أعلم.

العشرون : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادية والعشرون : تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون : جواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق ذلك.

الثالثة والعشرون : فضيلة معاذ بن جبل رضي الله عنه.

الرابعة والعشرون : عظم شأن هذه المسألة.

(١)

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ الآية [الأنعام: ٨٢]. عن عُبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ:

ولما ذكر المصنف رحمه الله التوحيد ناسب أن يذكر فضله، وأنه يكفر الذنوب فقال: «**باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب**» أي بيان فضله وتكفيره للذنوب. فـ«ما» مصدريه، ويجوز أن تكون موصولة، والعائد محذوف، أي والذي يكفره من الذنوب.

قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، أي الذين وحدوا الله ولم يخلطوا توحيدهم بشرك أولئك لهم الأمن، والأمن أمنان: أمن مطلق وأمن مقيد، فالأول هو الأمن من العذاب، وهو لمن مات على التوحيد ولم يصر على الكبائر. والثاني هو لمن مات على التوحيد مع الإصرار على الكبائر، فله الأمن من الخلود في النار، ففرق بين الأمن المطلق ومطلق الأمن. قال الحسن والكلبي: لهم الأمن في الآخرة، وهم مهتدون في الدنيا.

وروى أحمد عن ابن مسعود قال: لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على

«من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده

أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله فأينا لم يظلم نفسه؟ قال: «إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، إنما هو الشرك»[١].

قال شيخ الإسلام: ليس مراد النبي ﷺ بقوله: «إنما هو الشرك» أن من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام، فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف، لم يحصل لهم الأمن التام والاهتداء التام إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من غير عذاب يحصل لهم، بل معهم أصل الاهتداء إلى هذا الصراط، وأصل نعمة الله عليهم، ولا بد لهم من دخول الجنة.

وقوله: «إنما هو الشرك» إن أراد به الأكبر فمقصوده أن من لم يكن من أهله فهو آمن مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة وهو مهتد إلى ذلك، وإن كان مراده جنس الشرك فيقال: ظلم العبد لنفسه كبخله ببعض الواجب لحب المال وهو شرك أصغر، وحبه ما يبغض الله حتى يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر ونحو ذلك، فاته من الأمن والاهتداء بحسبه، ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار، انتهى.

فظهرت مطابقة الآية للترجمة، وذلك أن من مات على التوحيد فله الأمن على ما تقدم بخلاف غيره من الأعمال مع عدمه.

---

(١) رواه البخاري (٣٢)، ومسلم (١٢٤)، والإمام أحمد (٦/ ٦٩/ ٣٥٨٩) ط الرسالة.

ورسوله، وأن عيسى عبدُ الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»

قوله: «**من شهد أن لا إله إلا الله**» أي من شهد أن لا معبود بحق إلا الله؛ وقام بوظائف هذه الكلمة من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله وتبرأ من كل المعبودات سواه، سواء كان ذلك المعبود نبيًا أو غيره، وأن محمدًا عبده ورسوله الصادق المصدوق أفضل الرسل، فهو عبدالله ورسوله، أوجب الله تعالى على الخلق طاعته، ونهى عن عبادته، وأمر بإخلاص العبادة لله بجميع أنواعها كما قال ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾ [النساء: ٣٦] وليس المراد أن الإنسان إذا شهد بهذا من غير عمل بمقتضاه يحصل له دخول الجنة، بل المراد به الشهادة لله بالتوحيد، والعمل بما تقتضيه شهادة أن ﴿لا إله إلا الله﴾ من الإخلاص، وما تقتضيه شهادة أن محمدًا عبده ورسوله من الإيمان به وتصديقه واتباعه.

وقوله: «**وأن عيسى عبد الله ورسوله**»، هذا تعريض بالنصارى وإيذان بأن إيمانهم مع القول بالتثليث شرك محض لا يخلصهم من النار. وقوله «**ورسوله**» تعريض باليهود في إنكارهم رسالته، وانتماؤهم إلى ما لا يحل من قذفه وقذف أمه. وفي رواية «**وابن أمته**» وهو تعريض بالنصارى أيضًا، وتقرير لعبوديته أي هو عبد الله وابن أمته فكيف تنسبونه إليه عز وجل؟

قوله «**وكلمته**» إنما سُمي عيسى (كلمة الله) لصدوره بكلمة كن بلا أب قاله قتادة وغيره من السلف. وقوله «**ألقاها إلى مريم**» أي أرسل بها

أخرجاه(١). ولهما في حديث عِتْبَان: «**فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»(٢). وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**قال موسى: يا رب علمني شيئاً**

جبريل إليها فنفخ فيها من روحه بإذن ربه. قوله «**وروح منه**» قال أبيّ بن كعب: عيسى روح من الأرواح التي خلقها الله عز وجل واستنطقها بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] بعثه الله إلى مريم فدخل فيها. رواه عبد بن حميد وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم(٣).

قوله: «**والجنة حق والنار حق**» أي وشهد أن الجنة التي أخبر الله في كتابه أنه أعدها لمن آمن به وبرسله ثابتة لا شك فيها، وأن النار التي أخبر الله في كتابه أنه أعدها للكافرين به وبرسله، حق كذلك.

قوله: «**أدخله الله الجنة**» فيه أن عصاة الموحدين لا يخلدون في النار، وأنه تعالى يعفو عن السيئات قبل التوبة والعقوبة. قال النووي رحمه الله: هذا حديث عظيم القدر، جليل الموقع. وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد، فإنه ﷺ جمع فيه ما يخرج من ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدهم، فاقتصر ﷺ في هذه الأحرف على ما يباين جميعهم، انتهى.

(١) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).
(٢) رواه البخاري (٤٢٥، ٦٦٧، ٦٩٣٨)، ومسلم (٣٣، ٦٥٧).
(٣) رواه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند (٢١٢٢٤).

أذكرك وأدعوكَ به»، قال: «قل يا موسى: لا إله إلا الله، قال: كل عبادك يقولون هذا؟ قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفةٍ، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله» رواه ابن حبان والحاكم وصححه[1].

قوله: «**في حديث عِتبان**» - بكسر المهملة وسكون المثناة الفوقية بعدها موحدة - قوله: «**يبتغي بذلك وجه الله**» كقوله: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله حرم الله عليه النار**» ونحوه، وكالأحاديث التي فيها أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة. قال شيخ الإسلام وغيره: هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة، وقالها مخلصًا من قلبه، مستيقنًا بها قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين، فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة، فمن شهد أن ﴿لا إله إلا الله﴾ خالصًا من قلبه دخل الجنة، لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحًا فإذا مات على تلك الحال نال ذلك، انتهى.

وقال الحسن: معنى هذه الأحاديث من قال هذه الكلمة وأدى حقها وفريضتها. وقيل إن ذلك لمن قالها عند الندم والتوبة ومات على ذلك. وهذا قول البخاري. وقال ابن المسيب: كان هذا قبل أن تنزل الفرائض والأمر والنهي. قال بعض المحققين: قد يتخذ أمثال هذه الأحاديث البطلة

(١) رواه ابن حبان (٦٢١٨)، والحاكم (١/ ٥٢٨)، وصححه ووافقه الذهبي، وابن حجر في الفتح (١١/ ٢٠٨).

وللترمذي - وحسَّنه - عن أنس: سمعت رسول الله ﷺ

والمباحية ذريعة إلى طرح التكاليف ورفع الأحكام، وإبطال الأعمال معتقدين أن الشهادة وعدم الإشراك كاف، وربما يتمسك بها المرجئة، وهذا الاعتقاد يستلزم طي بساط الشريعة وإبطال الحدود والزواجر السمعية. ويوجب أن يكون التكليف بالترغيب في الطاعات والتحذير عن المعاصي والجنايات غير متضمن طائلاً بل يقتضي الانخلاع عن ربقة الدين والملة والانسلال عن قيد الشريعة والحكمة والسنة والولوج في الخبط والخروج عن الضبط، انتهى. وروى حديث عتبان أحمد والنسائي وابن ماجه والبيهقي في الأسماء والصفات.

قوله: «**عن أبي سعيد**» اسمه سعد بن مالك بن سنان الأنصاري، هو وأبوه صحابيان. قوله: «**أدعوك**» أي أثني عليك وأتوسل إليك. قوله: «**كل عبادك يقولون هذا**» في سنن النسائي والحاكم وشرح السنة بعده «**إنما أريد شيئًا تخصني به**».

قوله: «**وعامرهن**» أي لو أن السموات السبع ومن فيهن من العمار غير الله؛ والأرضين السبع ومن فيهن؛ وُضعوا في كفة الميزان؛ و ﴿**لا إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ**﴾ في الكفة الأخرى؛ مالت بهن ﴿**لا إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ**﴾. أي رجحت عليهن؛ وذلك لما اشتملت عليه من توحيد الله الذي هو أساس الملة ورأس الدين؛ وأفضل الأعمال. قال ابن القيم رحمه الله: فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها؛ وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض.

يقول: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة**»[١].

قوله: «**وللترمذي**» اسمه محمد بن عيسى. قوله: «**بقراب الأرض**» بضم القاف وكسرها، والضم أشهر، وهو ملؤها أو ما يقارب ملؤها.

قوله: «**ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا**» قال شيخ الإسلام: الشرك نوعان: أكبر وأصغر. فمن خلص منهما وجبت له الجنة، ومن مات على الأكبر وجبت له النار، ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة، فإن تلك الحسنات توحيد كثير مع يسير من الشرك الأصغر. ومن خلص من الأكبر ولكن كثر الأصغر حتى رجحت به سيئاته دخل النار. فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر أو كان كثيرًا أصغر، والأصغر القليل في جانب الإخلاص الكثير لا يؤاخذ به، انتهى.

ومثل حديث أنس حديث أبي ذر عند الإمام أحمد عن أبي معاوية عن الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: من عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئًا جعلت له مثلها مغفرة**»[٢].

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٣٤) وقال: حديث حسن غريب، وأحمد (٥/ ١٥٤، ١٧٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٧، ١٢٨).
(٢) رواه مسلم (٢٦٨٧).

فيه مسائل

الأولى : سعة فضل الله .

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب .

الرابعة : تفسير الآية التي في سورة الأنعام .

الخامسة : تأمل الخمس اللواتي في حديث عُبادة .

السادسة : أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول ﴿لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ﴾ وتبين لك خطأ المغرورين .

السابعة : التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان .

الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل ﴿لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ﴾ .

التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات ، مع أن كثيرًا ممن يقولها يخف ميزانه .

العاشرة : النص على أن الأرضين سبع كالسموات .

الحادية عشرة : أن لهن عُمارًا .

الثانية عشرة : إثبات الصفات خلافًا للأشعرية .

الثالثة عشرة : أنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله في حديث عتبان : «**فإن الله حرم على النار من قال لا**

إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» أنه تَركُ الشرك، ليس قولها باللسان.

الرابعة عشرة : تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - عبدَي الله ورسولَيْه.

الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله.

السادسة عشرة : معرفة كونه روحًا منه.

السابعة عشرة : معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة : معرفة قوله ﷺ **«على ما كان من العمل»**.

التاسعة عشرة : معرفة أن الميزان له كفتان.

العشرون : معرفة ذكر الوجه.

(٢)

باب مَنْ حقَّق التوحيد دخلَ الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩].

قال شيخنا[١]: تحقيقه تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي. وقال الشارح[٢]: هو معرفته والاطلاع على حقيقته، والقيام بها علمًا وعملاً.

قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ وجه مطابقة الآية للترجمة أن الله وصف إبراهيم بهذه الصفات التي هي أعلا مراتب تحقيق التوحيد، فمن اتبع إبراهيم فيها دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

الأولى: أنه كان أمة، أي قدوة، معلمًا للخير. روي عن ابن مسعود معناه.

الثانية: كونه قانتًا أي خاشعًا مطيعًا دائمًا على عبادة ربه وطاعته. قال الشيخ تقي الدين بن تيمية: القنوت في اللغة دوام الطاعة.

---

(١) فتح المجيد (١/ ١٥٥).

(٢) تيسير العزيز (ص/ ٧٤).

عن حصين بن عبدالرحمن قال: «كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلتُ: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدغْتُ، قال: فما صنعت؟

الثالثة: كونه حنيفًا أي مائلاً عن الشرك قصدًا إلى التوحيد. وقال ابن القيم: الحنيف المقبل على الله، المعرض عن كل ما سواه. ذكره شيخنا.

الرابعة: أنه ما كان من المشركين لا في القول ولا في العمل ولا في الاعتقاد.

قال المصنف: أمة لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين. قانتًا لله لا للملوك ولا للتجار المترفين. حنيفًا لا يميل يمينًا ولا شمالاً كفعل العلماء المفتونين، ولم يك من المشركين خلافًا لمن كثر سوادهم وزعم أنه من المسلمين.

قوله: ﴿**وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ**﴾، قال ابن كثير: أي لا يعبدون معه غيره بل يوحدونه ويعلمون أنه ﴿**لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ أحد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأنه لا نظير له، وهذا هو تحقيق التوحيد.

قوله: «**عن - حصين بن عبدالرحمن -**» الحديث رواه البخاري مختصرًا ومطولاً، ومسلم واللفظ له والترمذي والنسائي. قوله «**انقض**»: أي سقط.

قوله: «**إني لم أكن في صلاة**». خاف أن يظن السامع أنه يصلي. قوله: «**حديث**»: بالرفع فاعل بفعل محذوف أي حملني حديث. قوله:

قلت: ارتقيت، قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديثٌ حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بُرَيْدَة بن الحُصَيب أنه قال: لا رقية إلا من عَيْن أو حُمَة. قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع. ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**عُرضت عليَّ الأمم. فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رُفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومُه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي:**

«**لا رقية إلا من عين أو حمة**» هذا الحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث عمران بن حصين أيضًا. والحمة: السم، والمعنى لا رقية أنفع وأولى من رقية المعيون أي المصاب بالعين، ورقية من لدغه ذي حمة.

قوله: «**قد أحسن من انتهى إلى ما سمع**»، أي من أخذ بما بلغه من العلم وعمل به فقد أحسن، لأنه أدّى ما عليه بخلاف من يعمل بجهل أو لا يعمل بعلمه.

قوله: «**عُرضت عليّ الأمم**» في رواية الترمذي والنسائي من رواية بشر عن حصين بن عبدالرحمن أن ذلك كان ليلة الإسراء. وقوله: «**الرهط**» قال النووي: الجماعة دون العشرة.

قوله: «**ومعهم سبعون ألفًا**» أي ومن جملتهم سبعون ألفًا، وليس المراد أنهم ليسوا في الذين عُرضوا حينئذ كما توهمه بعضهم. قوله: فخاض الناس في أولئك، أي في أعمال هؤلاء السبعين الألف التي بلّغتهم دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب.

هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب»، ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلدوا في الإسلام فلم يُشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: «**هم الذين لا**

قوله: فقال «**هم الذين لا يسترقون**» وفي رواية لمسلم «**ولا يرقون**» قال شيخ الإسلام هذه الزيادة وَهمْ من الراوي، لم يقل النبي ﷺ: «**لا يرقون**» لأن الراقي محسن إلى أخيه، وقد رقي أصحابه، ورقاه جبريل، والفرق بين الراقي والمسترقي أن المسترقي سائل مستعطف ملتفت إلى غير الله بقلبه، والراقي محسن، وإنما المراد وصف السبعين الألف بتمام التوكل فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا يكويهم، ولا يتطيرون، انتهى ملخصًا.

قوله: «**ولا يكتوون**» أي لا يسألون غيرهم أن يكويهم، قال ابن القيم: تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع. **أحدها:** فعله. **والثاني:** عدم محبته له. **والثالث:** الثناء على من تركه. **والرابع:** النهي عنه. ولا تعارض بينهما بحمد الله. فإن فعله يدل على جوازه، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه، وأما الثناء على تاركه فيدل على أن تركه أولى وأفضل، وأما النهي عنه فعلى سبيل الاختيار والكراهة.

قوله: «**وعلى ربهم يتوكلون**»، ذكر الأصل الجامع الذي تفرغت عنه هذه الأفعال وهو التوكل الذي هو تحقق التوحيد، ولا يدل الحديث على مدح ترك الأسباب، بل هو مذموم شرعًا وعقلاً وعادة، والتوكل من

يَسْتَرقُونَ ولا يَكْتَوُونَ ولا يَتطيَّرون، وعلى ربهم يتوكلون»، فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت منهم»، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عُكاشة»[١].

أعظم الأسباب فإنه سبب لوقاية الله وكفايته لقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

قوله: عُكاشة بضم العين المهملة وتشديد الكاف، ويجوز تخفيفها ومحصن بكسر الميم وبسكون الحاء وفتح الصاد المهملتين.

قوله: «**سبقك بها عكاشة**» قال ابن بطال: أي سبقك إلى إحراز هذه الصفات أي التوكل وما ذكر معه، وقال القرطبي: لم يكن عند الثاني من الأحوال ما كان عند عكاشة، فلذلك لم يجبه إذ لو أجابه لجاز أن يطلب ذلك من كان حاضراً فيتسلسل الأمر؛ فسدَّ الباب بذلك؛ وهذا أولى من قول من قال: كان منافقًا لأن الأصل في الصحابة عدم النفاق، وقلَّ أن يصدر مثل هذا إلا عن قصد صحيح. قال الشارح: هذا أولى ما قيل فيه، وإليه مال شيخ الإسلام[٢].

وقال المصنف: فيه استعمال المعاريض.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٥، ٥٧٥٢) مطولاً، و (٣٤١٠) مختصراً، ومسلم (٢٢٠).

(٢) تيسير العزيز (ص/ ٨٧).

فيه مسائل

الأولى : معرفة مراتب الناس في التوحيد.
الثانية : ما معنى تحقيقه.
الثالثة : ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يَكُ من المشركين.
الرابعة : ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.
الخامسة : كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد.
السادسة : كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.
السابعة : عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.
الثامنة : حرصهم على الخير.
التاسعة : فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية.
العاشرة : فضيلة أصحاب موسى.
الحادية عشرة : عرض الأمم عليه، عليه الصلاة والسلام.
الثانية عشرة : أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها.
الثالثة عشرة : قلة من استجاب للأنبياء.
الرابعة عشرة : أن من لم يجبه أحد يأتي وحده.
الخامسة عشرة : ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد في القلة.

السادسة عشرة : الرخصة في الرقية من العين والحُمَة .
السابعة عشرة : عمق علم السلف لقوله : «قد أحَسن من انتهى إلى ما سمع ولكن كذا وكذا» ، فعُلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني .
الثامنة عشرة : بُعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه .
التاسعة عشرة : قوله ﷺ : «**أنت منهم**» علم من أعلام النبوة .
العشرون : فضيلة عكاشة .
الحادية والعشرون : استعمال المعاريض .
الثانية والعشرون : حسن خلقه ﷺ .

(٣)

باب الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

لما كان الشرك أعظم الذنوب وأقبح القبائح، لأنه تنقيص لرب العالمين ولهذا رتب الله عليه من العقوبات ما لم يرتبه على غيره كقوله: ﴿مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، ذكر المصنف رحمه الله أنه ينبغي للمؤمن أن يخاف منه، ويعرف أسبابه ومبادئه، لعل الله أن يعافيه من هذا الذنب العظيم، وقد روى البخاري عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه[1].

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ قال ابن كثير: أخبر تعالى أنه لا يغفر أن يُشرك به أي لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: من الذنوب لمن يشاء من عباده. انتهى. وفي الآية رد على الخوارج المكفرين بالذنوب؛ وعلى المعتزلة أصحاب المنزلة بين المنزلتين، ووجه ذلك أن الله جعل مغفرة ما دون الشرك معلقة بالمشيئة، ولا يجوز أن يحمل ذلك على التائب، فإنه لا فرق في حقه بين الشرك وغيره، كما قال

---

(١) رواه البخاري (٣٦٠٦).

وقال الخليل ﷺ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»،

تعالى في الآية الأخرى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، فهنا عمم وأطلق، لأن المراد به التائب، وهناك خصّ وعلق لأن المراد به من لم يتب، قاله شيخ الإسلام.

قوله: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾، أي اجعلني وبني في جانب عن عبادة الأصنام وإنما دعا بذلك لأنه رأى أكثر الناس افتتن بها لقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟ رواه ابن جرير وابن أبي حاتم(١).

قوله: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» الحديث رواه أحمد عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء»، يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: «اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»، وإذا كان الأصغر مخوفًا على الصحابة مع كمال إيمانهم فينبغي لك أن تخاف من الأكبر لضعف الإيمان، هذا وجه مطابقة الحديث للباب، وإن كان يشمل النوعين.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٣/ ٦٨٧-٦٨٨) تحقيق الدكتور عبدالله التركي.

فسئُل عنه؟ فقال: «**الرياء**»[1]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وهو يدعو لله ندًا دخل النار**» رواه البخاري[2]. ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار**»[3].

قوله: «**من مات وهو يدعو لله ندًا**» قال ابن القيم: الند الشبيه، يقال فلان ند فلان وهو نديده أي شبيهه ومثله.

قوله: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة**»، قال القرطبي: أي من لم يتخذ معه شريكًا في الإلهية ولا في الخلق ولا في العبادة، ومن المعلوم من الشرع المُجمع عليه عند أهل السنة أن من مات على ذلك، فلا بد له من دخول الجنة، وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والمحنة، وإن من مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة، ويخلد في النار أبد الآباد من غير انقطاع عذاب ولا تصرم آماد، وقال غيره: اقتصر على نفي الاشراك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم، إذ من كذَّب رسول الله فقد كذَّب الله، ومن كذَّب الله فهو مشرك.

***

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٥١).

(٢) رواه البخاري (٤٤٩٧، ٦٦٨٣)، ومسلم (٩٢) باختلاف في ألفاظه.

(٣) رواه مسلم (٩٣)، وأحمد (٣/ ٣٢٥، ٣٤٥، ٣٧٤).

فيــــه مســـــائل

الأولـــــى : الخوف من الشرك.

الثانيـــــة : أن الرياء من الشرك.

الثـالثـــة : أنه من الشرك الأصغر.

الـرابعــــة : أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين.

الخـامســـة : قرب الجنة والنار.

الســادســـة : الجمع بين قربهما في حديث واحد على عملٍ واحدٍ متقارب في الصورة.

الســابعـــة : أنه من لقيه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار ولو كان من أعبد الناس.

الثــامنــة : المسألة العظيمة، سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام.

التـاسـعــة : اعتباره بحال الأكثر لقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

العــاشـــرة : فيه تفسير ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ كما ذكره البخاري.

الحادية عشرة : فضيلة من سلم من الشرك.

(٤)

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ الآية [يوسف: ١٠٨].

أراد رحمه الله أنك إذا عرفت التوحيد وفضله، وخفت من ضده، فادع إلى التوحيد وانه عن الشرك كما هي طريقة المنعم عليهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، أي قل يا محمد للناس هذه سبيلي أي طريقتي وسنتي، الدعوة إلى الله على بصيرة، وهذه طريقة أتباعه ﷺ، والبصيرة: العلم والبرهان. ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أي وأعظم الله وأجلّه وأمجده وأنزهه عن أن يكون له شريك في إلهيته وعبادته، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. وفي قوله ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ وجهان:

أحدهما: أن يكون عطفًا على الضمير المتصل في ﴿أَدْعُو﴾، أي أدعو إلى الله ومن اتبعني يدعو إلى الله.

والثاني: أن يكون عطفًا على الضمير المنفصل وهو قوله ﴿أَنَا﴾ قاله الشارح.

قوله: «**لما بعث معاذًا إلى اليمن**»، قال ابن حجر: كان بعث معاذ إلى اليمن سنة عشر قبل حج النبي ﷺ. انتهى. قوله: «**من أهل**

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أولَ ما

الكتاب» أي اليهود والنصارى لأنهم كانوا فيه أكثر وأغلب من مشركي العرب. قوله: وفي رواية **«إلى أن يوحدوا الله»** أشار المصنف رحمه الله بإيراد هذه الرواية إلى التنبيه على معنى ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾، إذ معناها توحيد الله بالعبادة. قوله: **«خمس صلوات»** فيه دليل على أن الوتر ليس بواجب، لأن هذا كان آخر الأمر؛ قوله: **«كرائم»** جمع كريمة أي نفيسة؛ قوله: **«اتق دعوة المظلوم»** أي احذرها، واجعل بينك وبينها وقاية، قوله: **«فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»** أي ترفع إلى الله. وروى أحمد عن أبي هريرة مرفوعًا: **«دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرًا ففجوره على نفسه»**[١]، قال الحافظ: إسناده حسن.

ثم اعلم أنه لم يذكر الصيام والحج في هذا الحديث ونحوه مع أنه متأخر فأشكل ذلك على كثير من العلماء، قال الشيخ تقي الدين: أجاب بعضهم بأن بعض الرواة اختصره، وليس كذلك لأنه طعن في الرواة، ومثل هذا لا يقع في حديثين؛ فأما الواحد فربما وقع ذلك فيه كحديث عبدالقيس حيث ذكر بعضهم الصيام وبعضهم لم يذكره؛ ولكن عن هذا جوابان:

أحدهما: أن هذا بحسب نزول الفرائض.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٦٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٧٦٧).

تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله (وفي رواية: إلى أن يوحِّدوا الله) فإن هم أطاعوك لذلك فأعلِمْهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلةٍ، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» أخرجاه[1].

والثاني: أنه كان يذكر في كل مقام ما يناسبه فيذكر تارة الفرائض التي يقاتل عليها كالصلاة والزكاة؛ وتارة يذكر الصلاة والصيام لمن ليس عليه زكاة، وإذا ذكر الصلاة والزكاة والصيام فإما أن يكون قبل فرض الحج كما في حديث عبدالقيس ونحوه وإما أن يكون المخاطب لا حج عليه، وأما الصلاة والزكاة فلهما شأن ليس لسائر الفرائض، ولهذا ذكر الله في كتابه القتال عليهما لأنهما عبادتان ظاهرتان في قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: ١٨] بخلاف الصوم فإنه أمر باطن؛ وهو ﷺ يذكر في الإعلام الأعمال التي يقاتل عليها الناس ويصيرون مسلمين بفعلها كما في آية براءة فإنها نزلت بعد فرض الصيام باتفاق الناس.

وكذلك لـمَّا بعث معاذًا إلى اليمن لم يذكر في حديثه الصيام لأنه تبع وهو باطن؛ ولا ذكر الحج لأن وجوبه خاص، وليس بعام، ولا يجب إلا مرة واحدة في العمر، انتهى ملخصًا ببعض تصرف.

---

(١) رواه البخاري (١٤٥٨، ١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأُعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه**». فبات الناس يَدوكونَ ليلتهم، أيهم يُعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «**أين عليُّ بن أبي طالب؟**»، فقيل: هو يشتكي

وفي الحديث من الفوائد: قبول خبر الواحد ووجوب العمل به، وأن الكفار يدعون إلى التوحيد قبل الفرائض وأن التوحيد أفرض الفرائض وأنه يحرم على الساعي أخذ كرائم الأموال بل الوسط، وإن الزكاة لا تدفع إلى كافر، وتحريم الظلم، وأنه ينبغي للإمام أن يعظ وُلاته.

قوله: «**عن سهل بن سعد**»، قال شيخ الإسلام: هذا الحديث أصح ما روي لعلي رضي الله عنه من الفضائل. قوله: «**يحب الله ورسوله**» قال الشيخ تقي الدين: ليس هذا الوصف مختصًا بعلي، فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي، فإن قيل: إذا كان هذا ليس من خصائص علي فَلَمَ تمنى بعض الصحابة أن يكون له ذلك؟ أجاب شيخ الإسلام بأنه إذا شهد النبي ﷺ لمعين بشهادة أو دعا له بدعاء أحب كثير من الناس أن يكون له مثل تلك الشهادة، ومثل ذلك الدعاء وإن كان النبي ﷺ يشهد بذلك لخلق كثير ويدعو لخلق كثير، وكان تعيينه لذلك المعين من أعظم فضائله ومناقبه انتهى.

قوله: «**هو يشتكي عينيه**»، أي من الرمد كما في صحيح مسلم «**فأتي به أرمد**». قوله «**فأرسلوا إليه**» بقطع الهمزة أمرهم أن يرسلوا إليه.

عينيه ، فأرسلوا إليه فَأُتيَ به ، فبصق في عينيه ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال : **«انفذْ على رسلِك حتى تنزل بساحتهم . ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأنْ يهديَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النَعَم»**[1] .

يدوكون : أي يخوضون .

قوله : «**بصق**» أي : تفل . قوله : «**فبرأ**» بفتح الراء والهمزة بوزن ضرب ، ويجوز الكسر بوزن علم أي عوفي في الحال . وعند الطبراني عن علي : **«فما رمدت ولا صُدِعتُ منذ دفع إليّ رسول الله ﷺ الراية»**[2] .

قوله : «**انفُذ**» بضم الفاء و «**رسلك**» بكسر الراء وسكون السين المهملة أي : امض لوجهك على رفقك ولينك من غير عجلة ، وساحتهم ما حول أرضهم .

قوله : «**ثم ادعهم إلى الإسلام**» أي الذي هو معنى شهادة أن ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ . ومن هذا الوجه طابق الحديث الترجمة ، وفيه أن الدعوة إلى شهادة أن ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ المراد بها الدعوة إلى الإخلاص فيه وترك الشرك وإلا فاليهود يقولونها ، ولم يفرق النبي ﷺ في الدعوة إليها بينهم وبين من لا يقولها من مشركي العرب .

---

(١) رواه أحمد (١/ ٧٨) ، والطبراني في الأوسط ، والطيالسي في المسند (١٨٩) وهو حسن .

(٢) رواه البخاري (٣٧٠١) ، ومسلم (٢٤٠٦) .

قولهم: «**وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه**» أي: في الإسلام كالصلاة والزكاة وغيرهما، «**فإن أجابوا إلى ذلك فقد أجابوا إلى الإسلام**»، وإن امتنعوا عن شيء من ذلك فالقتال باق بحاله، فتبين أن النطق بالشهادتين دليل على العصمة لا أنه عصمة أو يقال هو العصمة لكن بشرط العمل. قوله: «**فوالله لأن يهدي الله**» بفتح اللام والهمزة، و «**حُمر**» بضم الحاء المهملة وسكون الميم «**والنَعَم**» بفتح النون والعين المهملة أي هداية رجل على يديك خير لك من أن يكون لك الإبل الحمر جميعها وهي أنفس أموال العرب وكانوا يضربون بها المثل.

* * *

فيه مسائل

الأولى: أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله ﷺ.

الثانية: التنبيه على الإخلاص، لأن كثيرًا من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه.

الثالثة: أن البصيرة من الفرائض.

الرابعة: من دلائل حسن التوحيد: كونه تنزيهًا لله تعالى عن المسبة.

الخامسة: أن من قبح الشرك كونه مسبّة لله.

السادسة: وهي من أهمها، إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك.

السابعة : كون التوحيد أول واجب.

الثامنة : أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة.

التاسعة : أن معنى «أن يوحدوا الله» معنى شهادة أن ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾.

العاشرة : أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة : التنبيه على التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة : البداءة بالأهم فالأهم.

الثالثة عشرة : مصرف الزكاة.

الرابعة عشرة : كشف العالم الشبهة عن المتعلم.

الخامسة عشرة : النهي عن كرائم الأموال.

السادسة عشرة : اتقاء دعوة المظلوم.

السابعة عشرة : الإخبار بأنها لا تحجب.

الثامنة عشرة : من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء.

التاسعة عشرة : قوله «لأعطين الراية ...» الخ، علم من أعلام النبوة.

العشرون : تفله في عينيه علم من أعلامها أيضًا.

الحادية والعشرون : فضيلة علي رضي الله عنه.

الثانية والعشرون : فضل الصحابة في دوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح .

الثالثة والعشرون : الإيمان بالقدر، لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى .

الرابعة والعشرون : الأدب في قوله : «**على رسلك**» .

الخامسة والعشرون : الدعوة إلى الإسلام قبل القتال .

السادسة والعشرون : أنه مشروع لمن دُعوا قبل ذلك وقوتلوا .

السابعة والعشرون : الدعوة بالحكمة لقوله : «**أخبرهم بما يجب عليهم**» .

الثامنة والعشرون : المعرفة بحق الله تعالى في الإسلام .

التاسعة والعشرون : ثواب من اهتدي على يديه رجل واحد .

الثلاثون : الحلف على الفتيا .

(٥)

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ

وقول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧]. وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ الآية [الزخرف:

التوحيد هو معنى شهادة أن لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ الآية. روى البخاري عن ابن مسعود كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم[1]؛ وقال السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: عيسى وأمه وعُزير والشمس والقمر، وقال مجاهد: عيسى وعُزير والملائكة. قال شيخ الإسلام وهذه الأقوال كلها حق فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابدًا لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو البشر، والسلف يذكرون في تفسيرهم جنس المراد بالآية على نوع التمثيل كما يقول الترجمان لمن سأله ما معنى لفظ الخبز، فيريه رغيفًا. فيقول «هذا»، فالإشارة إلى نوعه لا إلى عينه، وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع دون نوع مع شمول الآية للنوعين، فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوًا، وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه، انتهى.

---

(١) رواه البخاري (٤٧١٤، ٤٧١٥)، ومسلم (٣٠٣٠).

٢٦-٢٧]. وقـولـه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية [التوبة: ٣١]. وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥].

فالتوحيد هو ترك ما عليه المشركون من عبادة الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين.

قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. الأحبار العلماء، والرهبان العباد أي اتخذوا علماءهم وعُبادهم أربابًا من دون الله في اتباعهم في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم، وقد دخل عدي بن حاتم على رسول الله ﷺ فسمعه يقرأ هذه الآية قال: فقلت إنهم لم يعبدوهم. قال: «**بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم**» رواه أحمد والترمذي وحسنه[١]. قال الشارح[٢]: ومراد المصنف في إيراد هذه الآية هنا أن الطاعة في تحريم الحلال، وتحليل الحرام، من العبادة المنفية عن غير الله.

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. قال المصنف: ذكر الله أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حبًا عظيمًا، ولم يدخلهم في الإسلام؛ فكيف بمن أحب الند حبًا أكبر من حب الله؟؛ فكيف بمن أحب الند وحده ولم

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٤)، وأحمد (٤/ ٣٧٨)، وحسنه الألباني في غاية المرام (ص٢٠).

(٢) (ص/ ١١٤).

في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرُم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل»[1].

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

يحب الله؟ قال الشارح[2]: مراده أن معنى التوحيد هو إفراد الله بأصل الحب الذي يستلزم إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، ويأتي معنى الآية في بابها إن شاء الله.

قوله: «**في الصحيح**»، أي: صحيح مسلم، قوله: «**من قال لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ**» الحديث، قال المصنف رحمه الله: هذا من أعظم ما يبين معنى ﴿لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ﴾ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع التلفظ بها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله، بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو تردد لم يحرم ماله ولا دمه، فيا لها من مسألة ما أجلها، ويا له من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع.

قوله: «**وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب**»، يعني أن ما بعد هذه الترجمة من الأبواب شرح للتوحيد وشهادة أن ﴿لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ﴾ ببيان ضده، فقد قيل: فبضدها تتبين الأشياء، فلا بد في معرفة التوحيد من معرفة ضده.

* * *

---

(١) رواه مسلم (٢٣).

(٢) (ص/ ١١٤-١١٥).

فيـــه أكبر المسائل وأهمها

وهي تفسير التوحيد وتفسير الشهادة، وبيَّنها بأمور واضحة منها:

آية الإسراء، بين فيها الرد على المشركين الذين يَدعُونَ الصالحين، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

ومنها آية براءة، بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهًا واحدًا، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعبَّاد في غير المعصية، لا دعاؤهم إياهم.

ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]، فاستثنى من المعبودين ربه، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨].

ومنها آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حبًا عظيمًا ولم يدخلهم في الإسلام. فكيف بمن أحب الندَّ أكبر من حب الله؟ وكيف بمن لم يحب إلا الند وحده، ولم يحب الله؟!

ومنها قوله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله**». وهذا من أعظم ما يبين معنى

﴿لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ . فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ولا دمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه، فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع .

(٦)

باب من الشرك

لُبسُ الحَلَقةِ والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ الآية [الزمر: ٣٨].

قوله: (ونحوهما) كالودعة والخرز والمسمار، ورفع البلاء إزالته بعد نزوله، ودفعه منعه قبلهُ. قوله: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ [الزمر: ٣٨]. قال الشارح[١]: أمر الله نبيه أن يقول للمشركين قل «أرأيتم» أي أخبروني عما تدعون من دون الله من الأنداد والآلهة، ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ أي مرض أو فقر أو بلاء أو شدة، ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ أي: لا يقدرون على ذلك أصلاً، ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ أي: صحة وعافية وخير، قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ فسكتوا لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها بل يعلمون أن ذلك لله وحده كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]. وقد دخل في هذا كل من دُعي من دون الله من الملائكة والأنبياء والصالحين، فضلاً عن غيرهم، فلا يقدر أحد منهم على كشف ضر ولا إمساك رحمة، فبطلت

---

(١) تيسير العزيز (ص/ ١٢١).

عن عمران بن حُصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حَلْقةٌ من صُفر، فقال: «**ما هذه؟**»، قال: من الواهنة. فقال: «**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**»[1] رواه أحمد بسند لا بأس به. وله عن عقبة بن عامر مرفوعًا:

عبادتهم، وبطلان دعوة الآلهة والأصنام أبطل وأبطل، ولبس الحلقة والخيط كذلك، فهذا وجه استدلال المصنف رحمه الله بالآية وإن كانت الترجمة في الأصغر، فإن السلف يستدلون بما نزل في الأكبر على الأصغر، انتهى ملخصًا.

قوله: «**إنه رأى رجلاً**» المبهم هو عمران بن حصين راوي الحديث كما رواه الحاكم. «دخلت على رسول الله ﷺ وفي يدي حلقة صفر».
قوله: (**من الواهنة**) عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها قيل إنه لا يأخذ إلا الرجال. قوله: «**ما أفلحت أبدًا**» قال المصنف: فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر الكبائر، قوله: «**فلا أتم الله له**» أي لا أتم له أمره، والودعة بفتح الواو وسكون الدال المهملة. قوله: «**فلا ودع الله له**» بتخفيف الدال أي لا جعله في دعة وسكون، وقيل أي لا خفف الله عنه ما يخافه.

قوله: «**رأى رجلاً في يده خيط من الحمى**» روى وكيع عن حذيفة أنه دخل على مريض يعوده فلمس عضده فإذا فيه خيط فقال: «**ما هذا؟**»،

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٤٤٥)، وابن حبان (٧/ ٦٢٨)، والحاكم (٤/ ٢١٦)، وابن ماجه (٣٥٩٧)، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٠٢٩).

«من تعلَّق تميمةً فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعةً فلا ودعَ الله له»[١].
وفي رواية: «من تعلق تميمةً فقد أشرك»[٢]. ولابن أبي حاتم عن حُذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحُمَّى فقطعه، وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال شيء رقي لي فيه، فقطعه وقال: «**لو مت وهو عليك ما صليت عليك**».

قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].
استدل بما نزل في الأكبر على الأصغر لأنه قسم منه، ومعنى الآية أن الله أخبر عن المشركين أنهم يقرون بتوحيد الربوبية فذلك إيمانهم، ويشركون في الإلهية فذلك شركهم.

* * *

فيه مسائل

الأولى: التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح، فيه شاهد لكلام الصحابة: «أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر».

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٥٤)، وضعفه الألباني في الصحيحة (١/ ٨١٠).
(٢) رواه أحمد (٤/ ١٥٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٩٢).

الثالثة : أنه لم يُعذر بالجهالة.

الرابعة : أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر، لقوله: «**لا تزيدك إلا وهنًا**».

الخامسة : الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

السادسة : التصريح بأن من تعلَّقَ شيئًا وُكلَ إليه.

السابعة : التصريح بأن من علَّق تميمة فقد أشرك.

الثامنة : أن تعليق الخيط من الحُمَّى من ذلك.

التاسعة : تلاوة حُذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة.

العاشرة : أن تعليق الوَدَع من العين من ذلك.

الحادية عشرة : الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له، أي: لا ترك الله له.

(٧)

باب ما جاء في الرُّقى والتَّمائم

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه: أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً: «**أن لا يَبقَيَنَّ في رقبةِ بعير قلادة من وتر، أو قلادة إلا قُطعَت**»[1]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

قوله: «**عن أبي بشير**» بفتح الموحدة وكسر المعجمة. قوله: فأرسل رسولاً هو زيد بن حارثة. قوله «**أن لا يبقين**» هو بفتح المثناة التحتية والقاف، وفي رواية «**لا تبقين**» بحذف أن والمثناة الفوقية والقاف، وله «**قلادة**» بالرفع على الفاعلية «**والوتر**» بفتح الواو والتاء وأحد أوتار القوس. قوله: «**أو قلادة**» شك الراوي هل قال شيخه قلادة من وتر أو أطلق فلم يذكر الوتر. قال أبو عبيد: كانوا يقلدون الإبل الأوتار لئلا تصيبها العين، فأمرهم النبي ﷺ بإزالتها إعلامًا لهم أن الأوتار لا ترد شيئًا.

قوله: «**عن ابن مسعود**» لفظ أبي داود عن زينب امرأة عبدالله بن مسعود أن عبدالله رأى في عنقي خيطًا فقال: ما هذا؟ قلت خيط رقي لي فيه. قالت: فأخذه فقطعه ثم قال: أنتم آل عبدالله لأغنياء عن الشرك،

---

(١) رواه البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرُّقى والتمائم والتِّوَلة شرك**»[1] رواه أحمد وأبو داود.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»، فقلت: لم تقول هكذا؟ لقد كانت عيني تقذف وكنت اختلف إلى فلان اليهودي فإذا رقاها سكنت، فقال عبدالله: إنما ذلك عمل الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رقى كف عنها. إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول: «**أذهب البأس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاءك، شفاء لا يغادر سقماً**» رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح وأقره الذهبي[2].

قوله: «**إن الرقى**» قال المصنف هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة، وقال الخطابي: وكان ﷺ قد رقى ورُقي وأمر بها وأجازها، فإذا كانت بالقرآن أو بأسماء الله فهي مباحة أو مأمور بها، وإنما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب فإنه ربما كان كفرًا أو قولاً يدخله الشرك. وقال شيخ الإسلام: كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقي به فضلاً عن أن يدعو به ولو عرف معناه لأنه يكره الدعاء بغير العربية وإنما يرخص لمن لا يحسن العربية، فأما جعل الألفاظ العجمية شعارًا فليس من دين الإسلام.

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٨١)، وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٧٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٣١).

(٢) رواه ابن ماجه (١٦١٩، ٣٥٢٠)، والحاكم (٦/ ٤٤)، وابن حبان (١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧) وأصله في الصحيحين.

«التمائم»: شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين، لكن إذا كان المُعَلَّقُ من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

قوله: «والتمائم» قال المصنف شيء يعلق على الأولاد عن العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود انتهى. قوله: «والتولة» قال المصنف: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته وبهذا فسره ابن مسعود راوي الحديث، وهو بكسر المثناة الفوقية وفتح الواو واللام. قوله «شرك» لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة، وطلبوا دفع الأذى من غير الله فأبطله الإسلام.

قوله: «عن عبدالله بن عكيم» بضم العين المهملة وفتح الكاف مصغر يكنى أبا معبد الجهني، قال البخاري: أدرك زمن النبي ﷺ ولم يعرف له سماع صحيح. قوله: «من تعلق شيئًا» التعلق يكون بالقلب وبالفعل وبهما فمن تعلقت نفسه بالله وأنزل حوائجه به كفاه كل مؤنة وقرب له كل بعيد ويسر له كل عسير، ومن تعلقت نفسه بغيره وكله الله إلى ذلك الغير وخذله، وقد روى أحمد عن عطاء الخراساني قال: لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت فقلت له: حدثني حديثًا أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز، قال: نعم «أوحى الله إلى داود يا داود أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم بي عبد من عبيدي دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له من بينهن مخرجًا، أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم عبد من

و «الرُّقى»: هي التي تسمى العزائم، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخَّص فيه رسول الله ﷺ من العين والحُمَة، و «التولة»: هي شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته. وعن عبدالله بن عُكَيم مرفوعًا: «**من تعلق شيئًا وُكِل إليه**»[1] رواه أحمد والترمذي. وروى أحمد عن رُوَيْفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا رُوَيْفع لعل الحياة تطول بك، فأخبر**

عبيدي بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء من يده وأسخت الأرض من تحت قدميه، ثم لا أبالي بأي وادٍ هلك».

قوله: «**إن من عقد لحيته**» قيل كانوا يفعلون ذلك في الحرب تكبرًا وهو يشبه فعل الأعاجم، وقيل: بل هو معالجة الشعر ليتجعد ويتعقد، وهذا من فعل أهل التأنيث، وقال ابن العراقي: الأولى حمل النهي على حالة الصلاة لأنه كف للشعر وزيادة، انتهى ملخصًا. قوله: «**أو تقلد وترًا**» هو مقصود الترجمة من الحديث وتقدم. قوله: «**أو استنجى برجيع دابة**» أي روث، الاستنجاء بالرجيع والعظام حرام للأحاديث في ذلك لأنه زاد الجن ودوابهم، وهل يجزئ الاستنجاء بهما أم لا؟ قولان اختار الشيخ الأول، وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ نهى أن يستنجى بعظم أو روث وقال: «**إنهما لا يطهران**»، قال الشارح: إسناده جيد[2].

(١) رواه أحمد (٤/ ٣١٠، ٣١١)، والترمذي (٢١٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٦٩١).

(٢) تيسير العزيز (ص/ ١٣٩). والحديث رواه ابن خزيمة (٨١، ٨٢، ٨٣)، =

الناس أن من عقدَ لحيته، أو تقلَّد وترًا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمدًا بريء منه»[١]. وعن سعيد بن جُبير قال: «**من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة**»[٢]. رواه وكيع وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن.

قوله: «**وعن سعيد بن جبير**» إلى آخره، قال الشارح[٣]: هذا عند أهل العلم له حكم الرفع، لأن مثل هذا لا يُقال بالرأي، فيكون على هذا مرسلاً انتهى. وظاهره أن هذا متفق عليه، وهذا الحكم عندهم لما أتى عن الصحابة على أن فيه خلافًا أما ماجاء عن التابعين من هذا فلم يقل بذلك إلا قليل، ولا نقول على رسول الله ما لم نعلم أنه قاله، ولهذا لم يذكره السخاوي إلا عن ابن العربي، قال في «شرح الألفية»: وقد ألحق ابن العربي بالصحابة في ذلك ما يجيء عن التابعين مما لا مجال للاجتهاد فيه، فنص على أنه يكون في حكم المرفوع، وادعى أنه مذهب مالك، انتهى. وفيه فضيلة قطع التمائم لأنها من الشرك.

قوله: «**كانوا يكرهون التمائم**» مراده بذلك أصحاب عبدالله بن مسعود كعلقمة والأسود وأبي وائل والحارث بن سويد وعبيدة السلماني

= والدارقطني (١/ ٥٦) وفيه ابن الفرات منكر الحديث. انظر تعليق زهير الشاويش على التيسير.

(١) رواه أحمد (٤/ ١٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٨٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٢٤).

(٣) تيسير العزيز (ص/ ١٣٩).

ومسروق والربيع بن خيثم وسويد بن غفلة وغيرهم، وهذه الصيغة يستعملها إبراهيم في حكاية أقوالهم.

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير الرقى والتمائم

الثانية : تفسير التِّولة.

الثالثة : أن هذه الثلاثة كلها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة : أن الرقية بالكلام الحق من العين والحُمة ليس من ذلك.

الخامسة : أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا؟

السادسة : أن تعليق الأوتار على الدواب من العين من ذلك.

السابعة : الوعيد الشديد على من تعلق وترًا.

الثامنة : فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان.

التاسعة : أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف، لأن مراده أصحاب عبدالله بن مسعود.

(٨)

باب من تبرّك بشجرة أو حجر ونحوهما (*)

وقول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩-٢٠] الآيات .

(*) أي كبقعة وغار وعين وقبر وغيرها أي ما حكمه؟ هل يكون شركًا أم لا؟ وتبرك أي طلب البركة ورجاها واعتقدها .

قوله : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾ [النجم : ١٩-٢٠]، قال القرطبي : إن فيها حذفًا تقديره : أفرأيتم هذه الآلهة هل نفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله؟ وقال غيره : ﴿الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾ المتأخرة الوضيعة المقدار، انتهى .

فأما اللات فقرئ بالتخفيف والتشديد، فعلى الأولى قال ابن كثير : كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء عظيم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون به على من عداهم من العرب بعد قريش. قال ابن هشام : وكانت في موضع مسجد الطائف الأيسر فلم يزل كذلك حتى أسلمت ثقيف فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار؛ وعلى الثانية قال : قال ابن عباس كان رجل يلت السويق للحجاج فلما مات عكفوا على قبره، ذكره

عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى

البخاري[1]، وعن ابن عباس أيضًا كان يبيع السويق والسمن عند الصخرة ويسلؤه عليها فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة، إعظامًا لصاحب السويق. فإذا كانت عبادة الصخرة لأجل صاحب السويق فلا تخالف بين القولين، فمن قال أنها صخرة أو بنية لم ينكر أن يكونا على القبر.

وأما العزى فروى النسائي وابن مردويه[2] أنها كانت ثلاث سمرات عليها بيت بوادي نخلة، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث إليها خالد بن الوليد فقطع الشجرة وهدم البيت، فلما رجع إلى النبي ﷺ قال ارجع فإنك لم تصنع شيئًا، فلما رجع وجد امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على وجهها فقتلها فقال النبي ﷺ : «**تلك العزى**» مختصر.

وقال ابن جرير : كانت شجرة عليها بناءٌ وأستار بنخلة بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد، وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج تعظمها ويهلون للحج منها. قال ابن هشام : فبعث رسول الله ﷺ عليًا فهدمها يوم الفتح، انتهى. وقيل : كانت أكمة ولا يبعد أن يكون البناء فوقها؛ وسميت مناة من اسم الله المنان. وقيل لكثرة ما يمنى عندها من الدماء أي يراق.

(١) رواه البخاري (٨/ ٦١١) دون الجملة الأخيرة.

(٢) النسائي في الكبرى، وابن مردويه في التفسير كما في الدر المنثور (٧/ ٦٥٢).

حُنين، ونحن حُدثَاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكُفون عندها وينُوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذاتُ أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال

قال الشارح[1]: ووجه مطابقة الآية للترجمة أنه إن كان التبرك بالشجر والحجر والقبور من الشرك الأكبر فواضح، وإن كان من الأصغر فالسلف يستدلون بما نزل في الأكبر على الأصغر، انتهى. وقد وقع في هذه الأزمان من عبادة الأوثان من القبور والأشجار والأحجار والبنايا والتبرك بها والذبح عندها ما هو أعظم وأكثر وأفحش مما فعله المشركون، وانتشار هذا وظهوره وكثرته تغني عن تعداد بعضه ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحت كلام الله ورسوله.

وقد حدثني من وقف على شجرة بخانوقه أنه وجد عليها أربع عشر جلدًا منشورة عليها مما ذبح عندها ووجد الخِرق وغيرها معلقًا عليها ووجد المرضى عندها يطلبون الشفاء وهي سمرة كالعزى فقطعها، وكذا عبيل الريان هناك جبل صغير يلقي عليه جهلة البادية اللحم والأقط والسمن ويخاطبونه بحوائجهم وهو شبيه بمناة، وما يفعله هؤلاء المشركون عند قبور الصالحين أعظم مما يُفعل عند اللات.

قوله: «**ونحن حدثاء عهد بكفر**» أي قريب عهدنا بكفر. ففيه دليل على أن غيرهم لا يجهل ذلك، قاله المصنف - أي من الذين تقدم إسلامهم.

(١) تيسير العزيز (ص/ ١٤٥).

رسول الله ﷺ : «الله أكبر ، إنها السُّنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف : ١٣٨] لتركبن سنن من كان قبلكم» رواه الترمذي وصححه(١).

قوله : «ينوطون» بفتح الياء وضم النون أي يعلقون، قوله : فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط أي شجرة نعلق عليها سلاحنا ونعكف عندها . ظنوا أن هذا محبوب إلى الله، فبين لهم ﷺ أن هذا نظير قول بني اسرائيل : ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، قوله : «الله أكبر» رواية الترمذي «سبحان الله» أي أنزه الله عن أن يتقرب إليه بمثل هذا. والسنن الطرق.

قوله : «لتركبن سنن من كان قبلكم» أي ستفعل هذه الأمة ما فعلت الأمم الماضية من الشرك فما دونه، وتأتي الأحاديث الدالة على ذلك في «باب ما جاء إن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان» إن شاء الله، وقد وقع كما أخبر ففيه الدلالة على أنه رسول الله ﷺ .

* * *

(١) رواه الترمذي (٢١٨١) وقال : هذا حديث حسن صحيح، والإمام أحمد (٣٦/ ٢٢٥) ط الرسالة، وقال المحقق : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

فيـــه مســـائل

الأولــــــــــى : تفسير آية النجم.

الثـــانيـــــــة : معرفة صورة الأمر الذي طلبوا.

الثـــالثــــــة : كونهم لم يفعلوا.

الـرابعـــــــة : كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يُحبُّه.

الخـــامســـــة : أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل.

الســادســــة : أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

الســـابعـــــة : أن النبي ﷺ لم يعذرهم، بل رد عليهم بقوله : **«الله أكبر إنها السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم»** فغلّظ الأمر بهذه الثلاث.

الثـــامنـــــة : الأمر الكبير هو المقصود : أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى : اجعل لنا إلهًا.

التـــاسعـــــة : أن نفي هذا من معنى ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ مع دقته وخفائه على أولئك.

العـــاشـــرة : أنه حلف على الفتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحـادية عشـرة : أن الشرك فيه أكبر وأصغر، لأنهم لم يرتدوا بهذا.

الثانية عشرة : قوله : «ونحن حدثاء عهد بكفر» فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك.

الثالثة عشرة : التكبير عند التعجب، خلافًا لمن كرهه.

الرابعة عشرة : سد الذرائع.

الخامس عشرة : النهي عن التشبه بأهل الجاهلية.

السادسة عشرة : الغضب عند التعليم.

السابعة عشرة : القاعدة الكلية لقوله : «**إنها السُّنن**».

الثامنة عشرة : أن هذا عَلَم من أعلام النبوة، لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة : أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا.

العشرون : أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر : أمَّا «مَنْ ربُّك؟» فواضح. وأما «من نبيُّك؟» فمن إخباره بأنباء الغيب. وأما «ما دينُك» فمن قولهم : «**اجعل لنا ...**» إلى آخره.

الحادية والعشرون : أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين.

الثانية والعشرون : أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة، لقولهم : «**ونحن حدثاء عهد بكفر**».

(٩)

باب ما جاء في الذبح لغير الله (*)

وقول الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وقوله : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

(*) أي من الدلالة على أنه حرام وشرك.

قوله : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾ الآية أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغيره ﴿إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾ أي ذبحي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي ما آتيه في حياتي وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ﴾ أي في شيء من ذلك ولا في غيره من أنواع العبادة؛ فالصلاة أجلّ العبادات البدنية، والنسك أجلّ العبادات المالية، فمن صلى لغير الله فقد أشرك، ومن ذبح لغيره فقد أشرك. وقوله : ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال قتادة من هذه الأمة.

قوله : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، قال شيخ الإسلام : أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته، عكس حال أهل الكبر والنفرة وأهل الغنى عن الله الذين لا

حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم يسألونه إياها والذين لا ينحرون له خوفًا من الفقر، ولهذا جمع بينهما في قوله: ﴿إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾ الآية، والنسك الذبيحة لله تعالى، ابتغاء وجهه، فإنهما أجلّ ما يُتقرب به إلى الله، فإنه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب لأن فعل ذلك سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله من الكوثر، وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها كما عرفه أرباب القلوب الحية، وما يجتمع له عند النحر إذا قارنه الإيمان والإخلاص من قوة اليقين وحسن الظن أمر عجيب؛ وكان ﷺ كثير الصلاة، كثير النحر، انتهى.

قوله: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»، قال النووي: وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح لغير اسم الله كمن يذبح للصنم أو للصليب أو لعيسى أو للكعبة ونحو ذلك فكل هذا حرام، ولا تحلَ هذه الذبيحة سواء كان هذا الذابح مسلمًا أو نصرانيًا أو يهوديًا، نص عليه الشافعي، واتفق عليه أصحابنا، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة له كان ذلك كفرًا، فإن كان الذابح مسلمًا قبل ذلك صار بالذبح مرتدًا، وذكر الشيخ إبراهيم المروزي من أصحابنا أن ما يذبح عند استقبال السلطان تقربًا إليه أفتى أهل بخارى بتحريمه لأنه مما أُهلَ به لغير الله تعالى، أملاه عليَّ شيخنا الشيخ عبدالرحمن بن حسن. وقال شيخ الإسلام في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، ظاهره أنه ما ذبح لغير الله مثل أن يقول هذا ذبيحة لكذا، وإذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم وقال فيه باسم المسيح

عن علي رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : «**لَعَنَ الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثًا ، لعن الله من غير منار الأرض**»[1] رواه مسلم . وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال : «**دخل الجنة رجل في ذُباب ، ودخل النار رجل في ذُباب**» ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول

ونحوه كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله ، فإن عبادة الله بالصلاة والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور ، فكذلك الشرك بالصلاة لغيره والنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور ؛ فإذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح والزهرة فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو الزهرة أو قصد به ذلك أولى ، فإن العبادة لغير الله أعظم كفرًا من الاستعانة بغير الله ، وعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقربًا به إليه لحرم وإن قال فيه باسم الله .

قوله : «**لعن الله من لعن والديه**» قال بعضهم أباه وأمه وإن عَلَيَا وفسره النبي ﷺ بأن يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه ، قوله: «**لعن الله من آوى محدثًا**» أي ضمه إليه وحماه ، يروى بفتح الدال وكسرها . قوله : «**لعن الله من غيّر منار الأرض**» قال المصنف رحمه الله : هي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك فتغيرها بتقديم أو تأخير ، وفيه جواز لعن أنواع الفساق عمومًا ، فأما لعن الفاسق المعين فقيل يجوز واختاره ابن الجوزي ، وقيل لا يجوز ، واختاره شيخ الإسلام .

(١) رواه مسلم (١٩٧٨) .

الله؟ قال : «مرَّ رجلان على قوم لهم صنمٌ لا يجوزُهُ أحدٌ حتى يقرِّب له شيئًا، فقالوا لأحدهما : قرب، قال : ليس عندي شيء أقرِّب، قالوا له : قرِّب ولو ذُبابًا، فقرب ذبابًا، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر : قرِّب، قال : ما كنت لأقرِّب لأحد شيئًا دون الله عز وجل، فضربوا عنقه، فدخل الجنة»[1] رواه أحمد.

قوله : «**في ذباب**» أي من أجله وبسببه. قوله : فدخل النار قال المصنف : وفيه أن الذي دخل النار مسلم، لأنه لو كان كافرًا لم يقل : «**دخل النار في ذباب**»، قوله : «**فضربوا عنقه**»، قال المصنف : وفيه معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين كيف صبر على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر.

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام : ١٦٢].

الثانية : تفسير ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر : ٢].

الثالثة : البداءة بلعنة من ذبح لغير الله.

الرابعة : لعن من لعن والديه، ومنه أن تلعن والديّ الرجل فيلعن والديك.

---

(١) رواه أحمد في كتاب الزهد (٢٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٠٣) وهو صحيح موقوف.

الخامسة : لعن من آوى محدثًا، وهو الرجل يحدث شيئًا يجب فيه حق الله، فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك.

السادسة : لعن من غيَّر منار الأرض، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك من الأرض، فتغيرها بتقديم أو تأخير.

السابعة : الفرق بين لعن المعيَّن ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم.

الثامنة : هذه القصة العظيمة، وهي قصة الذباب.

التاسعة : كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصًا من شرهم.

العاشرة : معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبهم، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر!

الحادية عشرة : أن الذي دخل النار مسلم، لأنه لو كان كافرًا لم يقل: «**دخل النار في ذباب**».

الثانية عشرة : فيه شاهد للحديث الصحيح : «**الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك**»(١).

الثالثة عشرة : معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٨٨).

(١٠)

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله (*)

وقول الله تعالى : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨].

(*) أي أن ذلك لا يجوز.

قوله : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾، وجه الدلالة من الآية على الترجمة أن الله نهى رسوله أن يقوم في مسجد الضرار لأنه أسس على هذه المقاصد الخبيثة مع أنه لا يقوم إلا لله، فكذلك المواضع المعدة للذبح لغير الله لا يذبح فيها الموحد لله لأنها قد أسست على معصية الله والشرك به، قال جماعة من السلف : المسجد الذي أسس على التقوى مسجد قباء منهم ابن عباس وعروة بن الزبير وعطية العوفي والشعبي والحسن وغيرهم، وقال عمر وابنه وزيد بن ثابت وجماعة : هو مسجد رسول الله ﷺ . قال ابن كثير : ولا منافاة لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولى، انتهى ملخصاً[1].

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨]، قال أبو العالية : إن الطهور بالماء لحسن، ولكنهم المتطهرون من الذنوب.

---

(١) من تيسير العزيز (ص/ ١٥٩ - ١٦٠).

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : نذر رجلٌ أن ينحر إبلاً ببُوانة، فسأل النبي ﷺ فقال : «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية**

قوله : «**ببُوانة**» بضم الباء وقيل بفتحها. قال البغوي : موضع في أسفل مكة دون يَلَمْلَمَ، وقال أبو السعادات : هضبة من وراء ينبع .

قوله : «**هل كان فيها وثن**» قال الشارح[1] : الصحيح في الفرق بين الوثن والصنم أن الصنم ما له صورة والوثن ما ليس له صورة؛ وقد جاء عن السلف ما يدل عليه .

قوله : «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم**» قال شيخ الإسلام : العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائدًا إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك، والمراد به هنا الاجتماع المعتاد من اجتماع أهل الجاهلية، فالعيد يجمع أمورًا منها يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة ومنها اجتماع فيه، ومنها أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادت، وقد يختص العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقًا، وكل من هذه الأمور قد يسمى عيدًا فالزمان كقول النبي ﷺ في يوم الجمعة : «**إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيداً**»[2]، والاجتماع والأعمال كقول ابن عباس شهدت العيد مع رسول الله ﷺ ، والمكان كقوله : «**لا تتخذوا قبري عيداً**». وقد

---

(١) تيسير العزيز (ص/ ١٦٢)

(٢) رواه ابن ماجه (١٠٩٨)، والطبراني في الصغير (٧٦٢)، وأحمد في المسند (٣٠٣/٢، ٥٣٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٩٠٨/٣٢٦/١).

يُعبد؟»، قالوا: لا، قال: «**فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟**»، قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك، فإنه لا وفاءَ لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**» رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما(١).

يكون لفظ العيد اسمًا لمجموع اليوم والعمل فيه، وهذا هو الغالب كقول النبي ﷺ: «**دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيدًا**»(٢) انتهى.

قوله: «**فأوف بنذرك**» هذا يدل على أن الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه المشركون لغيره أو في محل أعيادهم معصية، لأن قوله: «**فأوف بنذرك**» تعقيب للوصف بالحكم بحرف الفاء وذلك يدل على أن الوصف سبب الحكم فيكون سبب الأمر بالوفاء وجود النذر خاليًا عن هذين الوصفين، فيكونان مانعين من الوفاء ولو لم يكن معصية لجاز الوفاء به لأنه عقبه بقوله: «**فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله**» فدل على أن الصورة المسؤول عنها مندرجة في هذا اللفظ العام، لأن العام إذا ورد على سبب فلا بد أن يكون السبب مندرجًا فيه، ولأنه لو كان الذبح فيما ذكر جائزًا لسوّغ ﷺ للناذر الوفاء به، كما سوغ لمن نذرت الضرب بالدف أن تضرب به، ولأنه ﷺ استفصل فلما قالوا: لا، قال له «**فأوف بنذرك**» وهذا يقتضي أن كون البقعة مكانًا لعيدهم أو بها وثن من أوثانهم مانعًا من الذبح بها وإن نذر وإلا لم يحسن الاستفصال، هذا معنى كلام شيخ الإسلام.

---

(١) رواه أبوداود (٣٣١٣)، وابن ماجه (٢١٣١)، وأحمد (٣/ ٤١٩، ٦/ ٣٦٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٢٠٤/ ١٧٤٦).

(٢) رواه البخاري (٩٥٢، ٩٨٧، ٣٥٢٩)، ومسلم (٨٩٢).

قوله: «فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله» دليل على تحريم الوفاء بنذر المعصية، ولكن هل فيه كفارة يمين أم لا؟ الصحيح الأول للحديث الدال عليه، هذا معنى كلام الشارح(١).

قوله: «ولا فيما لا يملك ابن آدم» أي إذا نذر معينًا لا يملكه كإن شفى الله مريضي فلله علي أن أعتق عبد فلان، فأما لو قال فلله علي عتق عبد صح. فإذا شفي مريضه وجب عليه عتق رقبة.

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير قوله: ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨].

الثانية : أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة.

الثالثة : رد المسألة المشكلة إلى المسألة البيِّنة ليزول الإشكال.

الرابعة : استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك.

الخامسة : أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

السادسة : المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله.

السابعة : المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله.

---

(١) تيسير العزيز (ص/ ١٦٤).

الثامنة : أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة، لأنه نذر معصية.

التاسعة : الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم، ولو لم يقصده.

العاشرة : لا نذر في معصية.

الحادية عشرة : لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

(١١)

باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]. وقوله : ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

لقوله تعالى : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]، قال الشارح(١) : وجه الدلالة من الآية أن الله مدح الموفين بالنذر، والله لا يمدح إلا على فعل واجب أومستحب، أو ترك محرَّم، وذلك هو العبادة، فمن فعل ذلك لغير الله متقربًا به إليه فقد أشرك. قوله : ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، وجه الدلالة من الآية على الترجمة أن الله أخبر أن ما أنفقناه من نفقة أو نذرناه من نذر متقربين به إليه أنه يعلمه ويجازينا عليه، فدل ذلك على أنه عبادة فمن صرفها لغير الله فقد أشرك، قال الشارح وقال شيخ الإسلام(٢) : وأما نذره لغير الله كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك فهو بمنزلة أن يحلف بغير الله من المخلوقات، والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا كفارة، وكذلك الناذر للمخلوق ليس عليه وفاء، فإن كلاهما شرك والشرك ليس له حرمة بل عليه أن يستغفر الله من هذا العقد ويقول ما قال النبي ﷺ : «**من حلف**

---

(١) تيسير العزيز (ص/ ١٦٥).

(٢) تيسير العزيز (ص/ ١٦٦).

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**»[1].

باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله»[2].

قوله: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**»، أي يجب عليه الوفاء بنذر الطاعة كما تقدم أحاديث تتعلق بالباب.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين**»[3] رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «**كفارة النذر إن لم يسمَ كفارة يمين**»[4] رواه مسلم وابن أبي شيبة والأربعة، وعن ابن عمر أن النبي ﷺ نهى عن النذر، وقال: «**إنه لا يأت بخير وإنما يستخرج به من البخيل**»[5] رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، وعن أنس أن النبي ﷺ رأى شيخًا يهادي بين ابنيه فقال: «**ما بال هذا؟**»،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٦، ٦٧٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٥٠)، ومسلم (١٦٤٧).

(٣) روه أحمد (٦/ ٢٤٧)، وأبو داود (٣٢٩٠، ٣٢٩١)، والترمذي (١٥٢٤)، والنسائي في المجتبى (٧/ ٢٦)، وابن ماجه (٢١٢٥)، وصححه الألباني في الإرواء (٢٥٩٠).

(٤) رواه مسلم (١٦٥٤)، وزيادة «لم يسمعه» عند الترمذي.

(٥) رواه البخاري (٦٦٩٤، ٦٦٠٩)، ومسلم (١٦٣٩)

فقالوا: نذر أن يمشي إلى الكعبة، فقال: «**إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني**»[1] وأمره أن يركب، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي. وروى مسلم من حديث حذيفة نحوه. وعن عقبة بن عامر قال: نذرت أختي أن تمشي إلى بيت الله حافية فأمرتني أن أستفتي لها رسول الله ﷺ فاستفتيته فقال: «**لتمش ولتركب**»[2] رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

* * *

فيه مسائل

الأولى : وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية : إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غير الله شرك.

الثالثة : أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

---

(١) رواه البخاري (١٨٦٥، ٦٧٠١)، ومسلم (١٦٤٣).

(٢) رواه البخاري (١٨٦٦)، ومسلم (١٦٤٢).

(١٢)

باب من الشرك الاستعاذة(*) بغير الله

وقول الله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

(*) الاستعاذة : الالتجاء والاعتصام والتحرز، وذلك من أعظم أنواع العبادة، فمن فعله لغير الله فقد أشرك.

قوله : ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ الآية [الجن: ٦]. قال الشارح(١) : وجه الدلالة من الآية أن الله حكى عن مؤمني الجن أنهم لما تبين لهم دين رسول الله ﷺ وآمنوا به ذكروا أشياء من الشرك كانوا يفعلونها في الجاهلية من جملتها الاستعاذة بغير الله.

قوله : ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قيل فزاد الإنس الجن تكبرًا وإثمًا وطغيانًا وشرًا، وقيل فزاد الجن الإنس إغواءً وإضلالاً؛ ولا يبعد أن تشمل الآية ذلك فإن الجن إزدادوا إثمًا وتكبرًا وطغيانًا، والإنس إزدادوا إغواء وإضلالاً، كان أهل الجاهلية إذا هبطوا واديًا قالوا نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فعلَّم رسول الله ﷺ المسلمين أن يقول : أحدهم إذا نزل منزلاً : «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**» التامات أي الكاملات اللاتي لا يلحقهن عيب ولا نقص كما يلحق كلام البشر، وقيل

(١) تيسير العزيز (ص/ ١٧٢).

وعن خولة بنت حكيم قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيءٌ حتى يرحل من منزله ذلك»**[1] رواه مسلم .

الكافية الشافية، وقيل الكلمات هنا هي القرآن، فإن الله قد أخبر عنه بأنه هدى وشفاء قاله القرطبي، وقال شيخ الإسلام : وقد نص الأئمة على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق. وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق، قالوا لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك. قوله : **«من شر ما خلق»** أي من شر كل مخلوق فيه شر لا من شر كل ما خلقه الله، فإن الجنة والملائكة والأنبياء ليس فيهم شر. هذا معنى كلام ابن القيم. قال : والشر يقال على الألم وعلى ما يفضي إليه .

قوله : **«لم يضره شيء»** قال المصنف : فيه فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية الجن .

الثانية : كونه من الشرك .

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث، لأن العلماء يستدلون به على أن كلمات الله غير مخلوقة، قالوا : لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك .

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٨) .

الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة : أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية، من كف شر أو جلب نفع، لا يدل على أنه ليس من الشرك.

(١٣)

باب من الشرك أن يستغيث(*) بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى: ﴿وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾ الآية [يونس: ١٠٦-١٠٧].

(*) قال شيخ الإسلام: الاستغاثة: هي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة، انتهى. فهي دعاء المكروب والدعاء أعم منها، لأنه يكون من المكروب وغيره، والدعاء نوعان: دعاء مسألة. ودعاء عبادة، فدعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضر، فالمعبود لا بد أن يكون مالكًا للنفع والضر، ولهذا أنكر الله على من عبد من دونه ما لا يملك نفعًا ولا ضرًا وهذا مراد المصنف.

وأما دعاء العبادة: فهو عبادة الله بأنواع العبادات من الصلاة والزكاة والذبح وغيرها خوفًا وطمعًا يرجو رحمته ويخاف عذابه وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال وطلب؛ وهما متلازمان، فكل دعاء عبادة فهو مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة فهو متضمن لدعاء العبادة ويراد به في القرآن هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما، وقد فسر قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، بالنوعين قيل: اعبدوني وامتثلوا أمري أستجب لكم. وقيل: سلوني أعطكم. وقد أجمع العلماء

وقوله : ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ الآية [العنكبوت: ١٧].

على أن من صرف شيئًا من نوعي الدعاء لغير الله فقد أشرك ولو قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، وصلى وصام وزعم أنه مسلم.

قوله : ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦]، نهى رسول الله ﷺ أن يدعو من هذه صفته أي ما لا ينفع ولا يضر، وهذا أمر مشترك بين جميع المخلوقين لا يقدر أحد منهم على نفع ولا ضر من دون الله فلا تصح العبادة إلا لمن يملك النفع والضر وهو الله وحده ولهذا قال : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: ١٠٧]، فطلب كشفه من غيره عناء وضلال، ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧]، وأما قوله : ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، أي إن دعوت غيره فأنت من المشركين لقوله : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وهذا كقوله : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقوله : ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

قوله : ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، قال ابن كثير : لا عند غيره لأنه المالك له، وغيره لا يملك شيئًا من ذلك، ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾ أي أخلصوا له العبادة وحده لا شريك له، ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ أي على ما أنعم به عليكم، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي فيجازي كل عامل بعمله.

وقوله : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ الآيتين [الأحقاف: ٥-٦].

وقوله : ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وروى الطبراني بإسناده : أنه كان في زمن النبي ﷺ منافقٌ يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: **«إنه لا يستغاث بي، وإنما يُستغاث بالله»**(١).

قوله : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأحقاف: ٥]، قال المصنف فيه مسائل :

أحدها : أنه لا أضل ممن دعا غير الله. **الثانية** : أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه. **الثالثة** : أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو الداعي وعداوته له. **الرابعة** : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو. **الخامسة** : كفر المدعو بتلك العبادة. **السادسة** : إن هذه الأمور هي سبب كونه أضل الناس.

قوله : ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ الآية [النمل: ٦٢]، يقرر تعالى

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير كما في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٩)، وقال : ورجاله رجال الصحيح، غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث، وأخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣١٧).

إلهيته بربوبيته لأن المشركين يعلمون أنه لا يجيب المضطر ويكشف السوء إلا الله، ولهذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين، أي إذا كنتم تقرون بذلك فكيف جعلتم له شريكًا في الإلهية؟ ولهذا قال: ﴿**أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾ [النمل: ٦٢].

قوله: «**وروى الطبراني**» أي عن عبادة بن الصامت.

قوله: «**قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق**» هي استغاثة به فيما يقدر عليه من كف المنافق إما بضرب أو تهديد أو قتل وإنما قال: «**إنه لا يستغاث بي**» إرشادًا لهم إلى التأدب في الألفاظ حماية لجناب التوحيد، فإذا قال ذلك في أمر يقدر عليه، فما الظن بالاستغاثة به ﷺ أو بغيره بعد موته في تفريج الكرب وجلب المنافع، أو في إدخال الجنة والنجاة من النار؟ فثبت أن من دعا أحدًا من المخلوقين فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك الشرك الأكبر الموجب للخلود في النار.

* * *

فيه مسائل

الأولى: أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص.

الثانية: تفسير قوله: ﴿**وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ**﴾ [يونس: ١٠٦].

الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر.

الرابعة : أن أصلح الناس لو يفعله إرضاءً لغيره صار من الظالمين.

الخامسة : تفسير الآية التي بعدها.

السادسة : كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفرًا.

السابعة : تفسير الآية الثالثة.

الثامنة : أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه.

التاسعة : تفسير الآية الرابعة.

العاشرة : أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

الحادية عشرة : أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه.

الثانية عشرة : أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له.

الثالثة عشرة : تسمية تلك الدعوة عبادةً للمدعو.

الرابعة عشرة : كفر المدعو بتلك العبادة.

الخامسة عشرة : هي سبب كونه أضل الناس.

السادسة عشرة : تفسير الآية الخامسة.

السابعة عشرة : الأمر العجيب، وهو إقرار عبدة الأوثان بأنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة : حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد، والتأدب مع الله.

(١٤)

باب قول الله تعالى : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ الآية [الأعراف: ١٩١-١٩٢].

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

جميع من سوى الله هذه صفتهم أي لا يقدرون على خلق شيء وهم مخلوقون ولا يستطيعون نصر من عبدهم ولا ينصرون أنفسهم، فبطلت عبادتهم من دون الله. قوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ الآية [فاطر: ١٣]. أخبر تعالى أن المدعوين من دون الله لا يملكون من قطمير وهو اللفافة التي على ظهر النواة. أي لا يملكون قليلاً ولا كثيراً، وأخبر أنهم لا يسمعون دعاء الداعي، وأنهم لو سمعوا ما أجابوه؛ وأنهم يوم القيامة يجحدون عبادتهم إياهم، وهذه الآية نص في أن دعاء غير الله شرك لقوله : ﴿ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٤]، قال قتاده : يعني نفسه تبارك وتعالى فإنه أخبر بالواقع لا محالة.

وفي الصحيح عن أنس قال: شُجَّ النبي ﷺ يوم أحد، وكسرت رَبَاعيته، فقال: «كيف يُفلح قومٌ شجوا نبيهم؟»، فنزلَت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[١] [آل عمران: ١٢٨]. وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من

قوله: «شج النبي ﷺ» روى الطبراني من حديث أبي أمامة قال رمى عبدالله بن قمئة رسول الله ﷺ يوم أحد، فشج وجهه وكسر رباعيته فقال: خذها وأنا ابن قمئة. فقال رسول الله ﷺ: «مالك أقمأك الله»، فسلط الله عليه تيس الجبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة[٢]. وذكر ابن هشام أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية رسول الله ﷺ، وقال القرطبي: الرباعية بفتح الراء وتخفيف الياء كل سن بعد ثنية. وقال النووي: للإنسان أربع رباعيات، وقال الحافظ: والمراد أنها كسرت فذهب منها فلقة ولم تقلع من أصلها.

قوله: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم» زاد مسلم: «وكسروا رباعيته وأدموا وجهه؟»، قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾، قال ابن إسحاق: أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما آمرتك به فيهم.

قوله: «اللهم العن فلانًا وفلانًا» هذا بعد وقعة أحُد. قوله: «سمع الله لمن حمده» قال ابن القيم: عُدّي باللام لتضمينه معنى استجاب، والحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه،

---

(١) رواه مسلم (١٧٩١)، وأحمد (٢/ ٢٥٣، ٢٨٨).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٨/ ١٥٤ رقم ٧٥٩٦) وهو ضعيف.

الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «**اللهم العن فلانًا وفلانًا**» بعدما يقول: «**سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد**»، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[1] الآية [آل عمران: ١٢٨]. وفي رواية: «يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام»، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[2]. وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه

ولهذا كان خبرًا يتضمن الإنشاء بخلاف المدح فإنه خبر مجرد.

قوله وفي رواية: «**يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو أو الحارث بن هشام**» عينهم ﷺ لأنه من أشد الناس عداوة له، وهم السبب في غالب ما جرى عليه ﷺ وأصحابه هم وأبو سفيان ومع ذلك فما أجيب فيهم بل أنزل الله عليه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، فتاب الله عليهم وآمنوا فدل على أنه لا يملك ولا يقدر إلا ما ملّكه الله أو أقدره الله عليه كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ﴾ [الجن: ٢١ - ٢٣].

وقال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٦٩، ٤٠٧٠، ٤٥٥٩، ٧٣٤٦).

(٢) رواه البخاري (٤٠٧٠) مرسلاً، ووصله الترمذي (٣٠٠٧)، وأحمد في المسند (٢/ ٩٣) من حديث ابن عمر.

قال: قام رسول الله ﷺ حين أنْزِل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فقال: «يا معشر قريش، (أو كلمة نحوها)، اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفيةُ عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئتِ، لا أغني عنك من الله شيئًا»[١].

قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، عشيرة الرجل بنو أبيه أو قبيلته والأقربين أي الأقرب فالأقرب.

قوله: «اشتروا أنفسكم» أي بتخليصها من عذاب الله بالطاعة، لأنها ثمن النجاة.

قوله: «لا أغني عنكم» أي لا أدفع عنكم من عذاب الله شيئًا.

قوله: «يا عباس بن عبدالمطلب» يجوز في عباس الرفع والنصب، وينصب ابن لا غير وكذا ما بعده، فإذا صرح ﷺ أنه لا يغني عن ابنته وعمه وعمته شيئًاوأمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق، ثم عرف ما وقع في قلوب الضالين؛ تبين له غربة الدين.

* * *

(١) رواه البخاري (٢٧٥٣، ٣٥٢٧، ٤٧٧١).

فيـــه مســـائل

الأولـــــى : تفسير الآيتين.

الثـانيــــة : قصة أحُدْ.

الثـالثــــة : قنوت سيد المرسلين وخَلَفَهُ سادات الأولياء يُؤَمِّنُون في الصلاة.

الـرابعــــة : أن المدعو عليهم كفار.

الخـامســـة : أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها شجُّهُم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السـادســـة : أنزل الله عليه في ذلك : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

السـابعــــة : قوله : ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨] فتاب عليهم فآمنوا.

الثـامنـــة : القنوت في النوازل.

التـاسعـــة : تسمية المدعوّ عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العـاشـــرة : لعن المعيَّن في القنوت.

الحادية عشرة : قصته ﷺ لما أنزل عليه : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

الثانية عشرة : جدُّهُ ﷺ بحيث فعل ما نُسبَ بسببه إلى الجنون، وكَذلك لو يفعله مسلم الآن.

الثالثة عشرة : قوله للأبعد والأقرب : «**لا أغني عنك من الله شيئًا**»، حتى قال : «**يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا**»، فإذا صرح، وهو سيد المرسلين، بأنه لا يغني شيئًا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم، تبين له التوحيدُ وغربة الدين.

(١٥)

باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلةٌ على صفوان، ينفذهم ذلك، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا**

قال الشارح: أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة بيان حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم من عُبد من دون الله، فإذا كانت هذه هيبتهم من الله وخوفهم منه فكيف يدعوهم أحد من دون الله؟ وإذا كانوا لا يُدعَوْن فغيرهم أولى ففيه رد على جميع فرق المشركين الذين يدعون مع الله من لا يداني الملائكة في صفة من صفاتهم. قوله: ﴿فُزِّعَ﴾ أي زال عنها الفزع قاله ابن عباس وابن عمر وأبو عبدالرحمن السلمي والشعبي والحسن وغيرهم، والمراد الملائكة كما اختاره ابن جرير، قال ابن كثير: وهو الحق الذي لا مرية فيه، وهذا مقام رفيع في العظمة، وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي فسمع أهل السموات كلامه، أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي، ملخص[١].

(١) من تيسير العزيز (ص/ ٢١٨ - ٢١٩).

مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، وصفه

قوله: «**خضعانًا**» قال الحافظ: بفتحتين من الخضوع. وفي رواية بضم أوله وسكون ثانيه مصدر، أي خاضعين لقول الله تعالى. قوله: «**ينفذهم ذلك**» بفتح التحتية وسكون النون وضم الفاء والذال المعجمة أي يخلص ذلك القول ويمضي في قلوب الملائكة. قوله: «**فيسمعها مسترق السمع**» وفي صحيح البخاري عن عائشة مرفوعًا: «**إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوصله إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم**»[1]، قال الشارح: فظاهر هذا أنهم لا يسمعون كلام الملائكة الذين في السماء الدنيا؛ وإنما يسمعون كلام الملائكة الذين في السحاب. انتهى[2]، **وليس كما قال فإن هذا الحديث إنما دل على أنهم يسمعون من الذين في السحاب؛ وسماعهم منهم لا ينفي سماعهم من الذين في السماء الدنيا بل سماعم منها دل عليه دليل آخر وقد قال تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾** [الحجر: ١٧-١٨]، **وقال: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾** [الصافات: ١٠]، **وقال تعالى إخبارًا عنهم: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾** [الجن: ٨-٩]، **والشهب إنما**

---

(١) رواه البخاري (٣٢١٠).

(٢) تيسير العزيز (ص/ ٢٢٢).

سفيان بكفه، فحرفها وبدد بين أصابعه، **فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يُليقها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فَيُصَدَّقُ بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء»**[1].

وعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أراد الله تعالى أن يُوحِي بالأمر تكلَّم بالوحي أخذت السموات منه**

يرمى بها من السماء لا من السحاب. فالحق أن يقال إنهم كما يسمعون من ملائكة السماء فكذلك يسمعون من ملائكة السحاب، ولا تنافي بين الأمرين.

قوله: «**فحرّفها**» بحاء مهملة وراء مشددة، «**وبدد**» أي فرق. وقوله: «**فيكذب معها**» أي يكذب الكاهن أو الساحر مع الكلمة أو يكذب الشيطان مع الكلمة التي استرقها. وكذبة بفتح الكاف وسكون الذال. قوله: «**فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا**» لفظ الحديث: «يوم كذا وكذا، كذا وكذا». قوله: «**فيصدق بتلك الكلمة**» قال المصنف: وفيه قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة كذبة؟

---

(١) رواه البخاري (٤٧٠١، ٤٨٠٠، ٧٤٨١)، والترمذي (٣٢٢١)، وابن ماجه (١٨٢).

رجفةٌ، (أو قال : رعدة شديدة)، خوفًا من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمرُّ جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل : قال الحق، وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل»[(١)].

قوله : «**ابن سِمعان**» بكسر السين. قوله : «**رجفة**» بالرفع أي أصابت السموات منه رجفة.

قوله : «**أو قال رعدة**» شك هل قال النبي ﷺ رجفة أو رعدة، وهي بفتح الراء.

قوله : «**صعقوا وخروا**» أي يقع منهم الصعوق وهو الغشي والسجود.

قوله : «**فيكون أول من يرفع رأسه جبريل**» روى ابن جرير وأبو الشيخ عن علي بن الحسين قال : اسم جبريل عبدالله. وفي الحديث إثبات العلو وإثبات الكلام، وإن لله صوتًا يُسمعه من شاء من خلقه، خلافًا للجهمية النافية.

* * *

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ٩١)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢٠٦).

فيه مسائل

الأولى : تفسير الآية.

الثانية : ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصًا من تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة : تفسير قوله : ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

الرابعة : سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة : أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله : «قال كذا وكذا».

السادسة : ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل.

السابعة : أنه يقول لأهل السموات كلهم، لأنهم يسألونه.

الثامنة : أن الغُشيَ يعم أهل السموات كلهم.

التاسعة : ارتجف السموات لكلام الله.

العاشرة : أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله.

الحادية عشرة : ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة : صفة ركوب بعضهم بعضًا.

الثالثة عشرة : إرسال الشُّهُب.

الرابعة عشرة : أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أُذُنِ وليه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة : كون الكاهن يصدق بعض الأحيان.

السادسة عشرة : كونه يكذب معها مائة كذبة.

السابعة عشرة : أنه لم يصدَّق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

الثامنة عشرة : قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة؟!

التاسعة عشرة : كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها.

العشرون : إثبات الصفات خلافًا للأشعرية المعطلة.

الحادية والعشرون : أن تلك الرجفة والغَشي خوفًا من الله عز وجل.

الثانية والعشرون : أنهم يخرُّون لله سجدًا.

(١٦)

باب الشفاعـــــــة

وقول الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١].
وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

قوله: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٥١]. وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١]. يقول تعالى وأنذر يا محمد بالقرآن الذين يخافون أن يُحشروا إلى ربهم، وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾، قال الزجاج: موضع ﴿لَيْسَ﴾ نصب على الحال كأنه قال متخلين من ولي وشفيع والعامل فيه ﴿يَخَافُونَ﴾. وقال ابن كثير: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ﴾ يومئذ شفيع من عذابه إن أرادهم به، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فيعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به من عذابه يوم القيامة.

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، بعد قوله: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: ٤٣]، أنكر سبحانه وتعالى عليهم اتخاذ الشفعاء ثم أمره أن يقول: لله الشفاعة جميعًا أي هو مالكها، فليس لغيره فيها ملك، وله ملك السموات والأرض وإليه ترجعون فتعلمون أن من طلبها من غير الله فهو خاسر السعي ولا تحصل له.

وقوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦]. وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا

قوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال ابن جرير: نزلت لما قال الكفار ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فقال الله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وتقرر في هذه الآية أن الله يأذن لمن يشاء في الشفاعة وهم الأنبياء والعلماء وغيرهم؛ والإذن راجع إلى الأمر فيما نص عليه كمحمد ﷺ إذا قيل له: «اشفع تشفع».

وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦]، قال أبو حيان: ﴿وَكَم﴾ خبرية ومعناها التكثير وهي في موضع رفع بالابتداء والخبر، ﴿لا تُغْنِي﴾ وإذا كانت الملائكة لا تغني شفاعتهم إلا بعد إذن الله ورضاه أي يرضاه أهلاً للشفاعة، فكيف تشفع الأصنام لمن عبدها؟

قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ الآية [سبأ: ٢٢-٢٣]. قال بعض العلماء: هذه الآية تقطع عروق شجرة الشرك من القلب لمن عقلها، وكلام أبي العباس شيخ الإسلام ابن تيمية الآتي في تفسيرها كاف في بيان المثبت من الشفاعة والمنفي منها، فرحمه الله وعفا عنه.

الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ الآية [سبأ: ٢٢].

قال أبو العباس[1]: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره مُلْكٌ أو قسط منه، أو يكون عونًا

قوله: «**نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون**» أي في هذه الآية، قوله: «**فنفى الله أن يكون لغيره ملك**» أي في قوله: **﴿لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾** [سبأ: ٢٢]. قوله: «**أو قسط منه**» أي من الملك في قوله: **﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾** [سبأ: ٢٢].

قوله: «**أو يكون عونًا لله**» أي في قول الله: **﴿وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾** [سبأ: ٢٢]. قال ابن القيم في الكلام على الآية: وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها قطعًا يعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون الله وليًا فمثله كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع. إما مالكًا لما يريد عابده منه فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك، فإن لم يكن شريكًا له كان معينًا له وظهيرًا، فإن لم يكن معينًا له ولا ظهيرًا كان شفيعًا عنده؛ فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيًا مرتبًا منتقلاً من الأعلى إلى ما دونه، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك وأثبت شفاعة لا

---

(١) هو: شيخ الإسلام ابن تيمية. أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، إمام المسلمين، وهذه كنيته. انظر: فتح المجيد، (ص ١٦٨) [الشيخ إسماعيل].

لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب. كما قال: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ: «أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده - لا يبدأ بالشفاعة أولاً -» ثم يقال له: «ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفَّع»[١].

نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة بإذنه، فهو الذي يأذن للشافع وإن لم يأذن له لم يتقدم بالشفاعة بين يديه، انتهى.

وقال شيخ الإسلام لما ذكر آيات الشفاعة: وهذا الموضع افترق الناس فيه ثلاث فرق، طرفان ووسط، فالمشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب كالنصارى ومبتدعة هذه الأمة أثبتوا الشفاعة التي نفاها الله بالقرآن. والخوارج والمعتزلة أنكروا شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر من أمته بل أنكر طائفة من أهل البدع انتفاع الإنسان بشفاعة غيره ودعائه كما أنكروا انتفاعه بصدقة غيره وصيامه، فأنكروا الشفاعة بقوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وبقوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]. وأما سلف الأمة وأئمتها ومن اتبعهم من أهل السنة والجماعة فأثبتوا ما جاءت به السنة عن نبي الله ﷺ من شفاعته لأهل الكبائر من أمته، وغير ذلك من أنواع شفاعته وشفاعة غيره من النبيين والملائكة، وقالوا إنه لا يخلد في النار من

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٠، ٣٣٦١، ٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

وقال أبو هريرة له ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: **«من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»**[1]. فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكونُ لمن أشرك بالله. وحقيقته: أن الله

أهل التوحيد أحد، وأقروا بما جاءت به السنة من انتفاع الإنسان بدعاء غيره وشفاعته، والصدقة عنه، بل والصوم عنه في أصح قولي العلماء كما ثبتت به السنة الصحيحة الصريحة وما كان في معنى الصوم، وقالوا لأن الشفيع يطلب من الله ويسأله إلى أن قال:

وأما من علق قلبه بأحد من المخلوقين يرجوه ويخافه، فهذا من أبعد الناس عن الشفاعة؛ فشفاعة المخلوق عند المخلوق تكون بإعانة الشافع للمشفوع له بغير إذن المشفوع عنده، بل يشفع إما لحاجة المشفوع عنده، وإما لخوفه منه فيحتاج أن يقبل شفاعته، والله غني عن العالمين كلهم، فما من شفيع إلا من بعد إذنه، فهو الذي يأذن للشافع، انتهى من «الاقتضاء».

والحاصل أن الشفاعة الثابتة هي التي تطلب من الله بإذنه لمن يرضى قوله وعمله والله لا يرضى إلا التوحيد، والمنفية هي التي تطلب من غير الله، أو بغير إذنه، أو لأهل الشرك به.

إذا تبين هذا فشفاعة النبي ﷺ في القيامة ستة أنواع:

الأول: الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم حتى تنتهي إليه للإراحة من الموقف.

---

(١) رواه البخاري (٩٩، ٦٥٧٠).

سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أُذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع. وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص» انتهى كلامه.

الثانية: شفاعته لأهل الجنة في دخولها.

الثالثة: شفاعته لقوم من العصاة من أمته أن لا يدخلوا النار.

الرابعة: شفاعته في إخراج العصاة من أهل التوحيد من النار.

الخامس: شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم.

السادس: شفاعته في تخفيف العذاب عن أبي طالب، ملخص من الشرح[١].

* * *

فيه مسائل

الأولى: تفسير الآيات.

الثانية: صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة.

---

(١) تيسير العزيز (ص ٢٤٤ - ٢٤٥).

الرابعـــة : ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود.

الخـامسـة : صفة ما يفعله ﷺ ، أنه لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد، فإذا أذن الله له شفع.

السادسة : من أسعد الناس بها؟

السابعة : أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

الثامنة : بيان حقيقتها.

(١٧)

باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية [القصص: ٥٦].

في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبدالله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: «**يا عم، قل ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾، كلمةً أُحاج لك بها**

قال الشارح: أراد المصنف الرد على عُباد القبور الذين يعتقدون في الأنبياء والصالحين أنهم ينفعون ويضرون، فيسألونهم مغفرة الذنوب، وتفريج الكروب؛ فإذا عرف الإنسان معنى هذه الآية ومن نزلت فيه تبين له بطلان مذهبهم وفساد شركهم؛ وإذا كان رسول الله ﷺ قد حرص على هداية عمه أبي طالب عند موته فلم يتيسر ذلك ودعا له بعد موته ونهاه الله عن ذلك، وذكر له أنه لا يقدر على هداية من أحب هدايته تبين أنه ﷺ لا يقدر إلا على ما أقدره الله عليه فبُطلت عبادته من دون الله فعبادة غيره أبطل وأبطل، انتهى ببعض تصرف واختصار(١).

قوله: «**جاءه رسول الله**» فيه جواز عيادة المشرك إذا رُجي إسلامه، وجواز حمل العلم إذا كان فيه مصلحة راجحة على عدمه، قاله

---

(١) تيسير العزيز (ص/ ٢٤٧ - ٢٤٨).

عند الله»، فقالا له : **أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ** ، فأعادا ، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبدالمطلب ، وأبى أن يقول : ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ ، فقال النبي ﷺ : **«لأستغفرن لك، ما لم أُنه عنك»**، فأنزل الله عز وجل : **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن**

الشارح[1]. قوله : «**كلمة**» بدل من ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾، ويجوز الرفع على حذف المبتدأ .

قوله : «**أحاج لك بها**» أي أشهد لك بها .

قوله : «**فقالا له أترغب عن ملة عبدالمطلب؟**» قال المصنف : فيه تفسير ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾، بخلاف ما عليه أكثر من يدعي العلم، وفيه أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل قل ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾؛ فقبح الله مَنْ أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام .

قوله : «**هو على ملة عبدالمطلب**»، رواية الإمام أحمد «أنا» فلعل الراوي كره حكايته بلفظه ، قال المصنف : وفيه الرد على من زعم إسلام عبدالمطلب وأسلافه ، ومضرة أصحاب السوء على الإنسان ومضرة تعظيم الأسلاف والأكابر .

قوله : فأنزل الله عز وجل : **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾** [التوبة: ١١٣]، أي لا ينبغي لهم ذلك .

---

(١) تيسير العزيز (ص/ ٢٥٠).

يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]. وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[1] [القصص: ٥٦].

فائـــــدة:

أسلم المسيب وعبدالله بن أبي أمية ومات أبو جهل كافرًا وكذا أبو طالب. وكانت وفاته بمكة قبل الهجرة بقليل. وقد ثبت أن النبي ﷺ أتى قبر أمه لما اعتمر فاستأذن ربه أن يستغفر لها فنزلت هذه الآية فأشكل ذلك، فقيل يحتمل أن النزول تأخر وإن تقدم السبب أو يكون لنزولها سببان. قال الحافظ: وفيه تحريم الاستغفار للمشركين وتحريم موالاتهم ومحبتهم لأنه إذا حرم الاستغفار لهم فموالاتهم ومحبتهم أولى.

* * *

فيــه مســائل

الأولـــى: تفسير ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية.

الثانيـــة: تفسير قوله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ الآية.

الثالثـــة: وهي المسألة الكبيرة، تفسير قوله: «**قل لا إله إلا الله**» بخلاف ما عليه من يدعي العلم.

الرابعـــة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل: «**قل لا إله إلا الله**». فقبَّح الله مَنْ أبو جهلٍ أعلم منه بأصل الإسلام.

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٠، ٣٨٨٤) وغيرها من المواضع، ومسلم (٢٤).

الخامسة : جدُّه ﷺ ومبالغته في إسلام عمه.

السادسة : الرَّد على من زعم إسلام عبدالمطلب وأسلافه.

السابعة : كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له، بل نُهيَ عن ذلك.

الثامنة : مضرَّة أصحاب السوء على الإنسان.

التاسعة : مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة : الشُّبهةُ للمبطلين في ذلك، لاستدلال أبي جهل بذلك.

الحادية عشرة : الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم، لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة : التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين، لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته ﷺ وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها.

(١٨)

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

قوله: «وتركهم» بالجر، و«دينهم» بالنصب أي أراد إقامة الحجة على أن الغلو سبب للخروج من الدين خصوصًا في الصالحين، فإن الشيطان يخرجه في قالب محبتهم.

قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، أي لا تجاوزوا ما حدَّ الله في الدين. وأهل الكتاب: اليهود والنصارى. وكذا نهى هذه الأمة في قوله: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا﴾ [هود: ١١٢]. قال شيخ الإسلام: ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط، وضاهاهم في ذلك فقد شابههم.

قوله: «في الصحيح» إلى آخره. فيه فوائد نبَّه عليها المصنف، منها معرفة أن أول شرك حدث في الأرض بشبهة محبة الصالحين، ومنها معرفة سبب قبول النفوس للبدع مع كون الشرائع والفطر تنكرها؛ ومنها أن

في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]. قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم، عبدت»[1].

سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل، فالأول محبة الصالحين والثاني فعل أناس من أهل العلم والدين شيئًا أرادوا به خيرًا، فظن من بعدهم أنهم أرادوا غيره، ومنها جبلّة الإنسان في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد؛ ومنها أن فيها شاهدًا لقول بعض السلف إن البدعة سبب للكفر، وإنها أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها، ومنها معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل، ومنها معرفة عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها، ومنها وهي أعجب قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن نهي الله ورسوله هو الكفر المبيح للدم والمال، ومنها التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم؛ ففيها معرفة قدر وجوده ومضرة فقده.

---

(١) رواه البخاري (٤٩٢٠).

وقال ابن القيم : «قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم».

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا : عبدالله ورسوله»[(١)] أخرجاه.

قوله : «لا تطروني» الإطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه.
قوله : «فقولوا عبدالله ورسوله» أي صفوني بما وصفني به ربي في قوله : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]، ولا تدّعوا فيّ ما ادعته النصارى في عيسى بن مريم، فأبى الظالمون إلا كفوراً، وادعى بعض الضالين فيه أعظم مما ادَّعت النصارى في عيسى.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «الاستغاثة» عن بعض أهل زمانه أنه جوّز الاستغاثة بالرسول في كل ما يستغاث فيه بالله، وصنف في ذلك مصنفًا. وكان يقول : إن النبي ﷺ يعلم مفاتيح الغيب، وذكر عن آخر أنه كان يقول : إنه ﷺ يعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر عليه الله وأن بعضهم قال في قوله : ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفتح: ٩]، إن الرسول هو الذي يسبح. ومنهم من قال : نحن نعبد الله ورسوله إلى غير ذلك من الكفر الصريح، فأين هؤلاء من قوله : ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقوله : ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٥، ٦٨٣٠)، ومسلم (١٦٩١).

وقال : قال رسول الله ﷺ : «**إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**»[1] .

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : «**هلك المتنطعون**»[2] قالها ثلاثًا .

ضَرًّا وَلا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]، وقوله : ﴿**قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ**﴾ [الأنعام: ٥٠].

قوله : «**قال : قال رسول الله ﷺ** » هكذا ثبت في أصل المصنف، وهذا الحديث رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته : «**القط لي حصى**» فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف فجعل ينقضهن في كفه ويقول : «**أمثال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**» هذا لفظ ابن ماجه .

قال شيخ الإسلام : هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، والغلو مجاوزة الحد أن يزداد في مدح الشيء أو ذمه على ما يستحقه وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو داخل فيه مثل الرمي بالحجارة الكبار بناءً على أنه أبلغ من الصغار، ثم علله بما يقتضي مجانبة هديهم مطلقًا إبعادًا عن الوقوع فيما هلكوا به، وإن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه الهلاك، انتهى ملخصًا .

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢١٥، ٣٤٧)، والنسائي (٥/ ٢٦٨)، وابن ماجه (٣٠٦٤). وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٨٣).

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٠)، وأبو داود (٤٦٠٨).

قوله : «**هلك المتنطعون**» قال ابن الأثير : هم المتعمقون الغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم، مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم ثم استعمل في كل تعمق قولاً أو فعلاً. وقال غيره الغالون في عباداتهم بحيث تخرج عن قوانين الشريعة.

قوله : «**قالها ثلاثًا**» مبالغة في التحذير والتعليم.

* * *

فيه مسائل

الأولى : أن من فهم هذا الباب، وبابين بعده تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية : معرفة أول شرك حدث في الأرض، أنه كان بشبهة الصالحين.

الثالثة : معرفة أول شيء غُيِّر به دين الأنبياء وما سبب ذلك، مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة : قبول البدع، مع كون الشرائع والفطر تردها.

الخامسة : أن سبب ذلك كُلِّه مزج الحق بالباطل، فالأول: محبة الصالحين، والثاني : فعل أناس من أهل العلم والدين شيئًا أرادوا به خيرًا فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

السادسة : تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة : جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد.

الثامنة : فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر.

التاسعة : معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حَسُنَ قصد الفاعل.

العاشرة : معرفة القاعدة الكلية، و هي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه.

الحادية عشرة : مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة : معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها.

الثالثة عشرة : معرفة عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة : وهي أعجب والعجب، قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامس عشرة : التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة : ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة : البيان العظيم في قوله : «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**»، فصلوات الله وسلامه على من بلَّغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة : نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة : التصريح بأنها لم تعبد حتى نُسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده.

العشرون : أن سبب فقد العلم موت العلماء.

(١٩)

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح (*) فكيف إذا عبده؟

في الصحيح عن عائشة : أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور، فقال : «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح، أو العبد الصالح، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرارُ الخلق عند الله**»[1]. فهؤلاء جمعوا بين فتنتين : فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

(*) إذا كانت عبادة الله عند القبور منهيًا عنها ومغلظًا فيها، فكيف بعبادتها وأصحابها؟

قوله : «**ذكرت لرسول الله ﷺ**» أي في مرض موته كما في الصحيح، وفيهما أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة وهي معبد النصارى.

قوله : «**بنوا على قبره مسجداً**» أي موضعًا للصلاة وإن لم يسم مسجدًا. قوله : «**وصوروا فيها تلك الصور**» إشارة إلى ما ذكرتاه لأن في

---

(١) رواه البخاري (٤٢٧، ٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨).

ولهما عنها قالت : لما نُزِل برسول الله ﷺ طفق يطرحُ خميصةً له على وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشفها، فقال وهو كذلك : «**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، يُحذِّر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرزَ قبره، غير أنه خُشي أن يُتخذ مسجدًا[١]، أخرجاه.

رواية «**فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها**»، قوله : «**فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين**» إلى آخره هو كلام شيخ الإسلام.

قوله : «**لما نُزِل**» بضم النون وكسر الزاي أي نزل به ملك الموت، قوله «**طفق**» أي جعل و «**الخميصة**» كساء له أعلام، قوله «**لعن الله اليهود والنصارى**» يدل على أن اتخاذ القبور محلاً للعبادة حرام ومن الكبائر. قوله : «**يحذر ما صنعوا**» أي لعن اليهود والنصارى يحذر أمته أن يصنعوا مثلهم والظاهر أن هذا من كلام عائشة.

وقال شيخ الإسلام : فأما قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء والصالحين تبركًا بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ورسوله والمخالفة لدينه؛ وابتداع دين لم يأذن به الله، فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ من أن الصلاة عند القبر أي قبر كان لا فضل فيه لذلك ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير بل مزية شر، انتهى.

قوله : «**غير أنه خشي**» روي بفتح الخاء وضمها، فعلى الفتح أي

---

(١) رواه البخاري (٤٣٥، ١٣٣٠، ١٣٩٠) وكرره، ومسلم (٥٣١).

ولمسلم عن جُندب بن عبدالله، قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإنا الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كُنتُ متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**»[1].

هو الذي خشي، فأمر بعدم إبراز قبره، وعلى الضم أي خشيته عائشة كما في رواية «غير أني أخشى» أو هي ومن معها من الصحابة. قوله: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل**» أي أمتنع من ذلك. الخليل هو المحبوب غاية المحبة. قال ابن القيم: الخلة نهاية المحبة. قوله: «**ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**» فيه رد على الرافضة وعلى الجهمية الذين هم شر أهل البدع، بل أخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد.

قال المصنف قوله: «**فقد نهى عنه في آخر حياته**» إلى آخره. هذا كلام شيخ الإسلام. قوله: «**من تدركهم الساعة وهم أحياء**» أي من تقوم عليهم بحيث ينفخ في الصور وهم أحياء. قوله: «**والذين يتخذون القبور مساجد**» أي بالصلاة والدعاء عندها. قال ابن القيم: وبالجملة

---

(١) رواه مسلم (٥٣٢).

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن - وهو في السياق - من فعله. والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبنَ مسجد، وهو معنى قولها: «خُشي أن يُتخذ مسجدًا»، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، وكل موضع قُصدت الصلاة فيه فقد اتُّخذ مسجدًا، بل كل موضع يُصَلَّى فيه يسمى مسجدًا، كما قال ﷺ: «**جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»[١].

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**»[٢] ورواه أبو حاتم في صحيحه.

فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه، وفهم عن الرسول ﷺ مقاصده، جزم جزمًا لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغتيه: صيغة «**لا تفعلوا**» وصيغة «**إني أنهاكم**» ليس لأجل النجاسة بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة من عصاه وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه ولم يخش ربه ومولاه، وقل نصيبه أو عدم من تحقيق ﴿**لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾، فإن هذا وأمثاله من النبي ﷺ صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريد له وغضب لربه أن يعدل به سواه، فأبى المشركون إلا معصية لأمره،

---

(١) رواه البخاري (٣٣٥، ٣١٢٢)، ومسلم (٥٢١).

(٢) رواه أحمد (٥٣١٦)، وابن خزيمة (٢/ ٧ رقم ٧٨٩). قال الدكتور محمد مصطفى الأعظمي: إسناده حسن، وعلقه البخاري في الفتن بصيغة الجزم عن ابن مسعود مرفوعًا دون الجملة الأخيرة منه.

وارتكابًا لنهيه، وغرهم الشيطان بأن هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين، وكلما كنتم أشد لها تعظيمًا، وأشد فيهم غلوًا؛ كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد، ولعمر الله من هذا الباب بعينه دخل على عُباد يغوث ويعوق ونسر، ودخل على عباد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة.

* * *

فيه مسائل

الأولى : ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدًا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل.

الثانية : النهي عن التماثيل وغلظ الأمر في ذلك.

الثالثة : العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك، كيف بين لهم هذا أولاً، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم.

الرابعة : نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

الخامسة : أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

السادسة : لعنه إياهم على ذلك.

السابعة : أن مراده ﷺ تحذيره إيانا عن قبره.

الثامنة : العلة في عدم إبراز قبره.

التاسعة : في معنى اتخاذها مسجدًا.

العاشرة : أنه قرن بين من اتخذها مسجدًا وبين من تقوم عليهم الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

الحادية عشرة : ذكره في خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما أشرّ أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة، وهم الرافضة والجهمية، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد.

الثانية عشرة : ما بلي به ﷺ من شدة النزع.

الثالثة عشرة : ما أكرم به من الخلة.

الرابعة عشرة : التصريح بأنها أعلى من المحبة.

الخامس عشرة : التصريح بأن الصدِّيق أفضل الصحابة.

السادسة عشرة : الإشارة إلى خلافته.

(٢٠)

باب ما جاء أن الغُلُوَّ في قبور الصالحين يُصَيِّرُها أوثاناً تُعبد من دون الله

روى مالك في الموطأ : أن رسول الله ﷺ قال : «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(١) .

قوله : «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**» قد استجاب الله دعاءه فحماه كما قال ابن القيم :

ودعا بأن لا يجعل القبر الذي
قد ضمه وثنًا من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه
وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه
في عزة وحماية وصيان

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٤٦)، وأبو يعلى (٦٦٨١)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٣١٧) بإسناد صحيح، والإمام مالك في الموطأ (٢٦١) والحديث صحيح لشواهده، انظر : أحكام الجنائز (ص/ ٢٧٦-٢٧٧) .

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]، قال: كان يَلُتُّ لهم السَّويق، فمات، فعكفوا على قبره(١). وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يَلتُّ السَّويق للحاج.

قال القرطبي: بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ، فأعلوا حيطان تربته، وسدوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين فتتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره.

وفيه أنه لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه. ذكره المصنف.

قوله: «**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، قال الشارح(٢): هذه الجملة بعد الأولى تنبيه على سبب لحوق اللعن بهم، وهو توسلهم بذلك إلى أن تصير أوثانًا تعبد؛ ففيه إشارة إلى ما ترجم له المصنف. قوله: «**ولابن جرير**» إلى آخره تقدم تقريره. قوله: «**لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور**» أي من النساء وهو يدل على تحريمه عليهن. وقد قيل في تعليل ذلك أنه يخرجها إلى الجزع والندب والنياحة والافتتان بها، وبصوتها وتأذي الميت ببكائها كما في حديث آخر:

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٧/ ٥٨).

(٢) تيسير العزيز (ص/ ٢٨٨).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُّرُجَ»(1) رواه أهل السنن.

«فإنكن تفتن الحي وتؤذين الميت»(2).

قوله: «والسرج» قال أبو محمد المقدسي: لو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن فاعله ولأن فيه تضييعًا للمال بغير فائدة وإفراط في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام. وقال ابن القيم: اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها من الكبائر.

* * *

فيه مسائل

الأولى: تفسير الأوثان.

الثانية: تفسير العبادة.

الثالثة: أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.

الرابعة: قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

---

(1) رواه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٤/ ٩٥)، وابن ماجه (١٥٧٥). قال الألباني: ضعيف. انظر: ضعيف سنن أبي داود (ص/ ٣٢٦ رقم ٧٠٦).

(2) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٦/ ٢٠١)، وابن الجوزي في الواهيات (١٥٠٦)، وقال: فيه أبو هدية وقد أجمعوا على أنه كذاب، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (ص/ ١١١ برقم ٧٧٣).

الخامسة : ذكر شدة الغضب من الله .

السادسة : وهي من أهمها : معرفة صفة عبادة اللات التي هي أكبر الأوثان .

السابعة : معرفة أنه قبر رجل صالح .

الثامنة : أنه اسم صاحب القبر ، وذكرُ معنى التَّسميةِ .

التاسعة : لعنه زوَّارات القبور .

العاشرة : لعنه من أسرجها .

(٢١)

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب (*) التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

(*) قال الشارح: الجناب هو الجانب[1].

قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، امتن تعالى على العرب في بعث الرسول منهم أي ليس من غير لسانكم، ولا ملكًا لا تقدرون على مخاطبته قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٦٤]، قوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، أي شديد عليه عنتكم أي الأمر الذي يشق عليكم. قوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة: ١٢٨]، روى الطبراني بسند جيد عن أبي ذر قال: تركنا رسول الله ﷺ وما من طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا فيه علمًا. قال: وقال: «**ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بينته لكم**»[2].

---

(١) تيسير العزيز (ص/ ٢٩٢).

(٢) رواه الطبراني (١٦٤٧) في الكبير، وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٠٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلُغني حيث كنتم**»[١] رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات .

وعن علي بن الحسين رضي الله عنه : أنه رأى رجلاً يجيء إلى فُرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال : ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ ؟ قال : «**لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلو عليَّ فإن تسليمكم ليبلُغُني أين كنتم**»[٢] رواه في المختارة .

قوله : «**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً**» قال شيخ الإسلام : أي لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت ونهى عن تحريها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم؛ وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعًا : «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً**»[٣]، وقوله : «**ولا تجعلوا قبري عيداً**» قال ابن القيم : العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان أو مكان. قوله : «**وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**» قال شيخ الإسلام : يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٦٧)، وصححه الألباني .

(٢) رواه الضياء المقدسي في المختارة (٤٢٨)، وأبو يعلى في المسند (٤٦٩). والإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٦٧)، وحسنه الألباني.

(٣) رواه البخاري (٤٣٢)، ومسلم (٧٧٧).

الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبُعدكم فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيدًا.

قوله : «فُرجة» بضم الفاء، قوله : «فنهاه» قال الشارح رحمه الله : الحديث يدل على النهي عن قصد القبور لأجل الصلاة والدعاء عندها لأن ذلك من اتخاذها عيدًا كما فهمه علي بن الحسين من الحديث، فنهى ذلك الرجل عن المجيء إلى قبر النبي ﷺ فكيف بقبر غيره؟ ويدل أيضًا على أن قصد الرجل القبر لأجل السلام إذا لم يكن يريد المسجد من اتخاذه عيدًا المنهيِّ عنه، ويدل أيضًا على أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلي منهي عنه، لأن ذلك من اتخاذه عيدًا. وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل إنسان المسجد أن يأتي إلى قبر النبي ﷺ ، لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك، قال : ولن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، انتهى ملخصًا[1].

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية براءة.

الثانية : إبعاده أمته عن هذا الحمَى غاية البعد.

الثالثة : ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

---

(١) من تيسير العزيز (ص/ ٣٠١ - ٣٠٢).

الرابعة : نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة : نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة : حثه على النافلة في البيت.

السابعة : أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة.

الثامنة : تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بَعُد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة : كونه ﷺ في البرزخ تُعرَضُ عليه أعمال أمته، في الصلاة والسلام عليه.

(٢٢)

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان (*)

وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠].

(*) أي: عكس ما يقول الجاهلون أو المعاندون أن الشرك لا يوجد في هذه الأمة.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]، وجه الدلالة أنه إذا كان في أهل الكتاب من يؤمن بالجبت والطاغوت فالرسول ﷺ قد أخبر أن أمته ستفعل مثل ذلك، ويأتي معنى الجبت والطاغوت إن شاء الله.

قال المصنف: وفيه معرفة الإيمان بالجبت والطاغوت هل هو اعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها.

قوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾، قال الشارح[1]: يقول تعالى لنبيه ﷺ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ أي: هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا، هم

---

(١) تيسير العزيز (ص/ ٣٠٨).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضبٍ**

أنتم أيها المتصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾، انتهى ملخصًا.

قال شيخ الإسلام في قوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ الصواب أنه معطوف على قوله ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ فهو فعل ماض معطوف على ما قبله؛ أي: ومن عبد الطاغوت. ولم يُعدَ ﴿مَن﴾ لأنه جعل هذه الأفعال كلها صفة لصنف واحد وهم اليهود. ملخص[1].

ووجه الدلالة من الآية أنه إذا كان في اليهود من عبد الطاغوت فكذلك يكون في هذه الأمة؟

قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ الآية، ووجه الدلالة أنه إذا كان أهل الكتاب يتخذون على القبور المساجد فكذلك هذه الأمة. وذكر ابن جرير في الذين قالوا ذلك هل هم المسلمون أو الكافرون؟ وعلى كل حال فهم مذمومون. قوله: «**سنن من كان قبلكم**» أي طريقتهم، بفتح السين وقيل بضمها. قوله «**حذو**» بفتح الواو، «**والقذة**» بضم القاف أي ريشة السهم، وله قذتان متساويتان أي تساوونهم في أفعالهم مثل مساواة القذة لصاحبتها.

---

(١) من تيسير العزيز (ص/ ٣٠٩ - ٣١٠).

لدخلتموه»، قالوا : يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال : **«فمن؟»**[1] أخرجاه.

ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي**

قال الشارح[2] : وهذا من معجزاته ﷺ فقد تبع كثير من أمته سنن اليهود والنصارى وفارس في شيمهم ومراكبهم وملابسهم، وإقامة شعائرهم في الأديان والحروب والعادات من زخرفة المساجد، وتعظيم القبور واتخاذها مساجد، حتى عبدوها، وإقامة الحدود والتعزيرات على الضعفاء دون الأقوياء، وترك العمل يوم الجمعة، والتسليم بالأصابع، وعدم عيادة المريض يوم السبت، واتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا، والإعراض عن كتاب الله، والإقبال على كتب الضلال، إلى غير ذلك مما اتبعوا فيه اليهود والنصارى.

قوله : **«حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»**، وفي حديث آخر : **«حتى لو أن أحدهم جامع أمه على الطريق لفعلتموه»**[3]. قال شيخ الإسلام : هذا خرج مخرج الخبر والذم لمن يفعله كما كان يخبر عما يكون بين يدي الساعة من الأشراط والأمور المحرمة.

قوله : **«إن الله زوى لي الأرض»** قال القرطبي : أي جمعها لي حتى أبصرت ما تملك أمتي من أقصى المشارق والمغارب منها. وظاهر هذا اللفظ

---

(١) رواه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).

(٢) تيسير العزيز (ص/ ٣١١).

(٣) رواه الحاكم (٤/ ٤٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٦٧).

لي منهـا ، وأُعطيت الكنزين : الأحـمـر والأبيض ، وإني سـألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بِسَنَةٍ بعامة ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال : يا محمد ، إني إذا قضيتُ

يقتضي أن الله قوّى إدراك بصره ، ورفع عنه الموانع المعتادة فأدرك البعيد من موضعه كما أدرك بيت المقدس من مكة ، وأخذ يخبرهم عن آياته وهو ينظر إليه . قوله : «**وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها**» قال القرطبي : هذا الخبر قد وجد مخبره كما قاله فكان ذلك من دلائل نبوته وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ بحر طنجة «بالنون والجيم» الذي هو منتهى عمارة المغرب ، وإلى أقصى الشرق مما وراء خراسان والنهر ، وكثير من بلاد السند والهند والصغد ، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال ، ولذلك لم يذكر ﷺ أنه أريه ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه . قوله : «**وأُعطيت الكنزين**» قال القرطبي : هما كنز كسرى ملك الفرس وكنز قيصر ملك الروم ، وقصورهما وبلادهما . وقد دل على ذلك قوله : «**والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**» وقد وجد ذلك في زمان الفتوح في إمارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته وما كان في بيوت أمواله وكذلك فعل الله بقيصر لما فتح بلاده .

قوله : «**بسنة بعامة**» وفي رواية بترك الباء يعني الجدب العام الذي يكون به الهلاك العام . قوله : «**فيستبيح بيضتهم**» قال الشارح[1] : الظاهر أن المراد أن الله لا يسلط الكفار على معظم المسلمين وجماعتهم

---

(١) تيسير العزيز (ص/ ٣١٥).

قضاءً فإنه لا يُرد ، وإني أعطيتُكَ لأمتك أن لا أهلكهم بسنةٍ بعامةٍ، وأن لا أُسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يُهلكُ بعضًا ويَسبِي بعضهم بعضًا »[1] ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد : **«وإنما أخاف**

وإمامهم ما داموا بضد هذه الأوصاف المذكورة في قوله : **«حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا»** فأما إذا وجدت هذه الأوصاف فقد يسلط الكفار على جماعتهم ومعظمهم كما وقع، فإن هذه الأمة لما جعل بأسها بينها تفرقت جماعتهم واشتغل بعضهم ببعض عن جهاد العدو فاستولى.

قوله : **«وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين»** أي من الأمراء والعلماء والعباد الذين يقتدي بهم الناس؛ وروى الدارمي عن زياد بن حدير قال : قال لي عمر بن الخطاب : هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت : لا . قال : يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين. وفي كلام معاذ بن جبل : واحذروا زيغة الحكيم فإن الشيطان قد يقول بالضلالة على لسان الحكيم، رواه أبو داود، وقال عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى :

وهل أفسد الدين إلا الملوك

وأحبار سوء ورهبانها

---

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩).

على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تَعبُد فئامٌ من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذَّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة

قوله: «**وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة**» وقع كما أخبر فإنه لما وقع بقتل عثمان لم يرفع ولكن يكثر تارة ويقل أخرى، ويكون في جهة دون أخرى. قوله: «**حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين**»، وفي رواية أبي داود: «**ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين**» أي يشاركونهم في المسكن عندهم والديانة. وقوله: «**وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**» الفئام مهموز الجماعات الكثيرة. وفي رواية أبي داود: «**حتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**» وهذا شاهد الترجمة. ومثله ما في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعًا: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس على ذي الخلصة**»[1]، قال: وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية. وروى ابن حبان عن معمر قال: إن عليه الآن بيتًا مبنيًا مغلقًا، وفي صحيح مسلم عن عائشة مرفوعًا: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى**»[2].

قوله: «**وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي**» قال الحافظ: ليس المراد من ادعى النبوة مطلقًا فإنهم لا يحصون كثرة

---

(١) رواه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦).

(٢) رواه مسلم (٢٩٠٧).

من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى»[1].

وإنما المراد من قامت له شوكة وبدت لهم شبهة، وقد أهلك الله من وقع منهم ذلك وبقي منهم من يلحق بأصحابه وآخرهم الدجال الأكبر.

قوله: «**ولا تزال طائفة من أمتي على الحق**» قال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم. ويحتمل أن تكون هذه الطائفة من أنواع المؤمنين فمنهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء ومنهم محدثون، ومنهم زهاد آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخر من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل يكونون متفرقين.

قلت: والحاصل أنهم العاملون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قال المصنف: وفيه الآية العظيمة أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم؛ والبشارة بأن الحق لا يزول كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه طائفة.

قوله: «**حتى يأتي أمر الله**» قال الشارح: الظاهر أن المراد بأمر الله ما روي من قبض من بقي من المؤمنين بالريح الطيبة، ووقوع الآيات العظام، ثم لا يبقى إلا شرار الناس فعليهم تقوم الساعة كما جاء في الأحاديث. انتهى بمعناه[2].

(١) رواه أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وأحمد (٥/ ٢٧٨، ٢٨٤). وهو صحيح

(٢) تيسير العزيز (ص/ ٣٢٢).

وقال أيضًا: وفي كلام ابن بطال ما يدل على أن هذه الطائفة لا يجب أن تكون في الشام أو بيت المقدس بل قد تكون في موضع آخر لكن لا تخلو الأرض منها حتى يأتي أمر الله وهذا هو الحق. وقوله في الحديث: «هم ببيت المقدس»[1] وقول معاذ بالشام؛ المراد أنهم يكونون فيه بعض الأزمان دون بعض.

* * *

أحاديث وآثار تتعلق بالباب

قال محمد بن نصر رحمه الله: حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا داود يعني ابن أبي هند عن أبي عطاء اليحبوري قال: قال عبادة بن الصامت يا أبا عطاء كيف تصنعون إذا فر قراؤكم وعلماؤكم منكم حتى يصيروا إلى رؤوس الجبال مع الوحش؟ قال: قلت ولِمَ يفعلون ذلك؟ قال: خشية أن تقتلوهم. قال: قلت سبحان الله! أنقتلهم وكتاب الله بين أظهرنا نقرؤه؟ قال: ثكلت أبا عطاء أمه! ألم تؤت اليهود التوراة ثم ضلوا عنها وتركوها؟ ألم تؤت النصارى الإنجيل ثم ضلوا عنه وتركوه؟ إنما هي السنن يتبع بعضها بعضًا، إنه والله ما من شيء كان ممن قبلكم إلا سيكون فيكم.

حدثنا إسحاق بن إبرهيم، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن يحيى بن عبيد أبي عمر قال: سمعت رجلاً من أشجع قال: قال عبدالله بن

(١) رواه الطبراني في الكبير (٧٦٤٣)، وأحمد (٥/ ٢٦٩).

مسعود: أنتم أشبه الناس ببني إسرائيل والله لا تدعون شيئًا عملوه إلا عملتموه، ولا كان فيهم شيء إلا سيكون فيكم مثله، فقال له رجل يكون فينا مثل قوم لوط؟ قال: نعم ممن أسلم وعرف نسبه.

حدثنا بندار، حدثنا عبدالرحمن، حدثنا سفيان عن أبي قيس الهذيلي قال: قال عبدالله: أنتم أشبه الناس سمتًا وهيئة ببني إسرائيل تتبعون آثارهم حذو القذة بالقذة، لا يكون فيهم شيء إلا كان فيكم مثله.

حدثنا إسحاق، حدثنا أبو خالد عن يحيى بن سعيد الأنصاري أنه سمع عمر بن الحكم يقول: أنه سمع عبدالله بن عمر يقول: لتركبون سنة من قبلكم حلوها ومرها. حدثنا إسحاق حدثنا جرير عن الأشعث بن إسحاق عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لم يكن في بني إسرائيل شيء إلا كائن فيكم.

وقال أيضًا: حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا أحمد بن عبدالله بن يونس، حدثنا شهر، حدثني ابن غنم أن أبا شداد بن أوس حدثه عن حديث رسول الله ﷺ: «**ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين من قبلهم من أهل الكتاب حذو القذة بالقذة**»، وقال أيضًا: حدثنا إسحاق، حدثنا جرير عن الأعمش، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث قال: كنا عند حذيفة فذكروا: ﴿**وَلَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: ٤٤]، فقال رجل من القوم: إنما هذا في بني إسرائيل فقال حذيفة: نعم الأخوة لكم بنو إسرائيل إن كان لهم المر ولكم الحلو، كلا والذي نفسي بيده حتى تتخذوا السنة بالسنة حذو القذة بالقذة.

قال أيضًا: حدثنا إسحاق، حدثنا عبدالرحمن بن محمد المحاربي عن عبدالرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي عن عبدالله بن يزيد عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيأتي على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مثلاً بمثل حذو النعل بالنعل، وإنهم تفرقوا على اثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار غير واحدة**»، قال: يا رسول الله وما تلك الواحدة؟ قال: «**هو ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

وقد تقدم حديث أبي واقد وحديث أبي هريرة وحديث ثوبان، ذكرهن المصنف وتقدم قريبًا حديث أبي هريرة: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس على ذي الخلصة**»، وحديث عائشة: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى**»، وفي الباب أحاديث وآثار لا تحصى كثرة تدل على ما هو الواقع من أزمنة متطاولة من الشرك والبدع وسائر أنواع المعاصي. ولهذا جاء الترغيب بالتمسك بالسنة عند وقوع هذه الأشياء.

قال ابن نصر: حدثنا أبو قدامة عبدالله بن سعيد، حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، حدثنا عبدالله بن المبارك عن عتبة بن أبي حكيم عن عمر بن جابر اللخمي عن أبي أمية الشعباني قال: لقيت أبا ثعلبة الخشني فسألته عن قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ [المائدة: ١٠٥]، قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «**بل ائتمروا بالمعروف وتناهو عن**

المنكر، فإذا رأيت شحًا مطاعًا وهوًى متبعًا ودنيا مُؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك، وإياك وأمر العوام فإن من ورائكم أيامًا الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله»، قال وزادني غيره: قيل له خمسين منهم؟ قال: «**خمسين منكم**»[1].

حدثني محمد بن إدريس، حدثنا عبدالله بن يوسف التنيسي، حدثنا خالد بن يزيد بن صبيح المري، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن عتبة بن غزوان أخي بني مازن بن صعصعة وكان من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من ورائكم أيام: الصبر للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم**»، قالوا: يا رسول الله أو منهم؟ قال: «**لا بل منكم**»[2]، فهذا الأجر لمن تمسك بسنته على الحقيقة وقليل ما هم، فإذا عرفت ذلك وعملت بموجبه تخلى عنك كثير ممن كان معك وبالله التوفيق.

* * *

(١) رواه الترمذي (٤٨)، وأبو داود (٤٣٤١)، وابن ماجه (٣٦)، وضعفه الألباني. انظر: ضعيف سنن أبي داود رقم (٩٣٤)..

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٧/ ١١٧) رقم (٢٨٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٩٤).

فيـه مســائل

الأولـــى : تفسير آية النساء.

الثـانيـــة : آية المائدة.

الثـالثـــة : تفسير آية الكهف.

الـرابعـــة : وهي أهمها، ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع، هل هو اعتقاد قلب؟ أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟

الخـامســة : قولهم: إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين.

السـادســة : وهي المقصود بالترجمة، أن هذا لا بُدَّ أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد.

الســابعــة : تصريحه بوقوعها، أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة، في جموع كثيرة.

الثـامنـــة : العجب العجاب، خروج من يدعي النبوة مثل المختار، مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق، وفيه أن محمداً خاتم النبيين، ومع هذا يُصَدَّقُ في هذا كله مع التضادّ الواضح، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة.

التاسعة : البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزل عليه طائفة.

العاشرة : الآية العظمى، أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.

الحادية عشرة : أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

الثانية عشرة : ما فيه من الآيات العظيمة، منها إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب، وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال، وإخباره بأنه أُعطِي الكنزين، وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين، وإخباره بأنه مُنع الثالثة، وإخابره بوقوع السيف، وأنه لا يرفع إذا وقع، وإخباره بإهلاك بعضهم بعضًا، وسبي بعضهم بعضًا، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين، وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة. وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول.

الثالثة عشرة : حَصْرُه الخوف على أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة : التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

(٢٣)

باب ما جاء في السحر (*)

وقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ [البقرة : ١٠٢]. وقوله : ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قال عمر : الجبت : السحر. والطاغوت : الشيطان(١). وقال جابر : الطواغيت كُهَّان كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حَيٍّ واحد(٢).

(*) أي : من الدليل على أنه كفر مناف للإيمان والتوحيد، قال أبو محمد المقدسي : السحر عزائم ورقى وعقد، يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه.

قوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ [البقرة : ١٠٢]. قال قتادة : وقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة، قال الحسن : ليس له دين. وروى عبدالرازق عن صفوان بن سليم قال : قال رسول الله ﷺ : «**من تعلم شيئًا من السحر**

---

(١) رواه ابن جرير (٣/ ٥١٣، ٥/ ٨١٣)، وقوى ابن حجر إسناده.

(٢) علقه البخاري (٨/ ٢٥١)، ووصله ابن جرير (٣/ ١٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قالوا: يا رسول الله، وما هنَّ؟ قال: «**الشرك بالله،**

قليلاً كان أو كثيراً كان آخر عهده من الله»[1] وهذا مرسل.

قوله: ﴿**إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ**﴾ [البقرة: ١٠٢]، ظاهر في كفره.

قوله: ﴿**يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ**﴾ [النساء: ٥١]، قال عمر بن الخطاب: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان. رواه ابن أبي حاتم، وكذا كلام جابر بنحوه. وعن ابن عباس وعكرمة وأبي مالك: الجبت الشيطان. زاد ابن عباس «**بالحبشية**» وعنه: الجبت الشرك، وعنه: الجبت الأصنام. وعنه الجبت حيي بن أخطب. وعن الشعبي الجبت الكاهن. وعن مجاهد: الجبت كعب بن الأشرف. وقال الجوهري: الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك. وفي الحديث: «**الطيرة والعيافة والطرق من الجبت**» انتهى[2].

وأما الطاغوت فأحسن ما قيل فيه وأكمله قول ابن القيم: الطاغوت ما تجاوز به العبد حده، من معبود أو متبوع أو مطاع. فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه في غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله ﷺ إلى طاعة الطاغوت ومتابعته.

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف (١٨٧٥٣).

(٢) رواه أبو داود (٣٩٠٧)، وضعفه الألباني

والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[١].

قوله: «**كهان**» أي إن الكهان من الطواغيت وليس المراد الحصر، قوله: «**في كل حي واحد**» أي عند كل قبيلة كاهن.

قوله: «**عن أبي هريرة**» الحديث في الصحيحين. قوله «**الموبقات**» أي المهلكات، قوله: «**الشرك بالله**» قدمه لأنه أعظم الذنوب، قال ابن القيم في تعريفه:

والشرك فاحذره فشرك ظاهر
ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أيًا
كان من حجر ومن إنسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه
ويحبه كمحبة الديان

قوله: «**والسحر**» تقدم. وهو شاهد الترجمة. قوله: «**وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق**» وهو الشرك أو قتل نفس مسلمة أو زنًا بعد إحصان. قوله: «**وأكل الربا**» أي تعاطيه والمعاملة به، للآيات

---

(١) رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

وعن جُندب مرفوعًا : «حَدُّ الساحر ضربة بالسيف» رواه الترمذي، وقال : الصحيح أنه موقوف[1].

وفي صحيح البخاري عن بَجَالَةَ بن عبدَةَ قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «أن اقتلوا كل ساحر وساحرة[2]. قال : فقتلنا ثلاث سواحر». وصح عن حفصة رضي الله عنها. أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها[3]، فقُتلت. وكذلك صح عن جُنْدب.

قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ.

والأحاديث في ذلك. قوله : «**وأكل مال اليتيم**» يعني إهلاكه وإتلافه أو جحده وغصبه. قوله : «**والتولي يوم الزحف**» أي الإدبار عن وجوه الكفار وقت القتال غير متحرف أو متحيز إلى فئة. قوله : «**وقذف المحصنات**» أي العفيفات وإن لم يزوجن، «**الغافلات**» أي البريئات والمراد قذفهن بالزنا أو اللواط. قوله : «**المؤمنات**» أي فالكافرات ليس قذفهن من الكبائر. قوله: «**ضربة بالسيف**» يروى بالهاء والتاء وكلاهما صحيح.

---

(١) رواه الترمذي (١٤٦٠)، والطبراني في الكبير (١٦٦٥)، والحاكم (٤/ ٣٦٠). قال الألباني : ضعيف، انظر : ضعيف سنن الترمذي (ص/ ١٦٨ رقم ٢٤٤).

(٢) رواه أبو داود (٣٠٤٣)، وليس الحديث في البخاري كما نبه على ذلك صاحب «تيسير العزيز الحميد». والحديث صحيح.

(٣) رواه عبدالله بن أحمد في المسائل (١٥٤٣)، والبيهقي (٨/ ١٣٦) وإسناده صحيح.

قوله : «**وفي البخاري**» قال الشارح[١] : الذي في البخاري ليس فيه قتل السحرة، فلعل المصنف أراد أصله لا لفظه.

قوله : «**بَجَالة**» بفتح الموحدة بعدها جيم، ابن عبده بفتحتين.

قوله : «**أن اقتلوا كل ساحر وساحرة**» صريح في قتل الساحر من غير استتابة كما هو أصح القولين، ويدل عليه قوله : «**وصح عن حفصة**» أي أم المؤمنين. رواه في الموطأ، وكذلك صح عن جندب. قال الشارح[٢]: المراد به هنا جندب الخير لا[٣] الأزدي.

قوله : «**عن ثلاثة**» أي عمر وحفصة وجندب.

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية البقرة.

الثانية : تفسير آية النساء.

الثالثة : تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما.

الرابعة : أن الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الإنس.

---

(١) تيسير العزيز (ص/ ٣٣٣).

(٢) تيسير العزيز (ص/ ٣٣٣).

(٣) في التيسير : جندب الخير الأزدي، وما أثبته من المخطوطة.

الخامسة : معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

السادسة : أن الساحر يكفر.

السابعة : أنه يقتل ولا يُستتاب.

الثامنة : وجود هذا في المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده؟

(٢٤)

باب بيان شيء من أنواع السحر [*]

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن حيان بن العلاء ، حدثنا قطن بن قبيصة ، عن أبيه ، أنه سمع النبي ﷺ قال : «**إن العيافة والطَّرق والطِّيَرَة من الجبت**» .

قال عوف : العيافة : زجر الطير ، والطَّرق : الخط يُخطُّ بالأرض ، والجبتُ : قال الحسن : رنَّةُ الشيطان . إسناده جيد . ولأبي داود والنسائي وابن حبَّان في صحيحه المسند منه[1] .

(*) لما ذكر رحمه الله حكم السحر ذكر شيئًا من أنواعه .

قوله : «قبيصة» بفتح القاف ، وتفسير عوف كافٍ . قوله : «**ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه**» . المسند مرفوع مبتدأ مؤخر أي أن أبا داود والنسائي وابن حبان اقتصروا على الحديث دون تفسير عوف . قال الشارح[2] : وقد رواه أبو داود بالتفسير دون كلام الحسن . قوله : «من اقتبس» أي تعلم وحصّل . قوله : «**فقد اقتبس شعبة من السحر**» .

(١) رواه أبو داود (٣٩٠٧) ، وابن حبان (٧/ ٦٤٦) ، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ص/ ٣٨٧ رقم ٨٤٢) .
(٢) تيسير العزيز (ص/ ٣٤١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«من اقتبس شُعبة من النجوم فقد اقتبس شُعبةً من السحر، زاد ما زاد»** رواه أبو داود، وإسناده صحيح[1].

وللنسائي من حديث أبي هريرة: **«من عَقَدَ عُقدةً، ثم نفث فيها فقد سحَر، ومن سَحَر فقد أشرك، ومن تعلق شيئًا وُكل إليه»**[2].

قال شيخ الإسلام: فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]، وهكذا الواقع فإن الاستقراء يدل على أن أهل النجوم لا يفلحون في الدنيا ولا في الآخرة.

قوله: **«زاد ما زاد»** أي كلما زاد في اقتباس علم النجوم زاد في الاثم أو زاد في اقتباس شعب السحر ما زاد اقتباس علم النجوم، وهما متلازمان. قاله الشارح[3].

قوله: **«من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر»** اعلم أن السحرة إذا أرادوا عمل السحر عقدوا الخيوط ونفثوا على كل عقدة حتى ينعقد ما يريدونه من السحر، ولهذا أمر الله بالاستعاذة من شرهم في قوله: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]، يعني السواحر اللاتي يفعلن ذلك،

---

(١) رواه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٧٣٩ رقم ٣٣٠٥).

(٢) رواه النسائي (٤٠٧٩)، وضعفه الألباني.

(٣) تيسير العزيز (ص/ ٣٤٢).

وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : «ألا هل أُنبئكم ما العَضْهُ؟ هي النميمة، القالةُ بين الناس»[١] رواه مسلم .

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : «إن من البيان لسحراً»[٢] .

والنفث هو النفخ مع ريق، وهو دون التفل، وهو رتبة بينهما . والنفث فعل الساحر ، فإذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور ، ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة نفخ في تلك العقد نفخًا معه ريق ، فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والأذى مقترن بالريق الممازج لذلك ، وقد تساعد هوى النفس الشيطانية على أذى المسحور فيصيبه السحر بإذن الله الكوني القدري لا الإذن الشرعي . قاله ابن القيم ، والحديث نص في أن السحر شرك .

قوله : «**ما العَضْهُ**» بفتح العين وسكون الضاد المعجمة ، قال ابن الأثير : هكذا تروى في كتب الحديث ، وقال الزمخشري : أي البهت . قال الشارح[٣] : ظاهر إيراد المصنف لهذا الحديث هنا أن العضة عنده السحر . قوله : «**القالة بين الناس**» قال ابن الأثير : أي : كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس بما يحكى لبعضهم عن بعض ، وقال أبو الخطاب : ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس . انتهى ، وهي محرمة إجماعًا لأنها من الكبائر .

---

(١) رواه مسلم (٢٦٠٦)، وأحمد (١/ ٤٣٧).

(٢) رواه البخاري (٥١٤٦ ، ٥٧٦٧).

(٣) التيسير (ص/ ٣٤٤).

قوله : «**إن من البيان لسحراً**» قال صعصعة بن صوحان هو الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق؛ وروى أحمد وأبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا : «**إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تخلل البقرة بلسانها**»(١)، وروى أبو داود عن عمرو بن العاص أنه قال يومًا، وقال رجل فأكثر القول فقال عمرو : لو قصد في قوله لكان خيرًا له، سمعت رسول الله ﷺ قال : «**لقد رأيت أو لقد أمرت أن أتجوز في القول فإن الجواز هو خير**»(٢).

* * *

فيه مسائل

الأولى : أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت.

الثانية : تفسير العيافة والطرق والطيرة.

الثالثة : أن علم النجوم من أنواع السحر.

الرابعة : أن العقد مع النفث من ذلك.

الخامسة : أن النميمة من ذلك.

السادسة : أن بعض الفصاحة منه.

---

(١) رواه أحمد (٦٥٤٠)، وأبو داود (٥٠٠٥)، والترمذي (٢٨٥٧) وقال : حديث حسن، وقال الألباني : صحيح. انظر : صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٤٤ رقم ٤١٨٥).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٠٨) بنحوه وهو حسن الإسناد.

(٢٥)

باب ما جاء في الكُهّان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : «**من أتى عرّافًا فسأله عن شيء فصدقه، لم تُقبل له صلاةٌ أربعين يومًا**»[١] .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد** ﷺ »[٢] رواه أبو داود .

قوله : «**من أتى عرافًا**» الحديث، قال الشارح[٣] : ليس في مسلم «**فصدقه بما يقول**» وظاهر الحديث أن الوعيد مرتب على مجيئه سواء صدقه أو شك في خبره .

قوله : «**فقد كفر بما أُنزل على محمد**» روى هذا الحديث أبو هريرة كالذي قبله . قال الشارح[٤] : الحديث الذي فيه الوعيد بعدم قبول الصلاة

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣٠) .

(٢) راه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأحمد (٢/ ٤٠٨ ، ٤٧٦) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٧٣٩ رقم ٣٣٠٤) .

(٣) التيسير (ص/ ٣٤٧) .

(٤) التيسير (ص/ ٣٥٠) .

وللأربعة والحاكم، وقال : صحيح على شرطهما . عن أبي هريرة : «من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ»[1].

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفًا[2].

وعن عمران بن حصين مرفوعًا : «ليس منا من تطير أو تُطير له، أو تَكهن أو تُكهن له، أو سَحر أو سُحر له، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[3] رواه البزار بإسناد جيد. ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس، دون قوله : «ومن أتى ...»[4] إلى آخره.

ليس فيه تصديقه، والأحاديث التي فيها الكفر مقيدة بتصديقه، وهل الكفر في هذا كفر دون كفر أو يجب التوقف؛ فلا يقال ينقل عن الملة؟ روايتان عن أحمد.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٢٩)، والحاكم (١/ ٨) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٣٩).

(٢) رواه أبو يعلى في المسند (٥٤٠٨)، وعبد الرزاق في المصنف (١١/ ٢١٠)، والطبراني في الكبير رقم (١٠٠٠٥)، وقال ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢١٧) : إسناده جيد.

(٣) رواه البزار في المسند (٣٠٤٤)، قال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٣) : إسناده جيد، وقال الألباني : صحيح لغيره، انظر : صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٧٠ رقم ٣٠٤١).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٤/ ٣٠٢ رقم ٤٢٦٢). قال الترمذي : إسناد الطبراني حسن. والبزار في المسند (٣٠٤٣)

قال البغوي : العرَّاف : الذي يدَّعي معرفة الأمور بمُقدمات يُستدلُّ بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك ، وقيل : هو الكاهن . والكاهن : هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل . وقيل : الذي يُخبر عما في الضمير . وقال أبو العباس بن تيمية : «العرَّاف اسم للكاهن والمنجم والرَّمَّال ونحوهم . ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطُرُق» . وقال ابن عباس في قوم يكتبون : «أبا جاد» ، وينظرون في النُّجوم : ما أرَى مَن فعل ذلك له عند الله من خَلاق[1] .

قوله : «**يكتبون أبا جاد**» أي ويتعلمونها يدّعون بها معرفة الغيب وهو المسمى عندهم علم الحروف .

قوله : «**ما أرى**» أي ما أظن أو ما أعلم .

* * *

فيه مسائل

الأولى : لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن .

الثانية : التصريح بأنه كفر .

الثالثة : ذكر من تُكُهِّنَ له .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير رقم (١٠٩٨٠) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١١٧) : وفيه خالد بن يزيد العُمري ، وهو كذاب ، انظر : فتح المجيد (٢/ ٤٩٧) تحقيق الدكتور الوليد الفريان - حفظه الله - .

الرابعة : ذكر من تُطُيِّرَ له.

الخامسة : ذكر من سُحِرَ له.

السادسة : ذكر من تعلمَ «أبا جاد».

السابعة : ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.

(٢٦)

باب ما جاء في النشرة (*)

عن جابر : أن رسول الله ﷺ سُئل عن النُّشرة، فقال : «هي من عمل الشيطان»[١] رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود، وقال: سُئل أحمد عنها فقال : ابن مسعود يكره هذا كله . وفي البخاري عن قتادة : قلت لابن المسيب : رجل به طبٌّ أو يُؤخذُ عن امرأته، أيُحَلُّ عنه أو يُنْشَرُ؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم يُنهَ عنه[٢]. انتهى. وروي عن الحسن أنه قال : لا يحلُّ السحر إلا ساحر[٣].

(*) قال ابن القيم : هي حل السحر عن المسحور.

قوله : «به طب» أي سحر، قوله : «يؤخذ» بفتح الواو مهموز وتشديد الخاء المعجمة، وبعدها ذال معجمة أي يحبس عن امرأته فلا يصل إلى جماعها، والأخذة بضم الهمزة الكلام الذي يقوله الساحر «أيحل» بضم الياء التحتية.

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٩٤)، وأبو داود (٣٨٦٨)، والبيهقي في السنن (٩/ ٣٥١)، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري تعليقًا (١٠/ ٢٣٢)، ووصله ابن جرير الطبري في التهذيب كما في تغليق التعليق (٥/ ٤٩) بإسناد صحيح.

(٣) رواه ابن جرير في التهذيب كما في فتح الباري (١٠/ ٢٣٣).

قال ابن القيم : النُّشرةُ حلُّ السحر عن المسحور، وهي نوعان : حلٌّ بسحرٍ مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يُحمل قولُ الحسن، فيتقربُ الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يُحبُّ، فَيُبطِلُ عمله عن المسحور. والثاني : النُّشرةُ بالرُّقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائزٌ.

قوله : «أو ينشر» بضم الياء أيضًا وتشديد الشين، وكلام ابن القيم الذي ذكره المصنف كاف فيما يجوز من ذلك وما لا يجوز.

قال الشارح[1] : ومما جاء في النشرة الجائزة ما رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ليث بن أبي سليم قال : بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله، تقرأ في إناء فيه ماء ثم تصب على رأس المسحور : ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ الآيتين [يونس: ٨١-٨٢]. وقوله : ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إلى أربع آيات [الأعراف: ١١٨ - ١٢١]. وقوله : ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ الآية [طه: ٦٩]. وقال ابن بطال في «كتاب وهب بن منبه» : أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين، ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل، ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ثم يغتسل به فإنه يذهب عنه ما كان به، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله.

* * *

---

(١) التيسير (ص/ ٣٥٩).

فيه مسائل

الأولى : النهي عن النشرة.

الثانية : الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه، مما يزيل الإشكال.

(٢٧)

باب ما جاء في التطيُّر (*)

وقول الله تعالى : ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

(*) قال الشارح[1] : لما كانت الطيرة بابًا من الشرك منافيًا للتوحيد أو لكماله ذكرها المصنف تحذيرًا منها. واعلم أن من كان معتنيًا بها كانت أسرع إليه من السيل إلى منحدره، وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه، ويفتح له الشيطان من المناسبات القريبة والبعيدة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشته، انتهى ملخصًا.

قوله : ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١] أول الآية، قوله : ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ الآية [الأعراف: ١٣١]. قال الشارح[1] : المعنى أن آل فرعون إذا أصابتهم ﴿الْحَسَنَةُ﴾ أي : الخصب والسعة والعافية على ما فسره مجاهد وغيره، ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي : نحن الجديرون الحقيقون به و نحن أهله، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي : بلاء وضيق وقحط، ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ فيقولون : هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا شؤمهم، فأخبر سبحانه أن طائرهم عند الله، قال ابن عباس : ﴿طَائِرُهُمْ﴾

---

(١) التيسير (ص/ ٣٦٠).

(٢) التيسير (ص/ ٣٦١).

وقوله : ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لا عَدوى، ولا طِيرَة، ولا هامة، ولا صَفَر»[١]، أخرجاه، زاد مسلم : «ولا نَوْءَ، ولا غُولَ»[٢].

ما قضى عليهم وقدر لهم، وفي رواية شؤمهم عند الله، ﴿وَمَن قَبْلَهُ﴾ أي : إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله، وقيل : المعنى إن الشؤم العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار لا هذا الذي أصابهم في الدنيا.

وقوله : ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾، قال الشارح[٣] : المعنى والله أعلم أي : حَظُّكم وما نالكم من خير وشر ﴿مَّعَكُمْ﴾ أي بسبب أفعالكم، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا، فالتطير من أعمال أعداء الرسل كما في الآيتين.

قوله : «**لا عدوى**» يقال أعداه الداء يعديه أعداء. وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء، وفي بعض روايات هذا الحديث : فقال أعرابي : يا رسول الله فما للإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها كلها قال فمن أعدى الأول؟ وفي بعض روايات الحديث : «**وفر من المجذوم كما تفر من الأسد**»[٤]، وفي حديث آخر :

---

(١) رواه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٢) من رواية أبي هريرة ومن رواية جابر (٢٢٢٢).

(٣) التيسير (ص/ ٣٦١).

(٤) علقه البخاري (٥٧٠٧)، ووصله أبو نعيم في المستخرج بسند صحيح.

«**لا يورد ممرض على مصح**»(١). والنهي عن الدخول على موضع الطاعون؛ فأشكل ذلك على كثير من العلماء. قال الشارح(٢) : وأحسن ما قيل في ذلك ما قاله البيهقي وتبعه ابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح وغيرهم، أن قوله «**لا عدوى**» أي : على الوجه الذي كانوا يعتقدونه في الجاهلية، من إضافة الفعل إلى غير الله، وإن هذه الأمراض تُعدي بطبعها، وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من العيوب سببًا لحدوث ذلك، وكل ذلك بتقدير الله كما قال : «**فمن أعدى الأول**» يشير إلى أن الأول إنما جرب بقضاء الله وقدره؛ فكذلك الثاني وما بعده.

وأما أمره بالفرار من المجذوم، ونهيه عن إيراد الممرض على المصح، وعن الدخول إلى موضع الطاعون، فإنه من باب اجتناب الأسباب التي جعلها الله أسبابًا للهلاك والأذى، والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية منها، كما أنه يؤمر أن لا يُلقيَ نفسه في الماء أو في النار أو تحت الهدم، أو نحو ذلك مما جرت العادة أنه يهلك، وكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم، والقدوم على بلد الطاعون.

وأما إذا قوي التوكل على الله، والإيمان بقضائه وقدره، وقويت النفس على مباشرة هذه الأسباب اعتمادًا على الله ورجاء منه أن لا يحصل به ضرر، ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك لا سيما إذا كانت فيه مصلحة

---

(١) رواه البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (٢٢٢١).

(٢) التيسير (ص/ ٣٦٤ - ٣٦٦).

عامة أو خاصة، وعلى هذا يحمل الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي أن النبي ﷺ أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصعة ثم قال: «**كل باسم الله ثقة بالله وتوكلاً عليه**»[١]، ونظير ذلك ما روي عن خالد بن الوليد منْ أكل السم، ومن مَشْيِ سعد بن أبي وقاص وأبي مسلم الخولاني بالجيوش على متن البحر. قاله ابن رجب. انتهى ملخصًا.

قوله: «**ولا طيرة**» قال ابن القيم: هذا يحتمل أن يكون نفيًا أو يكون نهيًا أي لا تطيروا ولكن قوله في الحديث «**ولا عدوى ولا صفر ولا هامة**» يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها والنفي في هذا أبلغ من النهي، لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهي إنما يدل على المنع منه، وأما قوله ﷺ: «**والشؤم في ثلاث: في المرأة والدار والدابة**»[٢]، فقال ابن القيم: ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعيانًا مشؤومة على من قاربها أو سكنها، وأعيانًا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر، وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولدًا مباركًا يريان الخير على وجهه؛ ويعطي غيرهما ولدًا مشؤوما يريان الشر على وجهه، وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية وغيرها فكذلك الدار والمرأة والفرس والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان

---

(١) رواه أبو داود (٣٩٢٥) والترمذي (١٨٩٣) وقال: هذا حديث غريب من حديث جابر، ورواه ابن ماجه (٣٥٤٢)، وضعفه الألباني في الضعيفة (١١٤٤).

(٢) رواه البخاري (٢٨٥٨، ٢٨٥٩)، ومسلم (٢٢٢٥).

سعودًا مباركة، ويقضي بسعادة من قاربها وحصول اليمن والبركة له، ويخلق بعضها نحوسًا ينحس بها من قاربها وكل ذلك بقضائه وقدره كما خلق سائر الأسباب، وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة ولذذ بها من قاربها من الناس؛ وخلق ضدها وجعلها سببًا لألم من قاربها من الناس، والفرق بين هذين النوعين مدرك بالحس فكذلك في الديار والنساء والخيل، فهذا لون والطيرة الشركية لون.

قوله: «**ولا هامة**» قال الفراء: الهامة طائر من طير الليل؛ قال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم يقول: نعت إلى نفسي أو أحدًا من أهل داري. وقال أبو عبيد: كانوا يزعمون أن عظام الميت تصير هامة فتطير ويسمون ذلك الطائر الصدي، وجزم به ابن رجب فظاهر كلام الفراء وابن الأعرابي أنها موجودة، فالمعنى عليه أن الذي تعتقدونه في هذا الطائر باطل لا حقيقة له، وعلى كلام أبي عبيد المراد نفيها وأنها لا توجد.

قوله: «**ولا صفَر**» قال الشارح[1]: بفتح الفاء. روى أبو عبيد معمر بن المثنى في «غريب الحديث»[2] له عن رؤبة أنه قال: هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، وهي أعدى من الجرب عند العرب، وعلى هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى ويكون عطفه على العدوى

(١) التيسير (ص/ ٣٧١).
(٢) (١/ ٢٥).

ولهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عدوى، ولا طِيَرة، ويُعجبني الفألُ**»، قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الطيبة**»[١].

ولأبي داود بسند صحيح، عن عُقبة بن عامر، قال: ذُكِرَت الطِّيَرةُ عند رسول الله ﷺ فقال: «**أحسنها الفأل، ولا تَرُدُّ مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفعُ السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**»[٢].

من عطف الخاص على العام، وممن قال بهذا سفيان بن عيينة وأحمد والبخاري وابن جرير، وقال آخرون: المراد به شهر صفر، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، وكانوا يحلون المحرم، ويحرمون صفر مكانه، وهذا قول مالك، وفيه نظر. وروى أبو داود[٣] عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول: إن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بصفر ويقولون: إنه شهر مشؤوم، فأبطل النبي ﷺ ذلك، قال ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال.

قوله: «**ولا نوء**» يأتي معناه إن شاء الله، قوله: «**ولا غُول**» بالضم، قال ابن الأثير: واحد الغيلان وهو جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول تتراءى للناس فتتغول تغولاً أي تتلون تلونًا،

---

(١) رواه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٢) رواه أبو داود (٣٧١٩)، وضعفه الألباني.

(٣) رقم (٣٩١٥).

وله من حديث ابن مسعود مرفوعًا : «**الطيرة شركٌ، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يُذْهِبُهُ بالتوكل**»[1] رواه أبو داود والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو : «**من ردَّته الطِّيَرة عن حاجته فقد أشرك**»، قالوا : فما كفارة ذلك؟ قال : «**أن تقول اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرُك، ولا إله غيرك**»[2].

وقيل ليس نفيًا لوجود الغول وإنما هو إبطال زعم العرب أي إنها لا تستطيع أن تضل أحدًا.

قوله : «**ويعجبني الفأل**» قال ابن القيم : ليس الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك بل إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها. وقال الحلبي : وإنما كان يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن بالله بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله على كل حال.

قوله : «**عن عقبة بن عامر**» قال الشارح[3] : صوابه عروة بن عامر كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما. قوله : «**أحسنها الفأل**» وقال ابن القيم : أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة وهو خيرها فأبطل الطيرة وأخبر أن

---

(١) رواه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وأحمد (١/ ٣٨٩، ٤٣٨، ٤٤٠)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وصححه الألباني في غاية المرام (٣٠٣).

(٢) رواه أحمد (١/ ٢١٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٦٥).

(٣) التيسير (ص/ ٣٧٣).

وله من حديث الفضل بن العباس رضي الله عنه: «**إنما الطيرةُ ما أمضاك أو ردَّك**»(١).

الفأل منها ولكنه خير منها، ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر. قوله: «وما منا إلا» أي: إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك، قاله المنذري.

قوله: «**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**» قال الشارح(٢): هذا حد الطيرة المنهي عنها بأنها ما أوجب للإنسان أن يمضي لما يريده، ولو من الفأل، فإن الفأل إنما يستحب لما فيه من البشارة والملاءمة للنفس، فأما أن يعتمد عليه ويمضي لأجله مع نسيان التوكل على الله، فإن ذلك من الطيرة، وكذلك لو سمع ما يكره وتشاءم به وردَّه عن حاجته فإن ذلك أيضًا من الطيرة.

* * *

فيه مسائل

الأولى: التنبيه على قوله: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾، مع قوله: ﴿طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾.

الثانية: نفي العدوى.

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢١٣) ط الرسالة، وإسناده ضعيف.

(٢) التيسير (ص/ ٣٧٧ - ٣٧٨).

الثـالثـــــة : نفي الطيرة.
الرابعـــــة : نفي الهامة.
الخـامســـة : نفي الصَّفر.
السـادســـة : أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب.
السـابعـــة : تفسير الفأل.
الثـامنـــة : أن الواقع في القلب من ذلك مع كراهته لا يضر، بل يُذْهبُه الله بالتوكل.
التـاسعـــة : ذكر ما يقول من وجده.
العـاشـــرة : التصريح بأن الطيرة شرك.
الحادية عشرة : تفسير الطيرة المذمومة.

(٢٨)

باب ما جاء في التنجيم (*)

قال البخاري في صحيحه : قال قتادة : «خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهتدى بها، فمن تأوَّل فيها غير ذلك أخطأ وأضاعَ نصيبه، وتكلَّف ما لا علمَ له به»[1]. انتهى. وكره قتادة تعلُّمَ منازل القمر. ولم يُرخِّص ابن عيينة فيه، ذكرهُ حربٌ عنهما. ورخَّص في تعلم المنازل أحمدُ وإسحاق.

(*) قال شيخ الإسلام : هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية. قال الشارح : وهو ثلاثة أقسام :

أحدها : ما هو كفر بإجماع المسلمين وهو القول بأن الكواكب فاعلة مختارة، وأن الحوادث مركبة على تأثيرها.

الثاني : الاستدلال على الحوادث بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها ويقولون إن ذلك بتقدير الله ومشيئته فلا ريب في تحريم ذلك؛ وينبغي أن يقطع بكفر فاعله.

الثالث : ما ذكره المصنف في تعلم المنازل.

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٩٥).

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرَّحم، ومصدق بالسحر**»[1] رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

قوله: «**لثلاث**» أي كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ**﴾ [الملك: ٥]، وقوله: ﴿**وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ [النحل: ١٦].

قوله: «**فمن تأول فيها غير ذلك**» أي زعم فيها غير ما خلقت له، قوله: «**وأضاع نصيبه**» أي: حظه من الدين لإفساده ذلك. قوله: «**وكره قتادة**» إلى آخره. قال ابن رجب: والمأذون في تعلمه علم التسيير لا علم التأثير فإنه باطل محرم قليله وكثيره؛ وأما علم التسيير فتعلم ما يحتاج إليه منه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق جائز عند الجمهور، وما زاد عليه لا حاجة إليه لشغله عما هو أهم منه وربما أدى تدقيق النظر فيه إلى إساءة الظن بمحاريب المسلمين كما وقع من أهل هذا العلم قديمًا وحديثًا، وذلك يفضي إلى اعتقاد خطأ السلف في صلاتهم وهو باطل. انتهى مختصرًا.

قوله: «**مدمن الخمر**» أي المداوم على شربها. قوله: «**وقاطع الرحم**» أي القرابة، قال الله تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى**

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٩٩)، وابن حبان (١٣٨٠، ١٣٨١)، والحاكم (٤/ ١٤٦)، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٤٦٣).

أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

قوله: «**ومصدق بالسحر**» قال الشارح[١]: ويدخل فيه التنجيم لحديث: «**من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس علمًا من السحر**»[٢]، و هذا وجه مطابقة الحديث للباب.

* * *

فيه مسائل

الأولى: الحكمة في خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر، ولو عرف أنه باطل.

(١) التيسير (ص / ٣٨٧).

(١) تقدم تخريجه.

(٢٩)

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء (*)

وقول الله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة : ٨٢].

(*) أي منازل القمر سميت أنواء لأنه إذا غرب واحد ناء مقابله أي نهض وطلع ، والاستسقاء بها نسبة مجيء المطر إليها .

قوله : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ ، قال الشارح : روى أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم والضياء في المختارة عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ يقول : شكركم ﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ تقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا . وقال ابن القيم : أي تجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم التكذيب به يعني : القرآن . قال الحسن : تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون ، قال : وخسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به . قال الشارح : والآية تشمل المعنيين ، ملخص(١) .

قوله : «لا يتركونهن» قال شيخ الإسلام : أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ، ذمًا لمن لم يتركه ، وهذا يقتضي أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام وإلا لم يكن في إضافة

---

(١) من التيسير (ص / ٣٨٨) .

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في**

هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها. ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم؛ وهذا كقوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فإن في ذلك ذمًا للتبرج، وذمًا لحال الجاهلية الأولى، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة.

قوله: «**الفخر بالأحساب**» أي المناقب والفضائل وعن أبي هريرة مرفوعًا: «**إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء: مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها**»[1] رواه أبو داود، قوله: «**والطعن في الأنساب**» أي ذمها وعيبها بأن يقول هذا ليس من آل فلان، أو آل فلان ليس نسبهم جيدًا ونحو ذلك، ولهذا قال النبي ﷺ لأبي ذر: «**إنك امرؤٌ فيك جاهلية**»[2] لما عيَّر رجلاً بأمه.

قال شيخ الإسلام: فدل ذلك على أن التعيير بالأنساب من أخلاق الجاهلية، وأن الرجل مع فضله وعلمه ودينه قد يكون فيه بعض هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية؛ ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه.

---

(١) رواه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٤٩٥٥) وقال: حسن صحيح، وحسنه الألباني في غاية المرام (٣١٢).

(٢) رواه البخاري (٣١)، ومسلم (١٦٦١).

الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة». وقال: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سِرْبالٌ من قَطِرانٍ، ودرعٌ من جربٍ**»[1] رواه مسلم.

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب**»[2].

قوله: «**والاستسقاء بالنجوم**» قال الشارح[3]: أي نسبة السُّقيا ومجيء المطر إلى النجوم والأنواء وهو نوعان:

أحدهما: أن يعتقد أن المنزل للمطر هو النجم، وهذا كفر ظاهر.

الثاني: أن ينسب إنزال المطر إلى النجم مع اعتقاد أن الله هو الفاعل لذلك، ولكن أجرى الله العادة بنزول المطر عند ظهور ذلك النجم، والصحيح أنه محرم لأنه من الشرك الخفي، ملخص.

---

(١) رواه مسلم (٩٣٤)، وأحمد (٥/ ٣٤٢، ٣٤٤).

(٢) رواه البخاري (٨٤٦، ١٠٣٨)، ومسلم (٧١).

(٣) التيسير (ص/ ٣٩٠ - ٣٩١).

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه، وفيه : «**قال بعضهم : لقد صدق نوءُ كذا وكذا**»، فأنزل الله هذه الآيات : ﴿ **فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ** ﴾ [الواقعة: ٧٥] إلى قوله : ﴿ **تُكَذِّبُونَ** ﴾[1] [الواقعة: ٨٢].

قوله : «**والنياحة على الميت**» أي رفع الصوت بالندب عليه، فأما البكاء من غير نياحة وندب وشق جيب فقال شيخ الإسلام : البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب، ولا ينافي الرضا بقضاء الله، بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه.

قوله : «**سربال**» أي قميص، وروي عن ابن عباس القطران النحاس المذاب فهو مع الجرب أشد ألمًا.

قوله : «**صلى لنا**» أي بنا.

قوله : «**على إثر**» بكسر الهمزة وسكون المثلثة أي : عقب سماء أي مطر.

قوله : «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكفار**» قال الشارح[2] : المراد بالكفر هنا هو الأصغر بنسبة ذلك إلى غير الله وإن كان يعتقد أن الله تعالى هو الخالق لذلك.

(قلت) والقسمان اللذان ذكرهما آنفًا جاريان في هذا أيضًا.

* * *

---

(١) رواه مسلم (٧٣).

(٢) التيسير (ص/ ٣٩٤).

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية الواقعة.

الثانية : ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية.

الثالثة : ذكر الكفر في بعضه

الرابعة : أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة.

الخامسة : قوله «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**» بسبب نزول النعمة.

السادسة : التفطن للإيمان في هذا الموضع.

السابعة : التفطن للكفر في هذا الموضع.

الثامنة : التفطن لقوله : «**لقد صدق نوء كذا وكذا**».

التاسعة : إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها، لقوله : «**أتدرون ماذا قال ربكم؟**».

العاشرة : وعيد النائحة.

(٣٠)

باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥].

وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية [التوبة: ٢٤].

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[١] أخرجاه.

قال ابن كثير: يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الآخرة من العذاب والنكال، حيث جعلوا لله أندادًا أي: أمثالاً ونظراء يحبونهم كحب الله، أي يساوونهم بالله في المحبة والتعظيم، وهذا اختيار شيخ الإسلام في الآية، وقيل يحبون أندادهم، كما يحب المؤمنون الله. قال شيخ الإسلام: وهذا متناقض وهو باطل فإن المشركين لا يحبون الأنداد مثل محبة المؤمنين الله، ودلت الآية على أن من أحب شيئًا كحب الله فقد اتخذه ندًا لله، وذلك هو الشرك الأكبر، قاله المصنف.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، أي من محبة

---

(١) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

ولهما عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر، بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يُقذف في النار»**(1).

المشركين بالأنداد لله، وقيل: أشد حبًا لله من حب أصحاب الأنداد لأندادهم. قال ابن القيم: والقولان مرتبان على القولين في قوله ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ ملخص من الشرح(2).

قوله: «**لا يؤمن أحدكم**» أي لا يكون آتيًا بالإيمان الواجب عليه فدل على أن من لم يكن الرسول أحب إليه من ولده ووالده بل ومن نفسه فهو من أصحاب الكبائر إن لم يكن كافر. قال شيخ الإسلام: فإنه لا يعهد نفي اسم مسمى أمر الله به ورسوله إلا إذا ترك بعض واجباته، فإذا كان الفعل مستحبًا في العبادة لم ينفها لانتفائه المستحب، ولو صلح هذا لنفي عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة ونحو ذلك، وهذا لا يقوله عاقل، فمن قال إنه نفي للكمال فإن أراد الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة فقد صدق، فإن أراد المستحب فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله، انتهى ملخصًا.

قوله: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان**» قال شيخ الإسلام: أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، فحلاوة

---

(1) رواه البخاري (١٦، ٢١، ١٩٤١)، ومسلم (٤٣).

(2) التيسير (ص/ ٤٠٤).

وفي رواية: «لا يجد أحدٌ حلاوة الإيمان حتى» إلى آخره[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان، وإن كثُرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك، وقد صارت عامةُ مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يُجدي على أهله شيئًا» رواه ابن جرير[٢].

الإيمان المتضمنة للذة والفرح تتبع كمال محبة العبد لله؛ وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة وتفريغها ودفع ضدها، فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. وتفريغها أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، ودفع ضدها أن يكره ضد الإيمان كما يكره أن يقذف في النار.

قوله: «**وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا**». هذا في زمن ابن عباس رضي الله عنهما فكيف لو رأى مؤاخاة أهل هذا الزمان على الكفر والمعاصي؟

قوله: «**لا يجدي على أهله شيئًا**» أي لا ينفعهم.

---

(١) عند البخاري (٦٠٤١).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٥٣)، والطبراني في الكبير (١٣٥٣٧)، وهو ضعيف. انظر: الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد (ص/ ١١٣).

وقال ابن عباس في قوله : ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، قال : المودة(١) .

قوله : «قال : المودة» أي تقطعت المودة في الآخرة كما قال تعالى : ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] .

إذا تبين ذلك فاعلم أن المحبة قسمان : مشتركة ومختصة، والمشتركة ثلاثة أنواع : محبة طبيعية كمحبة الجائع للطعام، ومحبة إشفاق ورحمة كمحبة الوالد لولده، ومحبة أنس وألف كمحبة شريك في صناعة أو تجارة أو سفر، فهذه الثلاثة لا تستلزم التعظيم فلا يكون وجودها شركًا في محبة الله؛ وأما المختصة فهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم والطاعة والإيثار على مراد النفس، فهذه لا تصلح إلا لله، ومتى أحب العبد بها غيره فقد أشرك الشرك الأكبر، انتهى بمعناه من الشرح وعزاه لابن القيم(٢) .

* * *

---

(١) رواه ابن جرير (٢/ ٤٣)، والحاكم (٢/ ٢٧٢) من حديث عيسى بن أبي عيسى عن قيس بن سعد عن عطاء عن ابن عباس به. وصححه الحاكم انظر : «الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد» (ص/ ١١٤).

(٢) التيسير (ص/ ٤٠٢ - ٤٠٣).

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية البقرة.

الثانية : تفسير آية براءة.

الثالثة : وجوب محبته ﷺ وتقديمها على النفس والأهل والمال.

الرابعة : أن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

الخامسة : أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها.

السادسة : أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها.

السابعة : فهم الصحابي للواقع : أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الثامنة : تفسير : ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

التاسعة : أن من المشركين من يحب الله حبًا شديدًا.

العاشرة : الوعيد على من كان الثمانية أحب إليه من دينه.

الحادية عشرة : أن من اتخذ ندًا تُساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر.

(٣١)

باب قول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

[آل عمران: ١٧٥].

وقوله : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ الآية [التوبة: ١٨]. وقوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ الآية [العنكبوت: ١٠].

قال ابن القيم : المعنى عند جميع المفسرين يخوفكم بأوليائه، قال قتادة : يعظمهم في صدوركم، ولهذا قال : ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم.

قوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾، قال ابن القيم رحمه الله : أخبر عن حال الداخل في الإيمان بلا بصيرة أنه إذا أوذي في الله جعل فتنة الناس له وهي أذاهم أو نيلهم له بالمكروه وهو الألم الذي لا بد أن ينال الرسل وأتباعهم ممن خالفهم، جعل ذلك في فراره منه، وتركه السبب الذي يناله به كعذاب الله الذي فرَّ منه

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا: «**إن من ضعف اليقين أن تُرضيَ الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمَّهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يردُّه كراهية كاره**»[١].

المؤمنون بالإيمان، فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فروا من ألم عذاب الله إلى الإيمان، وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قريب، وهذا لضعف بصيرته فر من ألم أعداء الرسل إلى موافقتهم، ومتابعتهم، ففر من ألم عذابهم إلى ألم عذاب الله فجعل ألم فتنة الناس في الفرار منه بمنزلة ألم عذاب الله، وغُبن كل الغبن إذ استجار من الرمضاء بالنار، وفر من ألم ساعة إلى ألم الأبد، وإذا نصر الله جنده وأولياءه قال: إني كنت معكم، والله عليم بما انطوى عليه صدره من النفاق.

وقوله «**عن أبي سعيد**» رواه البيهقي وأبو نعيم وإسناده ضعيف. ومعناه صحيح وتمامه «**وإن الله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهَمَّ والحزن في الشك والسخط**». وروى الطبراني بسند صحيح عن ابن مسعود: «**اليقين الإيمان كله، والصبر نصف**

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٠٦، ١٠/ ٤١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٠٣). قال صاحب فتح المجيد: وأعله بمحمد بن مروان السدي وقال: ضعيف وفي إسناده أيضًا: عطية العوفي، ذكره الذهبي في الضعفاء. وموسى بن بلال قال الأزدي: ساقط، وقال الألباني: موضوع، انظر: الضعيفة (١٤٨٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**»[1] رواه ابن حبان في صحيحه.

الإيمان»[2] قاله الشارح[3]، رحمه الله.

وقال شيخ الإسلام: اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله وما وعد الله أهل طاعته، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره، فإذا أرضيتهم بسخط الله لم تكن موقنًا لا بوعده ولا برزقه؛ فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك إما ميل إلى ما في أيديهم فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة، فإنك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم، وإرضاؤهم بما يسخطه إنما يكون خوفًا منهم ورجاء لهم وذلك من ضعف اليقين وإذا لم يقدر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فإذا ذممتهم على ما لم يقدر كان ذلك من ضعف يقينك فلا تخفهم ولا ترجوهم ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك؛ ولكن من حمده الله ورسوله منهم فهو المحمود؛ ومن ذمه الله ورسوله منهم فهو المذموم.

---

(١) رواه ابن حبان (١/ ٢٤٧ رقم ٢٧٦) من طريق الترمذي (٢٤١٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٨٨).

(٢) رواه الطبراني (٨٥٤٤) بسند صحيح، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٤)، والبيهقي في الزهد (١/ ٢٨). قال صاحب التيسير: من حديثه مرفوعًا، ولا يثبت رفعه.

(٣) التيسير (ص/ ٤٢٢).

قوله: «**من التمس رضا الله بسخط الناس**» قال شيخ الإسلام: وكتبت عائشة إلى معاوية وروي أنها رفعته: «**من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئًا**» هذا لفظ المرفوع، ولفظ الموقوف: «**من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس له ذامًا**» هذا لفظ المأثور عنها. وهذا من أعظم الفقه في الدين، والمأثور أحق وأصدق، فإن من أرضى الله بسخطهم كان قد اتقاه وكان عبده الصالح والله يتولى الصالحين، وهو كاف عبده، ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب، والله يكفيه مؤنة الناس بلا ريب، وأما كون الناس كلهم يرضون عنه فقد لا يحصل ذلك لكن يرضون عنه إذا سلموا من الأغراض، وإذا تبين لهم العاقبة، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئًا، كالظالم الذي يعض على يديه، وأما كون حامده ينقلب ذامًا فهذا يقع كثيرًا ويحصل في العاقبة فإن العاقبة للتقوى ولا يحصل ابتداء عند أهوائهم، قال ابن رجب: فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب، فكيف يقدم طاعة من هو تراب على رب الأرباب؟ أمن كيف يرضى التراب بسخط الملك الوهاب، إن هذا لشيء عجاب.

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية آل عمران.

الثانية : تفسير آية براءة.

الثالثة : تفسير آية العنكبوت.

الرابعة : أن اليقين يضعف ويقوى.

الخامسة : علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث.

السادسة : أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.

السابعة : ذكر ثواب من فعله.

الثامنة : ذكر عقاب من تركه.

(٣٢)

باب قول الله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية [الأنفال: ٢].

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ﴾ الآية [الأنفال: ٦٤].

وقوله: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣].

قال ابن القيم : فجعل التوكل على الله شرطًا في الإيمان؛ فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه، انتهى.

وفي الآية أن التوكل على غيره شرك؛ ولأن تقديم المعمول يفيد الحصر.

قوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية [الأنفال: ٢]. قال ابن عباس في الآية : إن المنافقين لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آياته، ولا يتوكلون على الله، ولا يصلون إذا غابوا ولا يؤدون زكاة أموالهم، فأخبر الله أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين فقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ

عن ابن عباس قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقيَ في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، رواه البخاري والنسائي(١).

قُلُوبُهُمْ﴾ فأدوا فرائضه، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وهذه الأعمال الخمسة مستلزمة لباقي الواجبات، فلذلك اقتصر عليها. وفي الآية أن الإيمان يزيد وينقص كما هو مذهب أهل السنة.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، قال ابن القيم: أي الله كافيك وحده وكافي أتباعك فلا تحتاجون معه إلى أحد.

قوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، قال ابن القيم: أي كافيه ومن كان الله كافيه، وواقيه فلا مطمع فيه لعدو؛ ولا يضره بما يبلغ به مراده، فلا يكون أبدًا، وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه، وبين الضرر يُشتفى به منه.

قوله: ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ أي نعم الموكل إليه.

قوله: «**وقالها محمد**» هذا بعد أُحُد حين بلغ النبي ﷺ أن أبا سفيان قد أجمع الكرّة خارجًا إليهم، فخرج ﷺ وبعض أصحابه إلى حمراء الأسد

---

(١) رواه البخاري (٤٥٦٣، ٤٥٦٤).

«ثلاثة أميال من المدينة» فمر الراكب الذي كان أبو سفيان أوصاه، فأخبرهم بخروجه وقد ألقى الله الرعب في قلبه، فرجع إلى مكة، فلما أخبرهم قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

* * *

فيه مسائل

الأولى : أن التوكل من الفرائض.

الثانية : أنه من شروط الإيمان.

الثالثة : تفسير آية الأنفال.

الرابعة : تفسير الآية في آخرها.

الخامسة : تفسير آية الطلاق.

السادسة : عظم شأن هذه الكلمة، وأنها قول إبراهيم عليه السلام،

السابعة : ومحمد ﷺ في الشدائد.

(٣٣)

باب قول الله تعالى : ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

وقوله : ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ سُئل عن الكبائر؟ فقال : **«الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله»**(١).

قال الحسن : من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له، ومن قتر عليه ولم ير أنه ينظر له فلا رأي له. وقال قتادة : ما أخذ الله قومًا قط إلا عند سلوتهم وغرتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله؛ فإنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون، رواهما ابن أبي حاتم.

والمراد بهذه الترجمة التنبيه على الجمع بين الخوف والرجاء ولهذا ثنّى بقوله : ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، أي المخطئون طريق الصواب.

قوله : **«الشرك بالله»** هو أكبر الكبائر لأن معناه تنقص رب العالمين، **«واليأس من روح الله»** أي قطع الرجاء من رحمته. قال تعالى :

---

(١) رواه البزار في المسند (١٠٦)، وحسنه العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ١٧)، وحسنه الألباني أيضًا في صحيح الجامع (٤٤٧٩).

وعن ابن مسعود قال : «**أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقُنوط من رحمة الله، واليأسُ من رَوْح الله**» رواه عبدالرزاق[١].

﴿وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

قوله : «**والأمن من مكر الله**» أي عدم الخوف من استدراجه.

قوله: «**والقنوط من رحمة الله**» قال ابن الأثير : القنوط أشد اليأس والمراد أن هذه الأمور من الكبائر لا حصرها.

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية الأعراف.

الثانية : تفسير آية الحجر.

الثالثة : شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله.

الرابعة : شدة الوعيد في القنوط.

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف (١٠/ ٤٥٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٧٨٣).
قال الشيخ سليمان بن عبدالله في الشرح (ص/ ٤٣٨) : ورواه ابن جرير بأسانيد صحاح.

(٣٤)

باب من الإيمان بالله الصبر (*) على أقدار الله

وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١].

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلِّم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت**»(١).

(*) قال الإمام أحمد ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا.

قوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، قال ابن عباس في قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [التغابن: ١١] إلا بأمر الله يعني من قدره ومشيئته. قوله: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ قال ابن عباس: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

قوله: «هو الرجل تصيبه المصيبة» هذا تفسير للإيمان في الآية.

---

(١) رواه مسلم (٦٧).

ولهما عن ابن مسعود مرفوعًا : «**ليس منَّا من ضرب الخُدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**»[١].

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : «**إذا أردا الله بعبده الخير عجَّل له العُقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه، حتى يوافي به يوم القيامة**»[٢].

قوله : «**اثنتان في الناس هما بهم كفر**» قال شيخ الإسلام : «أي: هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس فنفس الخصلتين كفر حيث كانتا من أعمال الكفار، وهما قائمتان بالناس، لكن ليس من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافرًا الكفر المطلق حتى يقوم به حقيقة الكفر كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنًا حتى يقوم به أصل الإيمان وفرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله : «**ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة**»[٣] وبين كفر منكر في الإثبات.

قوله : «**من ضرب الخدود**» أي : أو بقية البدن، وإنما خص الخد لأنه الغالب.

---

(١) رواه البخاري (١٢٩٤، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ٣٥١٩)، ومسلم (١٠٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٤٠)، وابن حبان (١/ ٢٧٨)، والبغوي في شرح السنة (٥/ ٢٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٠٨).

(٣) رواه مسلم (٨٢) بنحوه، وابن ماجه (١٠٨٠) بلفظه.

وقال النبي ﷺ: «**إن عِظمَ الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**»[١] حسنه الترمذي.

قوله: «**وشق الجيوب**» قال الحافظ: المراد كمال فتحه. قال الشارح[٢]: الظاهر أن فتح بعضه كفتح كله.

قوله: «**ودعا بدعوى الجاهلية**» قال شيخ الإسلام: هو ندب الميت، وقال ابن القيم: الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصبية للأنساب، ومثله التعصب للمذاهب والطوائف والمشايخ.

قوله: «**عجل له العقوبة**» قال شيخ الإسلام: المصائب نعمة لأنها مكفرة للذنوب، ولأنها تدعو إلى الصبر فيثاب عليها، ولأنها تقتضي الإنابة إلى الله والذل له، فنفس البلاء يكفر الله به الخطايا، ومعلوم أن هذا، من أعظم النعم لو كان من رجل من أفجر الناس، فلا بد أن يخفف الله عنه عذابه بمصائبه؛ فالمصائب نعمة ورحمة في حق عموم الخلق إلا أن يدخل صاحبها بسببها في معاصٍ أعظم مما كان قبل ذلك فتكون شرًا عليه من جهة ما أصابه في دينه، فإن من الناس من إذا ابتُلي بفقر أو مرض أو جوع حصل له من الجزع والسخط والنفاق ومرض القلب والكفر الظاهر، أو ترك الواجبات وفعل المحرمات، ما يوجب له ضررًا في دينه بحسب

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٨٦)

(٢) التيسير (ص/ ٤٤٤).

ذلك، فهذا كانت العافية خير من جهة ما أورثته المصيبة لا من جهة نفس المصيبة.

قوله: «**أمسك عنه**» أي أخر عقوبته «**حتى يُوافِي**» بضم الياء وكسر الفاء منصوب بحتى.

قوله: «**وقال النبي**» رواه الترمذي عن أنس كالذي قبله.

قوله: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء**» أي من كان ابتلاؤه أعظم فجزاؤه أعظم، وقوله: «**فله الرضا**» أي من الله.

قوله: «**ومن سخط**» أي أقدار الله «**فله السخط**» منه، وفيه أن الله يرضى ويسخط خلافًا للجهمية؛ وقال ابن عون إرض بقضاء الله من عسر ومن يسر فإن ذلك أقل لهمك وأبلغ فيما تطلب من أجر آخرتك. واعلم أن العبد لن يصيب حقيقة الرضا حتى يكون رضاه عند الفقر والبلاء كرضاه عند الغنى والرخاء، كيف تستقضي الله في أمرك ثم تسخط إن رأيت قضاءه مخالفًا لهواك؟ ولعل ما هويت من ذلك لو وفق لك كان فيه هلاكك، وترضى بقضائه إذا وافق هواك، وذلك لقلة علمك بالغيب، إن كنت كذلك ما أنصفت من نفسك ولا أصبت باب الرضا، ذكره ابن رجب.

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية التغابن.

الثانية : أن هذا من الإيمان بالله.

الثالثة : الطعن في النسب.

الرابعة : شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية.

الخامسة : علامة إرادة الله بعبده الخير.

السادسة : إرادة الله به الشر.

السابعة : علامة حب الله للعبد.

الثامنة : تحريم السخط.

التاسعة : ثواب الرضا بالبلاء.

(٣٥)

باب ما جاء في الرياء (*)

وقول الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

(*) قال الحافظ : هو مشتق من الرؤية والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس بها فيُحمد صاحبها، انتهى.

قوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]، أي معبودكم واحد ، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ١١٠] من كان يخشى البعث في الآخرة رواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير . . . وقال شيخ الإسلام : أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يقتضي المشاهدة والمعاينة بعد السلوك والمسير، وقالوا : إن لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه : وأطال في ذلك واحتج له .

قوله : ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، قال ابن القيم : العمل الصالح هو السالم من الرياء المقيد بالسنة، وقوله : ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] فيه الرد على من قال أولئك يتشفعون بالأصنام ونحن نتشفع بصالح، لأنه قال : ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ فليس بعد هذا بيان، افتتح الآية بذكر براءة النبي ﷺ الذي هو أقرب الخلق

عن أبي هريرة مرفوعًا : «**قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»[1] رواه مسلم .

وعن أبي سعيد مرفوعًا : «**ألا أخبركم بما هو أخوفُ عليكم عندي من المسيح الدجّال ؟**»، قالوا : بلى، قال : «**الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي، فيُزيِّن صلاته، لما يرى من نظر رجل**»[2] رواه أحمد .

إلى الله سبحانه وسيلة وختمها بقوله ﴿أَحَدًا﴾ قاله المصنف .

قوله : «**تركته وشركه**» وفي رواية «**فأنا منه بريء**» وهو للذي أشرك والعمل المراءى فيه أقسام، فتارة يكون مقصود العمل من أصله الرياء فهذا باطل إجماعًا وصاحبه معاقب عليه، وتارة يكون ابتداءه لله ثم يطرأ عليه الرياء، فإن دفعه وردّه لم يضره وإن استرسل معه أبطل عليه وقيل لا يبطله، ويجازى على أصل نيته .

قوله : «**بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال**» إنما كان الرياء كذلك لخفائه وقوة الداعي إليه، وعُسر التخلص منه لما يزينه الشيطان والنفس الأمارة في قلب صاحبه . قاله الشارح[3] ثم فسره بقوله : «**يقوم الرجل ... الخ**» .

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥) .

(٢) رواه أحمد (٣/ ٣٠)، وابن ماجه (٤٢٠٤)، والحاكم (٤/ ٣٢٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٦٠٧) .

(٣) التيسير (ص/ ٤٥٩) .

* * *

فيـــه مســـائل

الأولـــــى : تفسير آية الكهف.

الثانيـــــة : الأمـر العظيـم في رد العـمـل الصـالح إذا دخلـه شـيء لغير الله.

الثـالثــــة : ذكر السبب الموجب لذلك، وهو كمال الغنى.

الـرابعـــــة : أن من الأسباب أنه خير الشركاء.

الخـامسـة : خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء.

السادسـة : أنه فسّر ذلك بأن المرء يصلي لله لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه.

(٣٦)

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا (*)

وقول الله تعالى : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

(*) قال الشارح[1] : قد ظن بعض الناس أن هذا الباب داخل في الرياء وأن هذا مجرد تكرير ؛ وأخطأ بل المراد بهذا أن يعمل الإنسان عملاً صالحًا يريد به الدنيا كالذي يجاهد لأجل الغنيمة ونحو ذلك.

قوله : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾ الآيتين [هود: ١٥-١٦]، قال المصنف رحمه الله : ذُكر عن السلف فيها أنواع ما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه.

فمن ذلك العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة أو صلة أو صلاة وإحسان إلى الناس، أو ترك ظلم ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصًا لله ؛ لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله أو تنميته أو حفظ أهله وعياله أو إدامة النعمة عليهم ؛ ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يُعطى ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب ؛ وهذا النوع ذكره ابن عباس[2].

---

(١) التيسير (ص/ ٤٦١).

(٢) وهذا هو النوع الأول.

في الصحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «**تعس عبدُ الدينار، تعسَ عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد**

النوع الثاني : وهو أكبر من الأول وأخوف وهو الذي ذكر مجاهد في الآية أنها نزلت فيه، وهو أن يعمل أعمالاً صالحة ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة.

النوع الثالث : أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالاً مثل أن يحج لمال يأخذه لا لله أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذكر هذا النوع أيضًا في تفسير هذه الآية، وكما يتعلم الرجل لأجل مدارسة أهله أو رياستهم، أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثيرًا؛ وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم لأنهم عملوا لمصلحة يحصلونها، والذين قبلهم عملوا لأجل المدح والجلالة في أعين الناس، ولا يحصل لهم طائل، والنوع الأول أعقل من هؤلاء كلهم لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له لكن لم يطلبوا منه الخير الكثير الدائم وهو الجنة؛ ولم يهربوا من الشر العظيم وهو النار.

النوع الرابع : أن يعمل بطاعة الله مخلصًا في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفره كفرًا يخرجه عن الإسلام مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجه عن الإسلام بالكلية، إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام، وتمنع قبول

الخميلة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعطَ سخط، تعس وانتكس، وإذا شيكَ فلا انتقش، طُوبى لعبدٍ أخذ بعنان فرسِه في سبيل الله، أشعث رأسُهُ، مُغبَّرةً قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يُؤذن لهُ، وإن شفعَ لم يُشفَّع»[1].

أعمالهم؛ فهذا النوع أيضًا ذكر في هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره، وكان السلف يخافون منها. لكن بقي أن يقال إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالبًا ثواب الآخرة ثم بعد ذلك عمل أعمالاً قاصدًا بها الدنيا مثل أن يحج فرض الله ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو الواقع فهو لما غلب عليه منها، وقد قال بعضهم: القرآن كثيرًا ما يذكر أهل الجنة الخلَص وأهل النار الخلص، ويسكت عن صاحب الشائبتين، وهو هذا وأمثاله. انتهى كلامه رحمه الله، ولعلك لا تجده لغيره، والبعض الذي أشار إليه لعله ابن القيم فإنه ذكر ذلك في «طبقات المكلفين».

قوله: «**تعس**» المراد هلك، قاله الحافظ، والخميصة ثوب خز أو صوف معلم، والخميلة القطيفة وهي ثوب له خمل وقيل الخميل الأسود من الثياب. قوله: «**وانتكس**» أي انقلب على رأسه بعد أن سقط، ذكره ابن الأثير. قوله: «**وإذا شيك فلا انتقش**» أي إذا أصابته شوكة لم يقدر على نقشها أي إخراجها بالمنقاش، قال شيخ الإسلام: فسماه النبي ﷺ

---

(١) رواه البخاري (٢٨٨٦، ٢٨٨٧، ٦٤٣٥).

عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة والخميصة؛ وذكر فيه ما هو دعاء وخبر، وهو تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، وهذا حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه، ولم يفلح لكونه تعس وانتكس، فلا نال المطلوب، ولا خلص من المكروه؛ وهذا حال من عبد المال؛ وقد وصف ذلك بأنه إن أُعطي رضي وإن مُنع سخط كما قال تعالى : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]، فرضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله؛ وهكذا حال من كان متعلقًا برياسة أو بصورة ونحو ذلك من أهواء نفسه، إن حصل له رضي وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له، إذ رق العبودية رق القلب وعبوديته، فما استرقَّ القلب واستعبده فهو عبده؛ إلى أن قال :

وهكذا أيضًا طالب المال فإن ذلك يسترقه ويستعبده، وهذه الأمور نوعان فمنها ما يحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك، فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه، وبساطه الذي يجلس عليه من غير أن يستعبده فيكون هلوعًا. ومنها ما لا يحتاج إليه العبد، فهذا ينبغي أن لا يعلق قلبه بها، فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبدًا لها، وربما صار مستعبدًا معتمدًا على غير الله فيها، فلا يبقى معه حقيقة العبودية لله، ولا حقيقة التوكل عليه بل شعبة من العبادة لغير الله، وشعبة من التوكل على غير الله. فهذا من أحق الناس بقوله : «**تعس عبد الدرهم تعس عبد**

الدينار تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة» وهذا هو عبد لهذه الأمور ولو طلبها من الله فإن الله إذا أعطاه إياها رضي، وإن منعه إياها سخط، وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ويسخطه ما يسخط الله، ويحب ما أحب الله ورسوله، ويبغض ما أبغض الله ورسوله، ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله، فهذا الذي استكمل الإيمان. انتهى ملخصًا.

قوله: «**إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة**» قال الخلخالي: معناه ائتماره بما أُمر وإقامته لها حيث أقيم لا يُفقد من مكانه.

* * *

فيه مسائل

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هود.

الثالثة: تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة.

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أُعطي رضي، وإن لم يعط سخط.

الخامسة: قوله «**تعس وانتكس**».

السادسة: قوله «**وإذا شيك فلا انتقش**».

السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

(٣٧)

باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أرباباً من دون الله

وقال ابن عباس : «يُوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ ، وتقولون قال : أبو بكر وعمر؟!»(١).
وقال الإمام أحمد بن حنبل : عَجبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحته،

وأما قوله : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، قال ابن القيم : التحقيق أنهم الأمراء والعلماء فإنما تجب طاعتهم إذا أمروا بطاعة الله ورسوله فهي تبع لا استقلال، يدل على ذلك حذف قوله: ﴿وَأَطِيعُوا﴾ من الثالث فإنه قال : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ثم قال: ﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ هذا معنى كلام ابن القيم، فأما إذا أمروا بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قوله : «**يوشك**» قال ابن الأثير : أي يقرب ويدنو ويسرع، وهذا الكلام قاله ابن عباس لمن ناظره في متعة الحج، وكان ابن عباس يأمر بها؛ فاحتج عليه المناظر بنهي أبي بكر وعمر عنها أي وهما أعلم منك، فقال

---

(١) رواه أحمد (٣١٢١)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٤٥)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٢٣٩-٤٠)، وهو صحيح. انظر : الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد (ص/ ١٢٩).

يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعلَّه إذا رُدَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيءٌ من الزَّيغ فيهلك.

ذلك. وقال الشافعي: أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد.

قوله: «**وقال أحمد**» . . . الخ. هذا الكلام قاله أحمد لما قيل له: إن قومًا يدعون الحديث ويذهبون إلى رأي سفيان أي الثوري. قوله: «**لسنا نعبدهم**» ظن أن المراد التقرب إليهم بنحو صلاة أو ذبح؛ فبين ﷺ أن المراد طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام.

قال شيخ الإسلام: وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وعكسه يكونون على وجهين:

أحدهما: أنهم يعلمون أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل؛ فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعًا لرؤسائهم، مع علمهم بأنهم خالفوا دين الرسول، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركًا وإن لم يكونوا يُصلون لهم ويسجدون.

الثاني: أن يكون اعتقادهم، وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتًا لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي. فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، ثم نقول

عن عدي بن حاتم : أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية [التوبة : ٣١]، فقلت له : إنَّا لسنا نعبُدهم، قال : «أليس يُحرِّمون ما أحل الله فتحرِّمونه، ويحلون ما حرَّم الله فتحلونه؟»، فقلت : بلى، قال : «فتلك عبادتهم» رواه أحمد والترمذي وحسنه[1].

إتباع هذا المحلل للحرام والمحرم للحلال إن كان مجتهدًا قصده اتباع الرسول لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر؛ وقد اتقى الله ما استطاع؛ فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه، بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه، ولكن من علم أن هذا أخطأ فيما جاء به الرسول ﷺ، ثم اتبعه على خطئه فله نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله، وأما إن كان المتبع للمجتهد عاجزًا عن معرفة الحق على التفصيل وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد، فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ، وأما إن قلد شخصًا دون نظيره بمجرد هواه، ونصره بيده ولسانه من غير علم أن الحق معه، فهذا من أهل الجاهلية، فإن كان متبوعه مصيبًا لم يكن عمله صالحًا، وإن كان متبوعه مخطئًا كان آثمًا كمن قال في القرآن برأيه فإن أصاب فقد أخطأ وإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار، انتهى ملخصًا.

فتبين أن كثيرًا من الناس ينتسب إلى أهل العلم وهو من أهل الجاهلية ولولا ظلمة الجهل لما اختار فلانًا ونصر أقواله من غير اعتبار خطئها من

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٥) وحسنه، والإمام أحمد (٤/ ٢٥٧، ٣٧٨) والحديث صحيح.

صوابها، ورد أقوال الآخر ولم يلتفت إليها وإن كان الحق فيها.

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية النور.

الثانية : تفسير آية براءة.

الثالثة : التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي.

الرابعة : تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة : تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمى الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الأحوال إلى أن عُبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعُبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

(٣٨)

باب قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ الآيات [النساء : ٦٠] .

وقوله : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف : ٥٦] .

قال ابن كثير : هذه الآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت هنا .

قوله : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف : ٨٥]، قال ابن القيم : قال أكثر المفسرين لا تفسدوا فيها بالمعاصي ، والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ، ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله ، فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فساد في الأرض ، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك ومخالفة أمره ، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود ، والدعوة له لا لغيره ، والطاعة والاتباع لرسله ، ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله ، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله .

وقوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

وقوله : ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الآية [المائدة: ٥٠].

قوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]، قال أبو العالية في الآية : يعني لا تعصوا في الأرض وكان فسادهم ذلك معصية الله لأنه من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة. قوله : ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الآية [المائدة: ٥٠]. قال ابن كثير : ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المشتمل على كل خير وعدل، الناهي عن كل شر، إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، وكما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيز خان الذي وضع لهم كتابًا، مجموعًا من أحكام اقتبسها من شرائع شتى ومن الملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره، فصار في بنيه يقدمونه على الكتاب والسنة بالحكم ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يُحكّم سواه في قليل ولا كثير، قال تعالى : ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، أي يريدون : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وآمن وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين وأرحم بعباده من الوالدة بولدها. فإنه تعالى العالم بكل شيء

عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**». قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح[1].

وقال الشعبي: «كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خُصومةٌ، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد، عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جُهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾[2] الآية [النساء: ٦٠]. وقيل: «نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم، فضربهُ بالسيف، فقتله»[3].

القادر على كل شيء العادل في كل شيء.

قوله: «**لا يؤمن أحدكم**»... الخ. قال ابن رجب: معناه أن

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٥) (١/ ٤٦) دار الصميعي، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٧٩)، وابن نصر المقدسي في كتاب الحجة - المختصر - رقم (٢٥)، وضعفه ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٩٤).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٩٨٩١، ٩٨٩٢، ٩٨٩٣)، وهو ضعيف لإرساله.

(٣) رواه الثعلبي كما في الدر المنثور (٢/ ٥٨٢)، وهو ضعيف جدًا.

الإنسان لا يكون مؤمنًا كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي وغيرها فيحب ما أمر به ويكره ما نهى عنه، قوله : «**قال الشعبي**» رواه ابن جرير وابن المنذر بنحوه.

قوله : «**لا يأخذ الرشوة**» قال ابن الأثير : هي الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة، وأصله من الرشا الذي يتوصل به إلى الماء.

قوله : «**وقيل نزلت في رجلين**» . . . الخ، قال الشارح[1] : هذه القصة قد رويت من طرق متعددة وهي مشهورة متداولة بين السلف والخلف.

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت.

الثانية : تفسير آية البقرة ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ**﴾[البقرة: ١١].

الثالثة : تفسير آية الأعراف ﴿**وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا**﴾ [الأعراف: ٥٦].

(١) التيسير (ص/ ٤٩٦).

الرابعة : تفسير ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

الخامسة : ما قال الشعبي في سبب نزول الآية الأولى.

السادسة : تفسير الإيمان الصادق والكاذب.

السابعة : قصة عمر مع المنافق.

الثامنة : كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ.

(٣٩)

باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى : ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

وفي صحيح البخاري قال علي : «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله؟»[١].

قوله : ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠]، أي بعض كفار قريش يجحدون اسم الرحمن كما يأتي.

قوله : «ولما سمعت قريش ...» الخ، وليس المراد أنهم يجحدون الله، قال الله : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

قوله : «حدثوا الناس بما يعرفون» قال الحافظ : زاد آدم بن أبي إياس في كتاب العلم له عن عبدالله بن داود عن معروف في آخره «ودعوا ما ينكرون» وقال ابن مسعود : ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة، رواه مسلم[٢].

---

(١) رواه البخاري (١٢٧).

(٢) رواه مسلم (٥).

وروى عبدالرزاق عن معمر عن ابن طاوُس عن أبيه عن ابن عباس: «أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات استنكارًا لذلك، فقال: ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رِقَّةً عند مُحكمه، ويَهلكون عند مُتشابهه؟»(١) انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكُرُ الرحمن، أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾(٢) [الرعد: ٣٠].

(قلت): المراد أن الأشياء التي يجهلها العامة مما لا يجب عليهم تعلمه إذا ظن إنكارهم له الأولى ترك ذكره لهم، فأما ما يجب عليهم تعلمه فإنه لا يترك لخوف افتتان أحد بإنكاره، بل الواجب تعليم الناس ذلك ونشره بالأسهل.

قوله: **«ما فرَق هؤلاء»** فيه وجهان فتح الفاء والراء وضم القاف مخففًا، و **«ما»** استفهامية أي ما خوف هؤلاء من آيات الصفات واستنكارهم لها. والمراد الإنكار؛ ويجوز فتح الفاء والراء والقاف مشدد ومخفف أي ما فرق هذا وأضرابه بين الحق والباطل.

قوله: **«يجدون رقة»** أي لينًا وقبولاً للمحكم، **«ويهلكون عند متشابهه»** أي ما يشتبه عليهم فهمه ومعرفته، فالتشابه أمر نسبي فقد يكون الشيء مشتبهًا على واحد؛ واضحًا جليًا عند الآخر.

---

(١) رواه عبدالرزاق في مصنفه (٢٠٨٩٥)، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (٤٨٥)، وقال الألباني: إسناده صحيح.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (١٣/ ١٠١) عن مجاهد مرسلاً وهو ضعيف.

قوله: «ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ ... الخ». قال الشارح[1]: ذكر المصنف هذا الأثر بالمعنى وقد روى ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج في الآية، قال: هذا لما كاتب رسول الله ﷺ قريش بالحديبية كتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقالوا: لا تكتب الرحمن، ولا ندري ما الرحمن ولا تكتب، إلا «باسمك اللهم»، فأنزل الله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي﴾[2] [الرعد: ٣٠]. أي: قل يا محمد رادًا عليهم في كفرهم بالرحمن هو ربي أي الرحمن عز وجل ربي لا إله إلا هو أي لا معبود سواه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠]، أي إليه مرجعي وأوبتي وهو مصدر من قول القائل: تبت متابًا وتوبة، قاله ابن جرير.

* * *

فيه مسائل

الأولى: عدم الإيمان بشيء من الأسماء والصفات.

الثانية: تفسير آية الرعد.

الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع.

الرابعة: ذكر العلة، أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله، ولو لم يتعمد المنكر.

الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئًا من ذلك، وأنه أهلكه.

---

(١) التيسير (ص/ ٥٠٤).

(٢) انظر تفسير ابن جرير رقم (٢٠٣٩٨).

(٤٠)

باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ الآية [النحل: ٨٣].

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي. ورثته عن آبائي. وقال عونُ بن عبدالله: يقولون: لولا فلانٌ لم يكن كذا. وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

وقال أبو العباس، بعد حديث زيد بن خالد، الذي فيه أن الله تعالى قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ...» الحديث، وقد

قوله: «**قال مجاهد**» أي في تفسير الآية ولفظه المساكن والأنعام وسرابيل الثياب والحديد يعرفه كفار قريش، ثم ينكرونه بأن يقولوا: هذا كان لآبائنا ورثناه عنهم. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم. قال ابن القيم: لما أضافوا النعمة إلى غير الله فقد أنكروا نعمة الله بنسبتها إلى غيره، فإن الذي يقول هذا جاحد لنعمة الله عليه غير معترف بها. ذكره الشارح بمعناه[1].

قوله: «**وقال عون**» رواه ابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم. قال ابن القيم: هذا يتضمن قطع إضافة النعمة عمن لولاه لم تكن؛ وإضافتها إلى من لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا فضلاً عن غيره.

---

(١) التيسير (ص/ ٥٠٥).

تقدم، وهذا كثير في الكتاب والسنة، يَذمُّ سبحانه من يُضيف إنعامه إلى غيره. ويشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم كانت الريح طيبة، والملاح حاذقًا، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير.

قوله: «**وقال ابن قتيبة ... الخ**». قال ابن القيم: هذا يتضمن الشرك مع إضافة النعمة إلى غير وليها، فالآلهة التي تعبد من دون الله أذل وأحقر من أن تشفع عند الله؛ وهي محضرة في الهوان والعذاب مع عابديها، وأقرب الخلق إلى الله وأحبهم إليه لا يشفع عنده إلا من بعد إذنه لمن ارتضاه.

قوله: «**كانت الريح طيبة والملاح حاذقًا**» الملاح والي السفينة؛ والمعنى أن الله إذا أجرى السفينة وسلمها نسبوا ذلك إلى الريح والملاح ونسوا ربهم.

* * *

فيه مسائل

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.
الثانية: معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير.
الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكارًا للنعمة.
الرابعة: اجتماع الضدين في القلب.

(٤١)

باب قول الله تعالى : ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

قال ابن عباس في الآية : «الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول : والله وحياتك يا فُلان وحياتي، وتقول : لولا كليبةُ هذا لأتانا اللصوص، ولولا البطِّ في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت، وقول الرجل : لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانًا، هذا كله به شرك» رواه ابن أبي حاتم[1].

قال ابن القيم : فتأمل هذه وشدة لزومها لتلك المقدمات قبلها، وظفر العقل بها بأول وهلة؛ وخلوصها من كل شبهة وريب وقادح، إذا كان الله وحده هو الذي فعل هذه الأفعال فكيف تجعلون لله أندادًا وقد علمتم أنه لا ند له يشاركه في فعله. (قلت) يشير بالمقدمات إلى قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، وما بعدها.

قوله : «**أخفى من دبيب النمل**» وروى ابن نصر عن ابن مسعود قال: «الربا بضع وسبعون بابًا والشرك نحو ذلك»، وروي عنه أيضًا أنه

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في التفسير (٢٣٠)، وسنده حسن.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك**» رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم[1].

قال: «الربا ثلاثة وسبعون بابًا والشرك نحو ذلك». قوله: «**لولا البط**» يريد طائرٍ يتخذ في البيوت إذا دخل غير أهلها صاح. قوله: «**هذا كله به شرك**» أي بالله.

قوله: «**عن عمر**» قال الشارح[2]: الصواب عن ابن عمر، كذلك أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم وصححه ابن حبان قال ابن العراقي: إسناده ثقات. وفي الصحيحين من حديث ابن عمر مرفوعًا: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**»[3]، وعن بريدة مرفوعًا: «**من حلف بالأمانة فليس منا**»[4] رواه أبو داود. وقال ابن عبدالبر: لا يجوز الحلف بغير الله بالاجماع. قوله: «**فقد كفر أو أشرك**» أخذ به طائفة فذهبوا إلى كفر الحالف بغير الله، وقال الأكثرون لا يكفر كفرًا ينقله عن الملة؛ لكنه شرك أصغر فهو

---

(١) رواه الترمذي (١٥٣٥)، والحاكم (١/ ١٨، ٤/ ٢٩٧)، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه أبو داود (٣٢٥١)، وابن حبان (٤٣٥٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٤٢).

(٢) التيسير (ص/ ٥١١).

(٣) رواه البخاري (٦٦٤٦)، ومسلم (١٦٤٦).

(٤) رواه أبو داود (٣٢٥٣)، وصححه الألباني.

وقال ابن مسعود: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا»[١].

وعن حُذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**» رواه أبو داود بسند صحيح[٢].

وجاء عن إبراهيم النخعي، أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك، قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا لولا الله وفلان[٣].

حرام بل هو أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر؛ وأما قوله: «**أفلح وأبيه إن صدق**» ونحوه، فقال الشارح[٤]: الحق أن هذا كان قبل النهي عن ذلك ثم نسخ. قال السهيلي: وعليه أكثر الشراح.

قوله: «**وقال ابن مسعود**» رواه الطبراني وذكره ابن جرير غير مسند، قال شيخ الإسلام: وإنما رجح ابن مسعود الحلف بالله كاذبًا على الحلف بغيره صادقًا لأن الحلف بالله توحيد، والحلف بغير ه شرك وإن قدر الصدق في الحلف بغير الله، فحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف (٨/ ٤٦٩)، والطبراني في الكبير (٨٩٠٢).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٨٠)، وأحمد (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٧).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت (٣٤٧).

(٤) التيسير (ص/ ٥١٣).

وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك، قوله : «**وجاء عن إبراهيم**» رواه عبدالرزاق وابن أبي الدنيا .

* * *

فيـــه مســـائل

الأولـــــــى : تفسير اية البقرة في الأنداد .

الثـانيـــــــة : أن الصحابة يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعم الأصغر .

الثـالثـــــــة : أن الحلف بغير الله شرك .

الـرابعـــــــة : أنه إذا حلف بغير الله صادقًا فهو أكبر من اليمين الغموس .

الخـامســـــة : الفرق بين (الواو) و (ثم) في اللفظ .

(٤٢)

باب ما جاء فيمن لم يقتنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : **«لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله»**[١] رواه ابن ماجه بسند حسن.

قوله : **«من حُلف له بالله فليرض»** أي : يجب عليه الرضا.

قوله: **«ومن لم يرض فليس من الله»** فيه وعيد لمن لم يرض بالله؛ قال الشارح[٢]: وحُدثتُ عن المصنف أنه حمله على اليمين في الدعاوي، كمن يتحاكم عند الحاكم، فيحكم على خصومه باليمين فيحلف، فيجب عليه أن يرضى.

وقال الشيخ تقي الدين : ولا يغلظ اليمين بالتحليف عندما لم يشرع للمسلمين تعظيمه كما لا يغلظ بالتحليف عند المشاهد ومقامات الأنبياء ونحو ذلك، ومن فعل ذلك فهو مبتدع ضال مخالف للشريعة.

* * *

---

(١) رواه ابن ماجه (٢١٣١)، وصححه الألباني في الإرواء (٢٦٩٨).

(٢) التيسير (ص / ٥١٨).

فيـــه مســـائل

الأولـــــى : النهي عن الحلف بالآباء.

الثـانيـــــة : لأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

الثـالثـــــة : وعيد من لم يرضَ.

(٤٣)

باب قول : ما شاء الله وشئت [*]

عن قُتيلة : أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال : إنكم تشركون، تقولون : ما شاء الله وشئت، وتقولون : والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : «**ورب الكعبة**»، وأن يقولوا : «**ما شاء الله ثم شئت**» رواه النسائي وصححه[1].

وله أيضًا عن ابن عباس : أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت، فقال : «**أجعلتني لله ندًا؟ ما شاء الله وحده**»[2].

(*) أي : ما حكم التلفظ به.

قوله : «**عن قُتيلة**» بضم القاف مصغر.

قوله : «**إنكم تشركون**» قال الشارح[3] : هذا نص في أن هذا اللفظ من الشرك، لأن النبي أقر اليهودي على تسمية هذا اللفظ تنديدًا وشركًا،

---

(١) روه النسائي في المجتبى (٣٧٧٣)، وأحمد (٦/ ٣٧١، ٣٧٢)، والحاكم (٤/ ٢٩٧) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٦).

(٢) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٩٨٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٩).

(٣) التيسير (ص/ ٥١٩).

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها، قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: عزيرٌ ابن الله، قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، ثم مررتُ بنفر من النصارى، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: «**هل أخبرت بها أحداً؟**»، قلت: نعم، قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد، فإن طُفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعُني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده**»[1].

ونهى عن ذلك وأرشد إلى اللفظ البعيد من الشرك، وهو قول: ما شاء الله ثم شئت، وإن كان الأولى قول: ما شاء الله وحده، كما يدل عليه حديث ابن عباس وغيره.

قوله: «**وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا**» في رواية أحمد والطبراني: «**كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم**

---

(١) رواه ابن ماجه (٢١١٨)، وأحمد (٥/ ٧٢، ٣٩٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٢٠٠).

عنها»، وهذا الحياء منهم ليس على سبيل الحياء عن الإنكار عليهم، بل كان ﷺ يكرهها ويستحي أن ينكرها لأنه لم يؤمر بإنكارها، فلما جاء الأمر الإلهي بالرؤيا أنكرها، ولم يستح في ذلك، قاله الشارح[١].

* * *

فيه مسائل

الأولى : معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية : فهم الإنسان إذا كان له هوى.

الثالثة : قوله ﷺ: «**أجعلتني لله ندًا**»، فكيف بمن قال: «**ما لي من ألوذ به سواك ... والبيتين بعده؟**».

الرابعة : أن هذا ليس من الشرك الأكبر، لقوله: «**يمنعني كذا وكذا**».

الخامسة : أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

السادسة : أنها قد تكون سببًا لشرع بعض الأحكام.

(٢) التيسير (ص/ ٥٢٥).

(٤٤)

باب من سبّ الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى : ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية : ٢٤].

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «**قال الله تعالى : يُوذيني ابن آدم ، يسبُّ الدهر ، وأنا الدهر ، أقلِّبُ الليل والنهار**»[١].

وأما الضرر فلا يضر الله أحد. قوله : ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ الآية. قال ابن جرير : أي ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها لا حياة سواها تكذيبًا منهم بالبعث بعد الموت. ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ قال ابن كثير : يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة؛ وهذا يقوله مشركوا العرب المنكرون للمعاد، وتقوله الفلاسفة الدورية المنكرون للصانع، المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا العقول، وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا : ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾. قال ابن جرير : أي ما يفنينا إلا مر الليالي والأيام وطول العمر؛ إنكارًا منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم ﴿وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٤]، قال ابن جرير :

---

(١) رواه البخاري (٤٨٢٦ ، ٦١٨١ ، ٧٤٩١)، ومسلم (٢٢٤٦) بلفظ آخر.

وفي رواية: «**لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر**»[1].

يعني من يقين علم ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]، قال ابن كثير: أي يتوهمون ويتخيلون.

قوله: «**يؤذيني ابن آدم ... الخ**»، صريح في تحريم سب الدهر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وسبه كقول ابن المعتز:

يا دهر ويحك ما أبقيت لي أحداً

وأنت والد سوء تأكل الولدا

وقول أبي الطيب:

قبحاً لوجهك يا زمان فإنه

وجه له في كل قبح برقع

قال ابن القيم: وفي هذا ثلاث مفاسد:

أحدها: من ليس أهلاً للسب فإن الدهر خلق مسخر فسابه أولى بالذم منه.

الثانية: إن سبه متضمن للشرك فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع، وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر وأعطى من لا يستحق العطاء.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٤٦).

الثالثة : إن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، فساب الدهر دائر بين أمرين لابد له من أحدهما : إما مسبة الله أو الشرك به، فإنه إن اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك وهو يسب من فعله فقد سب الله تعالى، انتهى ملخصًا.

قوله : «**وأنا الدهر**» قال الخطابي : معناه أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور. انتهى. وقد غلط من عد الدهر من أسماء الله تعالى ولو كان ذلك حقًا لكان الذين قالوا : ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ صادقين، ولم يرد الله عليهم بقوله : ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾، قال المصنف : وفيه أنه قد يكون سبًا ولو لم يقصده بقلبه.

* * *

فيه مسائل

الأولى : النهي عن سب الدهر.

الثانية : تسميته أذىً لله.

الثالثة : التأمل في قوله : «**فإن الله هو الدهر**».

الرابعة : أنه قد يكون سابًا ولو لم يقصده بقلبه.

(٤٥)

باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «**إن أخنع اسم عند الله، رجلٌ تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله**»(١).

قال سفيان : مثل شاهان شاه.

وفي رواية : «**أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه**»(٢).

قوله «**أخنع**» يعني : أوضع.

قوله : «**إن أخنع**» قال المصنف : يعني أوضع، وروى الطبراني : «**اشتد غضب الله على من زعم أنه مَلِكُ الأملاك**»(٣).

قوله «**تسمى**» بفتح التاء الفوقية والسين المهملة أي سمى نفسه؛ وقيل بضم الياء التحتية أي يدعى بذلك ويرضى به.

قوله : «**لا مالك إلا الله**» هو الذي يستحق هذا الاسم؛ ومن تسمى به فقد كذب وافترى وادعى ما ليس له، فلذلك صار أذل الناس عند الله يوم القيامة. قال ابن القيم : الملك المتصرف بفعله والملك المتصرف بفعله وأمره. وسفيان هو ابن عيينة.

---

(١) رواه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣).

(٢) رواه مسلم (٢١٤٣)، وأحمد (٢/ ٣١٥).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١١/ ٣٩٦ رقم ١٢١١٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٩٩٨).

قوله: «مثل شاهن شاه» قال ابن القيم: ملك الملوك، وسلطان السلاطين، انتهى.

ومراد سفيان أن الحديث متناول لمثل هذا بأي لسان فلا ينحصر في لفظ بعينه بل ما أدى هذا المعنى فهو داخل في الحديث، هذا معنى كلام الحافظ، وقد زعم بعض المتأخرين أن التسمي بقاضي القضاة ونحوه جائز واستدلوا بحديث «أقضاكم علي»[1] وتعقبه العلم العراقي فصوب المنع ورد ما احتج به، بأن التفضيل في ذلك وقع في حق من خوطب به، ومن يلتحق بهم فليس مساويًا في الإطلاق التفضيل بالألف واللام، قال: ولا يخفى ما في إطلاق ذلك من الجرأة وسوء الأدب، ولا عبرة بقول من وُلِّي القضاء فنعت بذلك فلذَّ في سمعه فاختار الجواز؛ فإن الحق أحق أن يتبع.

* * *

فيه مسائل

الأولى: النهي عن التسمي بمَلِك الأملاك.

الثانية: أن ما في معناه مثله، كما قال سفيان.

الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

الرابعة: التفطن أن هذا لإجلال الله سبحانه.

(١) رواه العقيلي في الضعفاء (٢/ ١٥٩) وهو ضعيف جدًا. انظر: ضعيف الجامع (٧٧٦).

(٤٦)

باب احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شُريح : أنه كان يُكنى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ : «إن الله هو الحَكَمُ، وإليه الحُكْمُ»، فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتَوْني فَحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين، فقال: «ما أحسنَ هذا، فما لكَ من الولد؟»، قلت: شُريح، ومسلم، وعبدالله، قال: «فمن أكبرهم؟»، قلت: شُريح، قال : «فأنت أبو شُريح» رواه أبو داود وغيره[1].

قوله : «عن أبي شريح» قال الحافظ اسمه هاني بن يزيد الكندي.

قوله : «إن الله هو الحَكَم» قال البغوي : هو الذي إذا حكم لا يرد حكمه وهذه الصفة لا تليق بغيره تعالى.

قوله : «وإليه الحُكُم» أي الفصل بين العباد في الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي في المجتبى (٨/ ٢٢٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٣٦ رقم ٤١٤٥).

قوله : «**إن قومي إذا اختلفوا في شيء... الخ**» أي سماني قومي بذلك لذلك.

قوله : «**ما أحسن هذا**» قال بعضهم : أي الحكم بين الناس حسن وقيل أي ما أحسن ما ذكرته من وجه الكنية قيل وهو الأولى.

قوله : «**فأنت أبو شريح**» قال البغوي : فيه أنه يُكنى الرجل بأكبر بنيه، فإن لم يكن ابن فبأكبر بناته وكذلك المرأة.

* * *

فيه مسائل

الأولى : احترام صفات الله وأسماء الله، ولو لم يقصد معناه.

الثانية : تغيير الاسم لأجل ذلك.

الثالثة : اختيار أكبر الأبناء للكنية.

(٤٧)

باب من هزل بشيء (*)

فيه ذكرُ الله ، أو القرآن ، أو الرسول

وقول الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة : ٦٥] .

(*) أي من فعل ذلك كفر إجماعًا لاستخفافه بالربوبية أو الرسالة .

قوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ الآية [التوبة : ٦٥]. يقول تعالى : ولئن سألت يا محمد هؤلاء الذين تكلموا بالاستهزاء ليقولن معتذرين إنما كنا نخوض ونلعب أي لم نقصد حقيقة ذلك ، فأخبرهم أن عذرهم لا يغني شيئًا وأنهم كفروا بعد إيمانهم . قال شيخ الإسلام : وقول من قال إنهم كفروا بعد إيمانهم مع كفرهم أولاً بقلوبهم لا يصح ، لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر فلا يقال قد كفرتم بعد إيمانكم فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر ، وإن أريد أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان فهم لم يظهروا ذلك إلا لخواصهم ، وهم مع خواصهم ما زالوا هكذا بل لما نافقوا وحذروا أن تنزل عليهم سورة تُبين ما في قلوبهم من النفاق ، وتكلموا بالاستهزاء صاروا كافرين بعد إيمانهم ، ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين ؛ إلى أن قال : لئن سألتهم

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة، - دخل حديث بعضهم في بعض - : أنه قال رجلٌ في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء، أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبنَ

ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب، فاعترفوا واعتذروا، ولهذا قيل : ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ [التوبة : ٦٦]، فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفرًا، بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر، فبين أن الاستهزاء بآيات الله ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه؛ فدل على أنه كان عندهم إيمان ضعيف ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا أنه محرم، ولكن لم يظنوه كفرًا، وكان كفرًا كفروا به، فإنهم لم يعتقدوا جوازه، قال : وفي الآية دليل على أن الرجل إذا فعل الكفر ولم يعلم أنه كفر لا يعذر بذلك بل يكفر؛ وعلى أن الساب كافر بطريق أولى.

قوله : «**دخل حديث بعضهم في بعض**» أي أنه مجموع من رواياتهم. قوله : «**أرغب بطونًا**» أي أوسع، يريد كثرة الأكل وهو وإن كان مذمومًا لكن هذا ذكره استهزاء، وقد كذب هذا فإن الصحابة هم أحسن الناس اقتصادًا في الأكل وغيره بل المنافقون والكفار أوسع بطونًا وأكثر أكلاً كما صحت بذلك الأحاديث، وكذلك المنافقون أشد الناس جبنًا وهم أكذب خلق الله كما وصفهم الله بذلك في كتابه، ولهذا قال له عوف «**كذبت**». قوله : «**ولكنك منافق**» فيه جواز وصف الرجل بالنفاق إذا ظهر منه ما يدل عليه، قوله : «**لأخبرن رسول الله ﷺ**» هذا من النصيحة لله ولرسوله.

عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القُراء، فقال له عوفُ بن مالك: كذبت، ولكنك منافقٌ، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقهُ، فجاء ذلك الرجلُ إلى رسول الله ﷺ، وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق، قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعَة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكبُ رجليه، وهو يقول: إنما كنَّا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]، ما يلتفت إليه وما يزيده عليه[١].

قوله: «بنِسعة» بكسر النون. قال ابن الأثير: سير مضفور يجعل زمامًا للبعير وقد تنسج عريضة تجعل على صدر البعير. قوله: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ﴾ ... الخ، فيه اعتبار المقاصد، لأنهم لم يذكروا الله ولا رسوله ولا كتابه. فإن قيل كيف لم يقتلهم؟ قيل: مخافة أن يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه كما علله بذلك ﷺ.

تتمـــة: القول الصريح في الاستهزاء هذا وما يشابهه، وأما الفعل الصريح فمثل مد الشفة وإخراج اللسان، ورمز العين، وما يفعله

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (١٦٩١١، ١٦٩١٢، ١٦٩١٤، ١٦٩١٦)، وإسناده صحيح. انظر: الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل الوادعي (ص/ ١٢٢ - ١٢٣).

كثير من الناس عند الأمر بالصلاة والزكاة، فكيف بالتوحيد، قاله المصنف .

قال وفيه مسائل :

الأولى : وهي العظيمة أن من هزل بهذا إنه كافر .

الثانية : أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنًا من كان .

الثالثة : الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله .

الرابعة : الفرق بين العفو الذي يحبه الله ومن الغلظة على أعداء الله .

الخامسة : أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يُقبل .

(٤٨)

باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴾ الآية [فصلت: ٥٠].

قال مجاهد : هذا بعملي ، وأنا محقوق به . وقال ابن عباس : يريد من عندي . وقوله : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ [القصص: ٧٨]. قال قتادة : على علم مني بوجوه المكاسب ، وقال آخرون : على علم من الله أني له أهل ، وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف[١].

المراد بهذه الترجمة بيان أن ما يحصل للعبد من النعم والفوائد مجرد فضل من الله وإحسان .

قوله : «**قال مجاهد**» رواه عبد بن حميد وابن جرير بنحوه، قوله : «**بعملي أي كسبي واحترافي**»، قوله : «**محقوق به**» أي مستحق له، قوله : «**وقال قتادة**» رواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم . قوله : «**عن أبي هريرة**» هذا سياق مسلم . قوله : «**فأراد الله**» ورواية البخاري «**بدا لله**» بالباء الموحدة والدال المهملة وكسر لام الجلالة . قال ابن قرقول ضبطناه بالهمز ، ورواه كثير من الشيوخ بلا همز ، قوله : «**قذرني الناس**»

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٢٤/ ١٢).

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم مَلَكًا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به، قال: فمسحه، فذهب عنه قذره، فأُعْطيَ لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا، قال:**

بكسر الذال المعجمة أي كرهوني. انتهى من «**تنقيح الزركشي**»، قوله: «شك إسحاق» أي ابن عبدالله بن أبي طلحة. قوله: «**ناقة عُشراء**» بعين مهملة مضمومة وشين معجمة مفتوحة وبالمد غير منصرف، قال في «تيسير الوصول»: هي الحامل وقيل هي التي أتى على حملها عشرة أشهر، وفي «التنقيح» وهي من أنفس الإبل، قوله: «**فأعطاه شاة والدًا**» قال الزركشي الشافعي: أي ذات ولد، وقال في «التيسير»: الشاة الوالد التي عرف منها كثرة الولد، والنتاج.

قوله: «**فأنتج هذان**» بفتح الهمزة والتاء المثناة فوق أي صاحب الناقة والبقرة. قوله: «**وولّد هذا**» بتشديد اللام أي صاحب الشاة. قال في «التيسير»: ومعناه اعتنى بها عند الولادة. انتهى أي وحفظها وقام بمصالحها. قوله: «**في صورته وهيئته**» قال ابن القيم: في كتاب «الأعلام»: وهذا ليس بتعريض وإنما هو تصريح على وجه ضرب المثال، وإيهام أني أنا صاحب هذه القصة كما أوهم الملكان داود أنهما صاحبا القصة. قوله: «**انقطعت بيَ الحبال**» بالحاء المهملة بعدها باء موحدة أي الأسباب التي يقطعها في طلب الرزق. ولبعض رواة مسلم «**الحيال**» ياء

فأي المال أحب إليك؟ قال : الإبل أو البقر - شك إسحاق - فأعطي ناقة عُشراء، وقال : بارك الله لك فيها.

قال : فأتى الأقرع، فقال : أي شيء أحب إليك؟ قال شعرٌ حسن. ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به، فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعراً حسناً، فقال : أي المال أحب إليك؟ قال : البقر أو الإبل، فأعطي بقرة حاملاً، قال بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى فقال أي شيء أحب إليك؟ قال : أن يَرُدَّ الله إليَّ بصري، فأبصر به الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره، قال : فأي المال أحب إليك؟ قال : الغنم، فأعطي شاة والداً، فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم. قال : ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسَن والمال - بعيراً أتبلغ به في سفري، فقال : الحُقُوق كثيرة، فقال له : كأني أعرفك! ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً، فأعطاك الله عز وجل المال؟ فقال : إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر، فقال : إن كنت

تحتية؛ جمع حيلة. قال الزركشي قوله : «أتبلغ به» من البلغة، وهي الكفاية، أي أتوصل به إلى مرادي، قوله «فصيرك الله إلى ما كنت» أي

كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فردَّ الله إليَّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك»[1] أخرجاه.

ردك الله إلى ما كنت عليه سابقًا من البرص والفقر، قوله: «**لا أجهدك**» هكذا لبعض رواة مسلم؛ أي لا أشق عليك في الأخذ والامتنان، ورواية البخاري «**لا أحمدك**» بالحاء المهملة والميم أي على طلب شيء أو أخذ شيء مما تحتاج إليه من مالي كما قيل «ليس على طول الحياة ندم» أي على فوت طول الحياة، ولما لم يصح لبعضهم هذه المعاني قال بإسقاط الميم أي لا أحدك أي لا أمنعك شيئًا، وهذا تكلف وتغيير للرواية، قاله الزركشي الشافعي.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٤، ٦٦٥٣)، ومسلم (٢٩٦٤).

فيه مسائل

الأولى : تفسير الآية.

الثانية : ما معنى ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ [فصلت: ٥٠].

الثالثة : ما معنى ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨].

الرابعة : ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة.

(٤٩)

باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

[الأعراف: ١٩٠].

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم مُعَبَّد لغير الله، كعبد عمر، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطَّلب.

أول الآية: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٩] أي من أبينا آدم ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] أي حواء خلقها الله منه، ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] أي يطمئن إليها ويألفها، ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] أي وطأها، ﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا﴾ [الأعراف: ١٨٩] أي لا يثقلها أولاً إنما هو نطفة وعلقة ومضغة، ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٩] قال مجاهد: استمرت عليه، وقال مهران: استخفته، وقال ابن جرير: استمرت بالماء قامت به وقعدت، ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَت﴾ [الأعراف: ١٨٩] أي صارت ذا ثقل بحملها، قال السدي: كبر في بطنها، ﴿دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] أي آدم وحواء، ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ [الأعراف: ١٨٩] بشراً سويًا. قال ابن عباس: أشفقا أن يكون بهيمة، ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠] أي لم يؤديا شكرهما على الوجه المرضي بل أشركا في طاعة الله، كما قال قتادة: شركاء في طاعته، ولم

وعن ابن عباس في الآية، قال: «لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعانني أو لأجعلن له قرني إيَّل فيخرج من بطنك فيشقُّه، ولأفعلن، يخوِّفهما، سمِّياهُ عبدالحَارث، فأبيا أن يُطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حبُّ الولد، فسمَّياه عبدالحارث، فذلك قوله: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠] رواه ابن أبي حاتم[١].

وله بسند صحيح عن قتادة، قال: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته. وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، قال: أشفقا أن لا يكون إنسانًا، وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما[٢].

يكن في عبادته وذلك تسميته عبدالحارث، ثم استطرد من ذكر الشخص إلى الجنس فقال: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] أي يتنزه الله عن إشراك كل مشرك به في عبادة وطاعة.

قوله: «اتفقوا» قال الشارح[٣]: الظاهر أن المراد أجمعوا.

قوله: «حاشا عبدالمطلب» أي فإنهم لم يتفقوا على تحريم التسمية

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في التفسير، وسعيد بن منصور كما في الدر المنثور (٣/ ٦٢٤).
(٢) رواه ابن أبي حاتم في التفسير كما في الدر المنثور (٣/ ٦٢٦).
(٣) التيسير (ص/ ٥٤٧).

به بل اختلفوا فيه فأجازه قوم محتجين بقوله : «**أنا ابن عبدالمطلب**» ومنعه آخرون واستدلوا بما أورده الشيخ في هذا الباب، وبأن النبي ﷺ غير أسماء رجال عُبّدت لغير الله، وأجابوا عن قوله : «**أنا عبدالمطلب**» بأن هذا إنشاء للتسمية وإنما هو إخبار بمن كان هذا اسمًا له، ويجوز في الإخبار ما لا يجوز في الإنشاء ألا ترى أنه يقال بني عبد شمس وبني عبدالدار ونحو ذلك؟ قوله : «**قرني أيل**» بفتح الهمزة وكسر التحتية المشددة ذكر الأوعال. قوله : «**سمياه عبدالحارث**» قال سعيد بن جبير كان اسمه في الملائكة الحارث.

***

فيه مسائل

الأولى : تحريم كل اسم معبد لغير الله.

الثانية : تفسير الآية.

الثالثة : أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها.

الرابعة : أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم.

الخامسة : ذكرُ السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة.

(٥٠)

باب قول الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

أخبر سبحانه أن له أسماء وأنها حسنى، أي قد بلغت الغاية في الحسن فلا أحسن منها، ولا أكمل فله من كل صفة كمال أحسن اسم، وأكمله وأتمه معنى وأنزهه عن شائبة النقص، فأسماؤه أحسن الأسماء كما أن صفاته أكمل الصفات فلا يعدل عما سمى به نفسه إلى غيره، كما لا يتجاوز ما وصف به نفسه أو وصف به رسوله إلى ما وصفه به المبطلون، فعليك بمراعاة ما أطلقه سبحانه على نفسه من الأسماء والصفات، وعدم إطلاق ما لم يطلقه على نفسه ما لم يكن مطابقًا لمعنى أسمائه وصفاته وحينئذ فيطلق المعنى دون اللفظ وهذا كلفظ الفاعل والصانع فإنه لا يطلق عليه في أسمائه الحسنى إلا إطلاقًا مقيدًا كما أطلق على نفسه كقوله: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقوله: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]. فإن اسم الفاعل والصانع منقسم المعنى إلى ما يمدح عليه وما يذم، فلهذا المعنى والله أعلم لم يجيء في الأسماء الحسنى المزيد كما جاء فيها السميع البصير، ولا المتكلم الآمر الناهي لانقسام مسمى هذه الأسماء، بل وصف نفسه بكمالاتها وأشرف أنواعها، ومن هنا يعلم غلط بعض المتأخرين في اشتقاقه له سبحانه من كل فعل أخبر

به عن نفسه اسمًا مطلقًا وأدخله في أسمائه الحسنى، فاشتق له الماكر والمخادع والفاتن والمضل، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. انتهى ملخصًا كثيرًا من كلام ابن القيم.

وقوله: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الدعاء بها أحد مراتب إحصاءها الذي قال فيه ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**»[1] رواه البخاري. **المرتبة الأولى:** إحصاء ألفاظها وعددها، **المرتبة الثانية:** فهم معانيها ومدلولها، **المرتبة الثالثة:** دعاؤه بها وهو نوعان دعاء ثناء وعبادة، ودعاء طلب ومسألة، فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى كذلك لا يسأل إلا بها فيسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيًا لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلاً بذلك الاسم، تقول رب اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، ولا يحسن: إنك أنت السميع البصير ونحو ذلك. ملخص من كلام ابن القيم، وروى الترمذي عن أبي هريرة عدها فقال طائفة من أهل العلم إنه مدرج من بعض الرواة. وقال ابن حزم: جاءت في إحصائها أحاديث مضطربة لا يصح شيء منها. وقال ابن القيم رحمه الله: أما قوله: «**إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة**» فالكلام جملة واحدة. وقوله: «**من أحصاها دخل الجنة**» صفة لا خبر مستقل، والمعنى له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا لا ينبغي أن يكون له أسماء غيرها، كقولك لفلان مائة مملوك قد أعدهم للجهاد فلا ينبغي أن يكون له مماليك غيرهم أعدهم لغير الجهاد. انتهى،

---

(١) رواه البخاري (٧٣٩٢)، ومسلم (٢٦٧٧).

ويدل عليه قوله ﷺ: «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[1]، قال ابن القيم: فجعل أسماءه ثلاثة أقسام: قسمًا سمى به نفسه، فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم؛ ولم ينزل به كتابه، وقسمًا أنزل به كتابه وتعرّف به إلى عباده، وقسمًا استأثر به في علم غيبه، فلم يُطلع عليه أحد من خلقه، ومنه قوله ﷺ في حديث الشفاعة: «**فيفتح عليَّ من محامده بما لا أحسنه الآن**»[2]، وتلك المحامد هي بأسمائه وصفاته ومنه قوله: «**لا أحصي ثناء عليك**».

وقوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، قال ابن القيم: الإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت؛ وهو أنواع:

أحدها: أن يسمى الأصنام بها كتسمية اللات من الإله ونحوه.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبًا وتسمية الفلاسفة له موجبًا بذاته أو علة فاعلة.

وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث

(١) رواه أحمد (٣٧٦١)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٧٢)، والحاكم (١/ ٥٠٩) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، وصحح الحديث ابن تيمية وابن القيم والألباني رحمهم الله، انظر: الصحيحة (١٩٩).

(٢) رواه البخاري (٤٧١٢).

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس : «يُلحدون في أسمائه» يشركون . وعنه : سمَّوا اللات من الإله، والعزَّى من العزيز .

وعن الأعمش : يدخلون فيها ما ليس منها[1] .

اليهود : ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقولهم: إنه استراح، وقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

ورابعها : تعطيل الأسماء الحسنى عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول من الجهمية أنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي ويقولون لا سمع له ولا بصر ولا حياة ونحو ذلك .

وخامسها : تشبيه صفاته بصفات خلقه - تعالى الله - عن قول الملحدين علوًا كبيرًا .

فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه، وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت لفظًا ولا معنى بل أثبتوا له الأسماء والصفات؛ ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريئًا من التشبيه وتنزيههم خليًا من التعطيل لا كمن شبه حتى كأنه يعبد صنمًا؛ أو عطل حتى كأنه يعبد عدمًا .

---

(١) ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٣/ ٦١٦).

قوله : «**وذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس**» قال الشارح[١]: لم يروه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وإنما رواه عن قتادة . قوله : «**وعنه**» أي عن ابن عباس . رواه ابن أبي حاتم عنه وكذلك أثر الأعمش .

* * *

فيه مسائل

الأولى : إثبات الأسماء .

الثانية : كونها حسنى .

الثالثة : الأمر بدعائه بها .

الرابعة : ترك من عارض من الجاهلين الملحدين .

الخامسة : تفسير الإلحاد فيها .

السادسة : وعيد من ألحد .

---

(١) التيسير (ص/ ٥٦٢).

(٥١)

باب لا يقال: السلام على الله (*)

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كُنا إذا كنَّا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي ﷺ: «**لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام**»(١).

(*) أي: لأن السلام دعاء بالسلامة، والله هو المدعو وهو السلام، أي السالم من كل تمثيل ونقص.

قوله: «**إذا كنا مع رسول الله ﷺ ... الخ**»، هذا في التشهد الأخير. قوله: «**فإن الله هو السلام**» قال ابن القيم في «كافيته»:

وهو السلام على الحقيقة سالم

من كل تمثيل ومن نقصان

واختلف في معنى السلام المطلوب عند التحية فقيل: المعنى اسم السلام عليكم أي نزلت بركة اسمه وحلت عليكم، وقيل: أي السلامة، قال ابن القيم: الصواب في مجموعهما؛ فتضمن اللفظ السلامة: ذكر الله وطلب السلامة؛ وهو مقصود المسلم، فقد تضمن سلام عليكم اسمًا من أسماء الله وطلب السلامة منه، انتهى ملخص كثيرًا.

---

(١) رواه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢).

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير السلام.

الثانية : أنه تحية.

الثالثة : أنها لا تصلح لله.

الرابعة : العلة في ذلك.

الخامسة : تعليمهم التحية التي تصلح لله.

(٥٢)

باب قول : اللهم اغفر لي إن شئت (*)

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : **«لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئتَ، اللهم ارحمني إن شئتَ، لِيْعزم المسألة، فإن الله لا مُكره له»**(١) .

ولمسلم : **«وليُعظِّم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمهُ شيء أعطاه»**(٢) .

(*) أي : أنه لا يجوز لأنه يدل أو يوهم دعوى الاستغناء عن مغفرة الله .

قوله : «**اللهم اغفر لي إن شئت**» قال القرطبي : إنما نهى رسول الله ﷺ عن هذا القول لأنه يدل على فتور الرغبة، وقلة التهمم بالمطلوب، ويتضمن أن هذا المطلوب إن حصل وإلا استغنى عنه، ويدل على قلة اكتراثه بذنوبه ورحمة ربه .

قوله : «**ليعزم المسألة**» قال القرطبي : أي ليجزم في مسأله وليحقق رغبته .

قوله : «**فإن الله لا مكره له**» قال القرطبي : هذا إظهار لعدم فائدة

---

(١) رواه البخاري (٦٣٣٩ ، ٧٤٧٧)، ومسلم (٢٦٧٩) .

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٩)، وأحمد (٢/ ٣١٨) .

تقييد الاستغفار والرحمة بالمشيئة فإن الله لا يضطره دعاء ولا غيره إلى فعل شيء بل يفعل ما يريد .

قوله : «**وليعظم الرغبة**» قيل الطلبة والحاجة ، وقيل السؤال أي يلحَ فيه .

* * *

فيه مسائل

الأولى : النهي عن الاستثناء في الدعاء .
الثانية : بيان العلة في ذلك .
الثالثة : قوله «**ليعزم المسألة**» .
الرابعة : إعظام الرغبة .
الخامسة : التعليل لهذا الأمر .

(٥٣)

باب لا يقول: عَبْدي وأمَتي (*)

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يقل أحدكم: أطْعِم ربك، وضِّئْ ربك. وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم عبدي وأمَتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغُلامي**»(١).

(*) أي: لما في ذلك من إيهام المشاركة في الربوبية، قاله الشارح(٢).

قوله: «**عن أبي هريرة**» قال البغوي في «شرح السنة»: هذا حديث متفق على صحته. قيل إنما منع أن يقول: ربي؛ أو اسق ربك لأن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد، فكره له المضاهاة بالاسم لئلا يدخل في معنى الشرك، والعبد والحر فيه بمنزلة واحدة. فأما ما لا تعبد عليه من سائر الحيوانات والجماد فلا يمنع منه كقولك ربَّ الدار وربَّ الدابة، ولم يمنع أن يقول سيدي ومولاي لأن مرجع السيادة إلى معنى الرياسة على ما تحت يده، ولذلك سمي الزوج سيدًا، فقال تعالى: ﴿**وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ**﴾ [يوسف: ٢٥]، وقال النبي ﷺ للحسن: «**إن ابني هذا سيد**»(٣)،

---

(١) رواه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩).

(٢) التيسير (ص/ ٥٦٦).

(٣) رواه البخاري (٢٧٠٤).

والمولى كثير التصرف من ولي وناصر ومنعم وحليف ومعتق، وأصله من ولاية أمر وإصلاحه، فلم يمنع من أن يوصف به مالك الرقبة، على أنه جاء في رواية: «**ولا يقل العبد مولاي**» ومنع السيد من أن يقول عبدي، لأن هذا الاسم من باب المضاف ومقتضاه العبودية له، وصاحبه عبد الله متعبده بأمره ونهيه؛ فإدخال مملوكه تحت هذا الاسم يوهم التشريك، ومعناه راجع إلى البراءة من الكبر والتزام الذل والخضوع، فلم يحسن لعبد أن يقول: فلان عبدي بل يقول فتاي، وإن كان قد ملك فتاه امتحانًا وابتلاءً من الله لخلقه كما قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ**﴾ [الفرقان: ٢٠]، وعلى هذا امتحان الله تعالى أنبياءه وأولياءه ابتلى يوسف بالرق ودانيال حين سباه بختنصر. انتهى أملاه شيخنا الشيخ عبدالرحمن بن حسن أثابه الله تعالى.

* * *

فيه مسائل

الأولى: النهي عن قول: عبدي وأمتي.

الثانية: لا يقول العبد: ربي، ولا يقال له: أطعم ربك.

الثالثة: تعليم الأول قول: فتاي وفتاتي وغلامي.

الرابعة: تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي.

الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.

(٥٤)

باب لا يُرَدُّ من سأل بالله (*)

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال : قال رسول الله ﷺ : **«من سأل بالله فأعطوه، ومن استعاذ بالله فأعيذوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تُروا أنكم قد كافأتموه»** رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح[1].

(*) أي : أن رده مكروه أو محرم إذا كان المطلوب ليس محرمًا ولا مكروهًا لأن رده دليل على عدم إعظام الله.

وقد جاء الوعيد على منع من سأل بالله أو بوجه الله، فروى الطبراني عن أبي موسى مرفوعًا : **«ملعون من سئل بوجه الله، وملعون من سُئل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأل هجرًا»**[2] ، وعن أبي عبيدة مولى رفاعة بن رافع مرفوعًا : **«ملعون من سَئل بوجه الله وملعون من سُئل بوجه الله فمنع سائله»**[3] رواه الطبراني أيضًا. وعن ابن عباس مرفوعًا :

---

(١) رواه أبو داود (١٧٦٣)، والنسائي في المجتبى (٥/ ٨٢)، وأحمد (٢/ ٦٨، ٩٩، ١٢٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥٤).

(٢) رواه الطبراني وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٩٠).

(٣) رواه الطبراني (٢٢/ ٩٤٣)، وصححه الألباني.

«**ألا أخبركم بشر الناس؟ رجل سُئل بوجه الله ولا يعطي**»[١] رواه الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بشر البرية؟**»، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**الذي يُسأل بوجه الله ولا يُعطي**»[٢] فهذه الأحاديث مع حديث الباب تدل على وجوب إعطاء من سأل بالله وإن كان السؤال في حقه مكروهًا أو محرمًا.

قوله: «**من استعاذ بالله فأيعذوه**» أي إذا قال أعوذ بالله من شرك أو من شر فلان فامنعوا الشر عنه كقول الجونية: «أعوذ بالله منك»، فقال: «**لقد عُذت بمعاذ، إلحقي بأهلك**»[٣].

قوله: «**ومن سأل بالله فأعطوه**» أي إذا قال أسألك بالله أو بوجه الله كما في حديث ابن عباس: «**من سألكم بوجه الله فأعطوه**» رواه أحمد وأبو داود. قوله: «**ومن دعاكم فأجيبوه**» أي من دعاكم إلى طعام فأجيبوه والحديث أعم من الوليمة وغيرها، وهو يدل على الوجوب.

قوله: «**ومن صنع إليكم معروفًا**» أي أحسن إليكم فكافئوه على إحسانه ليخلص القلب من إحسان الخلق، لأنك إذا لم تكافئ من صنع إليك معروفًا؛ بقي في قلبك له نوع تأله، فشرع قطع ذلك بالمكافأة. هذا

(١) رواه الترمذي (١٧١٩) وحسنه، وابن حبان (٦٠٤) والإمام أحمد (٥/ ٩٦-٩٧) ط. الرسالة، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥٥).
(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٩٦)، وفي إسناده ضعف وله شواهد يتقوى بها.
(٣) رواه البخاري (٥٢٥٤).

معنى كلام شيخ الإسلام. قوله: «**فإن لم تجدوا ما تكافئوه**» حذفت النون إما تخفيفًا أو سهوًا من الناسخ. قاله الطيبي. قوله: «**فادعوا له**» أي إذا لم تقدروا على مكافأته فادعوا له. وقد روى الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان عن أسامة بن زيد مرفوعًا: «**من صُنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء**»[1].

تتـــمة: تنازعوا في إبرار المقسم هل يجب أو يستحب؟ فظاهر كلام الشيخ التفريق بين قصد الإلزام فيجب أو الإكرام فلا يجب، وأوجب الكفارة إذا لم يفعل المقسم عليه في الأولى دون الثانية، انتهى.

* * *

فيـــه مســـائل

الأولـــــى: إعاذة من استعاذ بالله.

الثـانيـــــة: إعطاء من سأل بالله.

الثـالثـــــة: إجابة الدعوة.

الـرابعـــــة: المكافأة على الصنيعة.

الخـامســـــة: أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه.

الســادســـــة: قوله: «**حتى تُروا أنكم قد كافأتموه**».

---

(١) رواه الترمذي (٢١٢٠)، وصححه، والنسائي (١٠٠٨)، وابن حبان (٣٤١٣)، وصححه الألباني.

(٥٥)

باب لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة (*)

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة**» رواه أبو داود[١].

(*) أي: أن ذلك لا يجوز، فأما سؤال المخلوق بوجه الله فحرام للأحاديث التي تقدمت في الباب قبله وفيها لعن من سأل أحدًا بوجه الله.

قوله: «**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**» قال الشارح[٢]: الظاهر أن المراد لا يسأل بوجه الله إلا الجنة أو ما هو وسيلة إليها. وقال العراقي: وذكر الجنة إنما هو للتنبيه به على الأمور العظام لا للتخصيص، فلا يسأل بوجهه في الأمور الدنية بخلاف الأمور العظام تحصيلاً أو دفعًا.

والحديث أحق مما قال.

* * *

فيه مسائل

الأولى: النهي عن أن يُسأل بوجه الله إلا غاية المطالب.

الثانية: إثبات صفة الوجه.

---

(١) رواه أبو داود (١٦٧١)، وضعف إسناده الألباني. انظر: رياض الصالحين (ص/ ٥٨٦).

(٢) التيسير (ص/ ٥٧٣).

(٥٦)

باب ما جاء في اللَّـو (*)

وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٨].

(*) أي: من الذم لمن عارض بها أقدار الربّ تعالى إذا لم توافق مراده وهواه، وهذا مضاد لكمال التوحيد.

قوله: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾، قال ابن كثير: فسر ما أخفوه في أنفسهم بقوله: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾ أي يسرون هذه المقالة عن رسول الله، انتهى. فتبين أن هذا من كلام المنافقين وهو معارضة القدر بلو، ولهذا رد الله عليهم بقوله: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، قوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾، وهذا معارضة للقدر من المنافقين بقولهم لمن خرج مع رسول الله ﷺ يوم أحد، قيل وإنما قال: إخوانهم لمشاركتهم لهم في الظاهر، وقيل إخوانهم في النسب لا في الدين؛ لو أطاعونا في مشورتنا عليهم بعدم الخروج ما قُتلوا. ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ [آل عمران: ١٦٨] أي إن عدم

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزنَّ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلتُ كذا لكان كذا وكذا. ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان**»[١].

الخروج لا ينجي من الموت فإن كنتم صادقين فادفعوا الموت إذا جاءكم بل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم.

قوله: «**احرص على ما ينفعك**» أول الحديث: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك**»... الخ. قال ابن القيم رحمه الله: سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده والحرص بذل الجهد، واستفراغ الوسع، فإذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محمودًا، وكماله كله في مجموع هذين الأمرين: أن يكون حريصًا وأن يكون حرصه على ما ينتفع به، فإن حرص على ما لا ينفعه أو فعل ما ينفعه بغير حرص فاته من الكمال بحسب ما فاته من ذلك فالخير كله في الحرص على ما ينفع.

قوله: «**واستعن بالله**» قال ابن القيم: لما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه، أمره أن يستعين به ليجمع له بين مقام: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله، ولا تتم إلا بمعونة الله فأمره أن يعبده وأن يستعين به. قوله: «**ولا تعجزن**»

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

قال ابن القيم: العجز ينافي حرصه على ما ينفعه وينافي الاستعانة بالله، فالحريص على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز، فهذا إرشاد له قبل وقوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمة الأمور بيده، ومصدرها منه، ومردها إليه؛ فإذا وقع المقدور فللعبد حالتان: حالة عجز وهي مفتاح عمل الشيطان فيلقيه العجز إلى لو ولا فائدة فيه، بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والحزن. وهذا من عمل الشيطان، فنهاه عن افتتاح عمله بهذا المفتاح، وأمره بالحالة الثانية وهي النظر إلى القدر وملاحظته، وأنه لو قُدّر لم يفته ولم يغلبه عليه أحد، ولهذا قال: «**وإن أصابك شيء**» أي غلبك الأمر ولم يحصل المقصود بعد بذل الجهد والاستعانة بالله «**فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل**»، فأرشده إلى ما ينفعه حالة حصول مطلوبه وحالة فواته، فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد، وهو يتضمن إثبات القدر والكسب، انتهى، ببعض تصرف.

فأما قوله: «**لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم**»[1]، وقوله: «**لو كنت راجمًا أحدًا بغير بينة لرجمت هذه**»[2]، «**ولولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك**»[3]، وشبه

---

(١) رواه البخاري (١٥٨٣)، ومسلم (١٣٣٣).

(٢) رواه البخاري (٦٨٥٥)، ومسلم (١٤٩٧) الشطر الأول، ورواه ابن ماجه (٢٦٠٧).

(٣) رواه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢).

ذلك، فأجاب القاضي عياض: بأن هذا كله مستقبل لا اعتراض فيه على قدر ولا كراهة فيه؛ لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع وعما هو في قدرته، فأما ما ذهب فليس في قدرته، وكذا قوله: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولجعلتها عمرة**»[1] فليس من المنهي عنه بل هو إخبار لهم عما كان يفعل في المستقبل لو حصل، ولا خلاف في جواز ذلك، وإنما ينهى عن ذلك في معارضة القدر، أو مع اعتقاد أن ذلك المانع لو ارتفع لوقع خلاف المقدر، انتهى ملخصًا.

فإن قيل: ليس في هذا رد للقدر، فإن معناه لو وفقت لهذا القدر لاندفع عني ذلك القدر؛ قيل هذا حق لكن لا ينفع بعد وقوع المقدور.

* * *

فيه مسائل

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران.

الثانية: النهي الصريح عن قول «لو» إذا أصابك شيء.

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان.

الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن.

الخامسة: الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله.

السادسة: النهي عن ضد ذلك، وهو العجز.

---

(١) رواه البخاري (١٦٥١)، ومسلم (١٢١٨).

(٥٧)

باب النهي عن سب الريح (*)

عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أُمرت به**»(١) صححه الترمذي.

(*) أي: لأنها في تدبير مدبر فسبها اعتراض عليه وهو قدح في التوحيد.

قوله: «**فإذا رأيتم ما تكرهون**» أي من الريح من شدة برودة أوحرارة أو قوة، وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعًا: «**الريح من روح الله تأتي بالرحمة والعذاب فلا تسبوها ولكن سلوا الله من خيرها وتعوذوا من شرها**»(٢)، وعن ابن عباس أن رجلاً لعن الريح عند النبي ﷺ فقال: «**لا تلعنوا الريح فإنها مأمورة،**

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٥٣)، وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد (٥/ ١٢٣)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٣٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٥٦).

(٢) رواه أحمد (٧٤٠٤)، وأبو داود (٥٠٩٧)، وابن ماجه (٣٧٢٧)، وصححه الألباني.

وإنه من لعن شيئًا ليس له بأهل رجعت اللعنة إليه»[١] رواه الترمذي وقال غريب. وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: **«اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به»**[٢].

* * *

فيه مسائل

الأولى: النهي عن سب الريح.
الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره.
الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورة.
الرابعة: أنها قد تؤمر بخير، وقد تؤمر بشر.

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٦١، ٤٩٠٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٢٨).
(٢) رواه البخاري (٤٨٢٩)؛ ومسلم (٨٩٩).

(٥٨)

باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ الآية [آل عمران: ١٥٤].

قال الشارح: أراد المصنف التنبيه على وجوب حسن الظن بالله، لأن ذلك من واجبات التوحيد.

قال ابن القيم: أخبر عن الكلام الذي صدر عن ظنهم الباطل وهو قولهم: ﴿هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقولهم: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾، فليس مقصودهم من الكلمة الأولى والثانية إثبات القدر ورد الأمر كله لله، ولو كان ذلك مقصودهم لما ذموا عليه، ولما حسن الرد عليهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ولا كان مصدر هذا الكلام ظن الجاهلية، ولهذا قال غير واحد من المفسرين: إن ظنهم الباطل ها هنا هو التكذيب بالقدر، وظنهم إن الأمر لو كان إليهم وكان رسول الله ﷺ وأصحابه تبعًا لهم يسمعون منهم لما أصابهم القتل، ولكان النصر والظفر لهم، فأكذبهم الله عز وجل في هذا الظن الباطل الذي هو ظن الجاهلية، وهو الظن المنسوب إلى أهل الجهل الذين يزعمون بعد نفوذ القضاء والقدر أنهم كانوا قادرين على دفعه وإن

(١) التيسير (ص / ٥٨٢).

وقوله : ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح : ٦].

قال ابن القيم في الآية الأولى : فُسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل، وفُسِّر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته، فَفُسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر، وإنكار أن يُتِمَّ أمر رسوله ﷺ، وأن يظهره على الدين كله. وهذا هو ظن السوء، الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء لأنه ظنٌّ غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده

الأمر لو كان إليهم لما نفذ القضاء فأكذبهم الله بقوله : ﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾، فلا يكون إلا ما سبق به قضاءه وقدره، وجرى به كتابه السابق.

قوله : ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ [الفتح : ٦]، قال ابن كثير : أي يتهمون الله في حكمه ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية. ولهذا قال : ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ [الفتح : ٦]، أي أبعدهم من رحمته : ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [الفتح : ٦].

قوله[١] : فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله. قال الشارح[٢] : هذا تفسير غير واحد من المفسرين وهو مأخوذ من تفسير قتادة والسدي، ذكر ذلك عنهما ابن جرير وغيره بالمعنى.

---

(١) يعني ابن القيم [الشيخ إسماعيل].

(٢) تيسير العزيز (ص / ٥٨٧).

ووعده الصادق. فمن ظنَّ أنه يُديل الباطل على الحق إدالةً مستقرةً يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

قوله: «**وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله**» ذكره القرطبي عن ابن عباس، قوله: «**وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم ... الخ**». قال ابن القيم رحمه الله: غالب بني آدم إلا من شاء الله يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله، ولسان حاله يقول: ظلمني ربي ومنعني ما أستحق، ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكر ولا يتجاسر على التصريح به فليعتني اللبيب بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره كل وقت من ظنه بربه ظن السوء، وليظن السوء بنفسه التي هي مأوى كل سوء، ومنبع كل شر، المركبة على الظلم والجهل، فهو أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين، الغني الحميد الذي له الغنى التام والحمد التام المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه وصفاته كذلك وأفعاله كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل وأسماؤه كلها حسنى:

فلا تظننَّ بربك ظن سوء

فإن الله أولى بالجميل

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم. ولا يسلَم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده. فليعتن اللبيب الناصح لنفسه

ولا تظنن بنفسك قط خيراً

وكيف بظالم جان جهول

قوله: «**ولو فتشت ما فتشت لرأيت عنده تعنتًا على القدر وملامة له وإنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا ... الخ**»، قال ابن عقيل: الواحد من العوام إذا رأى مراكب مقلدة بالذهب والفضة ودارًا مشيدة مملوءة بالخدم والزينة قال: انظروا ما أعطاهم مع سوء أفعالهم، ولا يزال يلعنهم ويذم معطيهم حتى يقولوا: فلان يصلي الجماعات والجُمع ولا يؤذي الذر، ولا يأخذ ما ليس له، ويؤدي الزكاة إذا كان له مال ويظهر الاعجاب كأنه ينطق لو كانت الشرائع حقًا لكان الأمر بخلاف ما نرى وكان الصالح غنيًا، والفاسق فقيرًا، وقال ابن الجوزي: دخلت على صدقة بن الحسين الحداد وكان فقيهًا غير أنه كان كثير الاعتراض، وكان عليه جرب فقال هذا ينبغي أن يكون على جمل لا علي، وكان رجل يصحبني قد قارب ثمانين سنة كثير الصلاة والصوم فمرض واشتد به المرض فقال إن كان يريد أن أموت فيميتني، وأما هذا التعذيب فما له معنى، والله لو أعطاني الفردوس كان مكفورًا، وعلى هذا كثير من العوام، إذا رأوا رجلاً صالحًا به أذى قالوا: «ما يستحق» قدحًا في القدر، واعلم أن المعترض قد ارتفع أن يكون شريكًا على الخالق بالتحكم عليه، وهؤلاء كلهم كفرة لأنهم

بهذا، وليتب إلى الله وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء. ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقلٌ ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة

وإلا فإني لا إخالك ناجيًا

رأوا حكمة الخالق قاصرة، وإذا كان توقف القلب عن الرضى بحكم الرسول ﷺ يخرج عن الإيمان، قال: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية [النساء: ٦٥]، فكيف يصح الإيمان مع الاعتراض على الله؟

قوله: «**فإن تنج منها**» أي من هذه الخصلة «**تنج من ذي عظيمة**» أي من شر عظيم، وإخالك بكسر الهمزة أي لا أظنك ناجيًا.

* * *

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية الفتح.

الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواع لا تُحصر.

الرابعة: أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه.

(٥٩)

باب ما جاء في منكري القدر (*)

وقال ابن عمر : «والذي نفسُ ابن عمر بيده، لو كان لأحَدهمْ مثلُ أحد ذهبًا، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يُؤمن بالقدر». ثم استدل بقول النبي ﷺ: «الإيمان أن تؤمنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيرهِ وشرهِ»[1] رواه مسلم.

(*) أي : من الوعيد.

قال شيخ الإسلام : مذهب أهل السنة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وهو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد، وإنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته، وقدرته، ولا يمتنع عليه شيء شاءه بل قادر على كل شيء ولا يشاء شيئًا إلا هو قادر عليه، وإنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، وقد دخل في ذلك

(١) رواه مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٣).

وعن عُبادة بن الصامت : «أنه قال لابنه : يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليُخطئك، وما أخطأك

أفعال العباد وغيرها وقد قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم وقدر أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من شقاوة وسعادة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون. وغلاة القدرية ينكرون علمه المتقدم وكتابته السابقة، ويزعمون أنه أمر ونهي، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه بل الأمر أنف أي مستأنف. وهذا القول أول ما حدث في الإسلام بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين، وبعد إمارة معاوية بن أبي سفيان في أواخر عصر عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس وغيرهما من الصحابة وكان أول من أظهر ذلك بالبصرة معبد الجهني.

وقال ابن القيم رحمه الله : مراتب القضاء والقدر أربع مراتب :

الأولى : علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها.

الثانية : كتابته ذلك عنده في الذكر قبل خلق السموات والأرض.

الثالثة : مشيئته المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن عنها كما لا خروج له عن علمه.

الرابعة : خلقه لها وإيجاده وتكوينه، وذكره الشارح بمعناه.

قوله : «**والذي نفس ابن عمر بيده**» لفظ مسلم : «**والذي يحلف**

لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فقال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب

به عبدالله بن عمر» قال شيخ الإسلام بعد ذكره: وكذا كلام ابن عباس وجابر بن عبدالله وواثلة بن الأسقع وغيرهم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين فيهم كثير حتى قال فيهم الأئمة كمالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم إن المنكرين لعلم الله القديم يكفرون.
وقوله: «**ثم استدل بقول النبي ﷺ ... الخ**» لأنه جعل الإيمان بالقدر سادس الأصول للإيمان فمن أنكره فليس بمؤمن، بل ولا مسلم، فلا يقبل عمله.

قوله: «**رواه مسلم**» أي عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني. فانطلقت أنا وحميد الطويل حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: أبا عبدالرحمن، إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء وإنهم برآء مني. والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر؛ ثم قال حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد

مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»، يا بني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني». وفي رواية لأحمد: «إن

حتى جلس إلى النبي ﷺ، الحديث بطوله في الإسلام والإيمان والإحسان.

قال شيخ الإسلام: جعل النبي ﷺ الدين ثلاث درجات أعلاها الإحسان، وأوسطها الإيمان، ويليه الإسلام، فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مؤمن محسنًا، ولا كل مسلم مؤمنًا، كما دلت عليه الأحاديث، فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين. قال شيخنا: وحينئذ يتبين أن الإيمان الكامل الذي صاحبه يستحق عليه دخول الجنة والنجاة من النار هو فعل الواجبات وترك المحرمات، وهو الذي يطلق على من كان كذلك بلا قيد، وهو الإيمان الذي يسميه العلماء الإيمان المطلق، وأما من لم يكن كذلك بل فرط في بعض الواجبات أو فعل بعض المحرمات فإنه لا يطلق عليه الإيمان إلا بقيد فيقال مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته أو مؤمن ناقص الإيمان لكونه ترك بعض واجبات الإيمان، انتهى.

وحيث أفرد أحد الاسمين دخل فيه الآخر، ذكره ابن رجب وغيره، وذكره شيخ الإسلام في كتاب «الإيمان الصغير»، وأما في الكبير فذكر أن الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام، وسكت عن عكسه، وأما عند الاقتران فيفسر الإيمان بأعمال القلوب، والإسلام بالأعمال الظاهرة، هذا معنى تقرير شيخنا أثابه الله تعالى.

أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة». وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله ﷺ: «**فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار**»[1]. وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: أتيت أُبيّ بن

وأما قوله: «**خيره وشره**» فإثبات الشر في القضاء إنما هو بالإضافة إلى العبد والمفعول، إذا كان يقدر عليه بسبب جهله وظلمه وذنوبه، لا إلى الخالق، فله في ذلك من الحكم ما تقصر عنه أفهام البشر لأن الشر إنما هو الذنوب وعقوباتها في الدنيا والآخرة؛ وهو شر بالإضافة إلى العبد، أما بالإضاف إلى الخالق سبحانه فكله خير وحكمة فإنه صادر عن حكمته وعلمه، وما كان كذلك فهو خير محض بالنسبة إلى الرب سبحانه، إذ هو موجب أسمائه وصفاته، ولا تعارض بينه وبين قوله: «**والشر ليس إليك**» لأن معناه أنه يمتنع إضافة الشر إليك بوجه من الوجوه، فلا يضاف الشر إلى ذاته ولا إلى صفاته ولا أسمائه ولا أفعاله، فإن ذاته منزهة عن كل شر، وصفاته كذلك إذ كلها صفات كمال، ونعوت جلال لا نقص فيها بوجه من الوجوه. هذا معنى كلام ابن القيم بتصرف واختصار.

قوله: «**أنه قال لابنه**» هو الوليد بن عبادة صرح به الترمذي في رواية. قوله: «**حتى تعلم**» إلى آخره. هذا هو حقيقة الإيمان بالقدر، قوله: «**إن أول ما خلق الله القلم**» قال شيخ الإسلام: قد ذكرنا عن السلف في العرش والقلم أيهما خلق قبل الآخر قولين كما ذكر ذلك الحافظ أبو العلا الهمداني وغيره قال ابن القيم رحمه الله وعفا عنه:

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (١١١)، وصححه الألباني.

كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فَحَدِّثني بشيء، لعل الله يُذهبه من قلبي، فقال: **«لو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليُخطئك، وما أخطأك**

والناس مختلفون في القلم الذي
كتب القضاء به من الديَّانِ
هل كان قبل العرش أو هو بعده
قولان عند أبي العلا الهمداني
والحق أن العرش قبل لأنه
قبل الكتابة كان ذا أركان
وكتابة القلم الشريف تعقبت
إيجاده من غير فصل زمان
لما براه الله قال اكتب كذا
فغدا بأمر الله ذا جريان

قال: ولا يخلو قوله: «**إن أول ما خلق الله القلم**» إلى آخره: إما أن يكون جملة أو جملتين، فإن كان جملة وهو الصحيح كان معناه عند أول خلقه قال له أكتب كما في اللفظ الآخر «**أول ماخلق الله القلم قال له اكتب**» بنصب «أول والقلم» فإن كان جملتين وهو مروي برفع «أول والقلم» فيتعين حمله على أنه أول مخلوقاته من هذا العالم ليتفق الحديثان،

لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار»، قال: فأتيت عبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ، حديث صحيح، رواه الحاكم في صحيحه[1].

إذ حديث عبدالله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم، وفي اللفظ الآخر «**لما خلق الله القلم قال له اكتب**» انتهى. ويدل على ما تقدم خلق العرش على القلم ما رواه عثمان بن سعيد الدارمي: حدثنا محمد بن كثير العبدي، حدثنا سفيان الثوري، حدثنا هاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال: الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئًا فكان أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه.

تنبيـــه: إذا نصب «أول والقلم» فأول على الظرفية، والقلم على المفعولية، وإذا رفعا فأول مبتدأ والقلم خبره. قوله: «**اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**». قال شيخ الإسلام: وكذلك في حديث ابن عباس وغيره. وهذا يتبين أنه إنما أمر حينئذ أن يكتب مقدار هذا الخلق إلى قيام الساعة، لم يكتب حينئذ ما يكون بعد ذلك.

قوله: «**وفي المسند**» أي لأحمد، «**والسنن**» أي لأبي داود وابن ماجه، ولفظ ابن ماجه عن أبي الديلمي قال: وقع في نفسي شيء من هذا

(١) رواه أحمد (٥/ ١٨٢، ١٨٥، ١٨٩)، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٩٠ رقم ٣٩٣٢).

القدر فخشيت أن يفسد علي ديني وأمري، فأتيت أبيّ بن كعب فقلت له: أبا المنذر إنه وقع في نفسي شيء من هذا القدر فخشيت أن يفسد عليّ ديني وأمري فحدثني من ذلك بشيء لعل الله أن ينفعني به فقال: لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو كان لك جبل أُحُد ذهبًا أو مثل جبل أحد تنفقه في سبيل الله ما قبل منك حتى تؤمن بالقدر، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وإنك إن مت على غير هذا دخلت النار، ولا عليك أن تأتي أخي عبدالله بن مسعود فتسأله، فأتيت عبدالله بن مسعود فسألته فذكر مثل ما قال أبيّ وقال لي: ولا عليك أن تأتي حذيفة فأتيت حذيفة فسألته فقال مثل ما قالا؛ فقال ائت زيد بن ثابت فاسأله، فأتيت زيد بن ثابت فسألته فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو كان لك مثل أُحُد ذهبًا أو مثل جبل أُحُد ذهبًا تنفقه في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كله، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وإنك إن مت على غير هذا دخلت النار»**.

قوله: **«وقع في قلبي شيء من القدر»** أي اضطراب.

قوله: **«لو أنفقت مثل أحد»** أي أو أكثر من ذلك.

تتمـــــة : قال الإمام أحمد رحمه الله القدر قدرة الله، قال شيخ الإسلام: يشير إلى أن من أنكر القدر فقد أنكر قدرة الله، وأنه يتضمن إثبات قدرة الله على كل شيء ولهذا جعل الأشعري وغيره أخص وصف الرب قدرته على الاختراع، والتحقيق أن القدرة على الاختراع من جملة خصائص صفاته ليست هي وحدها أخص صفاته.

* * *

فيـــه مســـائل

الأولـــــى : بيان فرض الإيمان بالقدر.

الثـانيـــة : بيان كيفية الإيمان.

الثـالثـــة : إحباط عمل من لم يؤمن به.

الـرابعـــة : الاخبار أن أحدًا لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به.

الخـامسـة : ذكر أول ما خلق الله.

السـادسـة : أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة. براءته ﷺ ممن لم يؤمن به.

السـابعـة : عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.

الثـامنـة : أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته، وذلك أنهم نسبوا

التـاسعـة : الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط.

(٦٠)

باب ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ **«قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة»**[١] أخرجاه.

ولهما عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال : **«أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يُضاهئون بخلق الله»**[٢].

قوله : **«فليخلقوا ذرة»** هذا تعجيز أي فليخلقوا ذرة فيها روح تتصرف بنفسها كهذه الذرة التي خلقها الله وكذلك قوله : **«حبة أو شعيرة»** أي حبة حنطة فيها طعم تؤكل وتزرع وتنبت، ويوجد فيها ما يوجد في حبة الحنطة والشعير ونحوهما من الحب الذي يخلق الله، وأنى لهم السبيل إلى ذلك؟ بل الله هو المتفرد بذلك، لا خالق غيره ولا إله سواه، علقه الشارح على نسخته.

قوله : **«أشد الناس عذابًا ... الخ»** قال النووي رحمه الله : قيل هذا محمول على صانع الصورة لتعبد وهو صانع الأصنام ونحوها، فهذا

---

(١) رواه البخاري (٥٩٥٣، ٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١).

(٢) رواه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٦).

ولهما عن ابن عباس، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل مُصورٍ في النار، يُجعل له بكلِّ صورةٍ صورها نفسٌ يعذَّب بها في جهنم**»[١].

ولهما عنه مرفوعًا: «**من صوَّر صورةً في الدنيا كُلِّف أن ينفُخَ فيها الروح، وليس بنافخٍ**»[٢].

كافر، وهو أشد الناس عذابًا، وقيل: هو فيمن قصد المعنى الذي في الحديث من مضاهاة خلق الله واعتقد ذلك فهو كافر أيضًا، وله من شدة العذاب ما للكفار ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره، فأما من لم يقصد بها العبادة ولا المضاهاة فهو فاسق صاحب ذنب كبير لا يكفر كسائر المعاصي. قوله: «**كل مصور في النار**» أي لذي روح لتعاطيه ما يشبه ما انفرد الله به من الخلق والاختراع، قوله: «**يجعل**» هو بفتح الياء التحتية أي يجعل الله، وقيل بضم الياء. قوله: «**بكل صورة**» أي تعذبه نفس الصورة بأن يجعل فيها روح، والباء في «**بكل**» بمعنى «في» أو يجعل له بعدد كل صورة شخص يعذبه فالباء بمعنى لام السبب، وهذه الأحاديث صريحة في تحريم صورة الحيوان وأنه غليظ التحريم، وأما الشجرة ونحوه مما لا روح فيه فلا تحرم صنعته ولا التكسب به، وسواء الشجر المثمر وغيره، وهذا مذهب العلماء كافة إلا مجاهد، واحتج لمجاهد بقوله: «**ومن أظلم**» الحديث. واحتج الجمهور بقوله: «**فيقال لهم: أحيوا ما خلقتم**» أي اجعلوه حيوانًا

---

(١) رواه البخاري (٢٢٢٥، ٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠).

(٢) رواه البخاري (٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠).

ولمسلم عن أبي الهيَّاج قال: قال لي عليّ: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفًا إلا سويته»[1].

ذا روح كما ضاهيتم عليه، ويؤيده قول ابن عباس: إن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له، علقه الشارح.

قوله: «**إلا طمستها**» أي أزلتها ومحوتها فهو مشروع، ويجب منه إزالة ما لا تبقى معه حياة، قوله: «**مشرفًا**» أي مرتفعًا.

* * *

فيه مسائل

الأولى : التغليظ الشديد في المصورين.

الثانية : التنبيه على العلة، وهو ترك الأدب مع الله، لقوله : «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**».

الثالثة : التنبيه على قدرته وعجزهم، لقوله: «**فليخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة**».

الرابعة : التصريح بأنهم أشد الناس عذابًا.

الخامسة : أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسًا يعذب بها المصور في جهنم.

السادسة : أنه يُكَلَّفُ أن ينفخ فيها الروح.

السابعة : الأمر بطمسها إذا وجدت.

---

(١) رواه مسلم (٩٦٩)، وأبو داود (٣٢١٨)، والترمذي (١٠٤٩).

(٦١)

باب ما جاء في كثرة الحلف (*)

وقول الله تعالى : ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة : ٨٩] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**الحلف منفقةٌ للسلعة ، ممحقة للكسب**»(١) أخرجاه .

عن سلمان أن رسول الله ﷺ قال : «**ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، أُشيمط زانٍ ، وعائِلٌ مستكبر ، ورجل جعل الله بضاعته ، لا يشتري إلا بيمينه ، ولا يبيع إلا بيمينه**»(٢) رواه الطبراني بسند صحيح .

(*) أي : من الذم لمن كان كذلك .

وقول الله تعالى : ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ قال ابن جرير : أي لا تتركوها بغير تكفير ؛ وفي «تفسير الجلالين» : لا تنكثوها ما لم تكن على فعل بر ، انتهى ، وفيها وجوب حفظ الأيمان ، والتحرز من اعتيادها ، والإكثار منها . قوله : «**منفقة للسلعة**» أي مظنة لنفاقها ، وهو ضد

---

(١) رواه البخاري (٢٠٨٧) ، ومسلم (١٦٠٦) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٦١١١) ، وفي الصغير (٢/ ٢١) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٧٢) .

وفي الصحيح عن عِمران بن حُصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، (قال عمران: فلا أدري أذكَرَ بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا؟) ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يُؤتمنون، وينذِرون ولا يُوفون، ويظهر فيهم السِّمَنُ**»[1].

وفيه عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**»[2].

وقال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة ونحن صغار.

كسادها. قوله: «**ممحقة للكسب**» أي مظنة للمحق وهو النقص والمحو والنقص والإبطال علقه الشارح.

قوله: «**أشيمط**» الشمط الشيب، قوله: «**وعائل**» أي فقير ذو عيال وذلك لأن الشيخ قد زالت عنه شهوته وضعفت قوته، فزناه دليل على جبلته على الفساد. والتكبر ينقسم قسمين: ذاتي وصفاتي، فالصفاتي من المال والجاه، فالتكبر من الناس وإن كان قبيحًا عقلاً وشرعًا لكن أصحاب المال والجاه لهم فيه عذر ما، وأما عادمهما فلا عذر له بوجه؛ فالتكبر إذًا صفة ذاتية، علقه الشارح.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٥١، ٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٢) رواه البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).

قوله: «**ورجل جعل الله بضاعته**» هذا محل الترجمة. قوله: «**قرني**» القرن أهل عصر متقاربة أسنانهم، مشتق من الاقتران في الأمر الذي يجمعهم، ويقال لا يكون قرنًا حتى يكون في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة أو رأي أو مذهب، قاله الزركشي الشافعي. قيل وزمانه ثمانون سنة. وقيل ستون. وقيل ما بقيت عين رأته، وقيل مائة وقيل سبعون وقيل أربعون، وقيل عشر سنين، وقيل من عشر سنين إلى مائة وعشرين.

قوله: «**فلا أدري أذَكَرَ بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا**» قال القرطبي: ما شك فيه عمران تحقيقه في حديث ابن مسعود بعد قرنه ثلاثًا. قوله: «**يشهدون ولا يستشهدون**» لا يعارض حديث: «**خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها**»[1] لأن الأول في حقوق الآدميين وهذه في حقوق الله التي لا طالب لها، وقيل الأول في الشهادة على الغيب في أمر الخلق فيشهد أنهم من أهل النار، والآخرين بغيره، وقيل أي يتحملون الشهادة من غير تحميل.

قوله: «**ويخونون ولا يؤتمنون**» أي لخيانتهم الظاهرة بحيث لا يعتمد عليهم.

قوله: «**وينذرون ولا يوفون**» لا يعارض حديث النهي عن النذر،

---

(١) رواه أحمد (٢٨/ ٢٩٤) ط الرسالة، وقال المحقق: حديث صحيح وهذا إسناد ضعيف.

وإنما هو تأكيد لأمره، وتحذير من التهاون به بعد إيجابه.

قوله: «**ويظهر فيهم السمن**» أي يحبون التوسع في المآكل والمشارب، وهي أسباب السمن، وفي الحديث: «**يكون قوم في آخر الزمان يتسمنون**» أي يتكثرون بما ليس فيهم ويدعون ما ليس لهم من الشرف، وقيل جمعهم الأموال، انتهى.

قوله: «**تسبق شهادة أحدهم يمينه ... الخ**» إشارة إلى التسارع في الشهادة واليمين وهذا من أعلام نبوته فإنه قد وجد ذلك كما أخبر ﷺ.
قوله: «**كانوا**» الظاهر أن مراده أصحاب عبدالله بن مسعود كما هي عادة إبراهيم في النقل عنهم، وإنما فعلوا ذلك لئلا يعتادوا إلزام أنفسهم بالعهد لما يلزم الحالف من الوفاء أو الكفارة، وربما أثم بترك ذلك، وكذلك الشهادة فإنه إذا اعتادها حال صغره سهلت عليه، فربما أداه ذلك إلى التساهل حال كبره.

* * *

فيه مسائل

الأولى: الوصية بحفظ الأيمان.
الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة.
الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه.

الرابعـــة : التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي.

الخامسـة : ذم الذين يَحلفُونَ ولا يُستَحلفُونَ.

السادسـة : ثناؤه ﷺ علَى القرون الثلاثة أو الأربعة، وذِكرُ ما يحدثُ بعدهم.

السابعـة : ذم الذين يَشهدُونَ ولا يُستشهَدون.

الثامنـة : كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

(٦٢)

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ الآية [النحل : ٩١].

وعن بُريدة قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاهُ بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، فقال : «**اغزوا بسم الله، في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تَغدروا ولا تُمثِّلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوَّك من المشركين فادعُهُم إلى ثلاث خصال، (أو خلال)، فأيَّتُهُنَّ ما أجابوك**

أي : من الدليل على وجوب الوفاء بها وإتمامها إذا أعطيت أحدًا. والذمة العهد. قوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾، في «تفسير الجلالين» أي من البيع والأيمان وغيرهما، وقال البغوي رحمه الله : العهد ها هنا اليمين، وقال الثعلبي : العهد يمين وكفارته كفارة يمين. ومراد المصنف ما يكون بين الناس من الذمة أنه يجب الوفاء بذلك وهو فرد من أفراد معنى الآية، فهي دالة على وجوب الوفاء به، ولهذا قال : ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، ونكث العهد دليل على عدم تعظيم الله، فهو قادح في التوحيد.

فاقبل منهم وكفَّ عنهم، ثم ادعُهُم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم. ثم ادعُهُم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحوَّلوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكونُ لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يُجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمَّة الله

قوله: «**سرية**» هي الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها. قاله الحربي. قوله: «**ومن معه من المسلمين خيراً**» أي ووصاه بمن معه من المسلمين أن يفعل معهم خيرًا. قوله: «**اغزوا**» أي اشرعوا في فعل الغزو مستعينين بالله مجيبين له. قوله: «**قاتلوا من كفر بالله**» هذا العموم يشمل جميع أهل الكفر المحاربين وغيرهم، وخصص منه من له عهد والرهبان والنسوان ومن لم يبلغ الحلم، لأنه لا يكون منهم قتال غالبًا، فإن حصل قُتلوا.

قوله: «**لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا**» الغلول الأخذ من الغنيمة من غير قسمها، والغدر نقض العهد، والتمثيل التشويه بالقتيل كجدع أنفه وأذنه ونحو ذلك، ولا خلاف في تحريم الغلول والغدر وكراهة المثلة. قوله: «**ثم ادعهم إلى الإسلام**» كذا وقعت الرواية في جميع نسخ صحيح مسلم بزيادة ثم والصواب إسقاطها كما روى أبو داود وأبو عبيد في

وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تُخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تُخفروا ذمة الله وذمة نبيه، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تُنزلهم على حكم الله، فلا تُنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيبُ فيهم حكم الله أم لا»[1] رواه مسلم.

«كتاب الأموال»، لأن ذلك يوهم ابتداء بغير الثلاث الخصال، وقال المازري: ليست «ثم» زائدة بل دخلت لاستفتاح الكلام. قوله: «**ثم ادعهم إلى التحول إلى دار المهاجرين**» يعني المدينة وذلك مستحب إذا أسلموا، أو واجب في أول الأمر على كل من أسلم، أو على أهل مكة خاصة من أسلم منهم قبل الفتح، وأما بعد الفتح فقال ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية**»[2]. قوله: «**وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ... الخ**»، أي في استحقاق الفيء والغنيمة وغير ذلك، وإلا فهم كسائر أعراب المسلمين الساكنين في البادية من غير هجرة ولا غزو، فتجري عليهم أحكام الإسلام، ولا حق لهم في الغنيمة والفيء وإنما يكون لهم نصيب من الزكاة إن كانوا مستحقين. قال الشافعي رحمه الله: الصدقات للمساكين ونحوهم ممن لا حق له في الفيء والفيء

---

(١) رواه مسلم (١٧٣١)، وأحمد (٥/ ٣٥٢، ٣٥٨).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٢٢، ٥/ ١٨٧). قال الألباني: إسناده على شرط الشيخين، انظر: الإرواء (٥/ ١١) رقم (١١٨٧).

للأجناد، قال ولا يعطى أهل الفيء من الصدقات، ولا أهل الصدقات من الفيء. وقال مالك وأبو حنيفة: المالان سواء ويجوز صرف كل منهما إلى النوعين. قوله: «**فإن هم أبوا فاسألهم الجزية**» استدل به مالك والأوزاعي على جواز أخذ الجزية من كل كافر عربيًا كان أو عجميًا، كتابيًا كان أو مجوسيًا، ورجحه ابن القيم، وقال أبو حنيفة: تؤخذ من جميع الكفار إلا مشركي العرب ومجوسهم. وقال الشافعي: لا تقبل إلا من أهل الكتاب والمجوس عربًا كانوا أو عجمًا؛ ويحتج بمفهوم آية الجزية، وبحديث: «**سنوا بهم سنة أهل الكتاب**».

قوله: «**وإذا حاصرت أهل حصن ... الخ**» الذمة العهد، وأخفرت الرجل إذا نقضت عهده وخفرته أمنته وحميته، وهذا نهي تنزيه أي لا تجعل لهم ذمة الله فإنه قد ينقضها من لا يعرف حقها كبعض الأعراب وسواد الجيش ونحو ذلك؛ فكأنه يقول إن وقع نقض عهد من متعدّ أو جاهل كان نقض عهد الخلق أهون من نقض عهد الخالق تعالى. قوله: «**فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله**» فيه دليل على أنه ليس كل مجتهد مصيبًا بل المصيب واحد وهو الموافق لحكم الله في نفس الأمر، نقلت الكلام على هذا الحديث من خط الشارح، وذكر أنه نقله من القرطبي والنووي.

تنبيـــــه : إذا أسلم الإنسان دون أهل بلاده فإنه تجب عليه الهجرة إلى بلاد الإسلام إذا قدر على ذلك، ولم يقدر على إظهار دينه، قال الشيخ منصور بعد قول «المنتهى» «وتجب الهجرة . . . الخ». وعلم مما تقدم بقاء حكم الهجرة لحديث: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا**

تنقطع التوبة حتى **تطلع الشمس من مغربها**» رواه أبو داود[1]، وأما قوله: «**لا هجرة بعد الفتح**» أي من مكة ومثلها كل بلد فتح لأنها لم تبق بلد كفر.

* * *

فيه مسائل

الأولى: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين.

الثانية: الإرشاد إلى أقل الأمرين خطراً.

الثالثة: قوله: «**اغزوا بسم الله في سبيل الله**».

الرابعة: قوله: «**قاتلوا من كفر بالله**».

الخامسة: قوله: «**استعن بالله وقاتلهم**».

السادسة: الفرق بين حُكم الله وحُكم العلماء.

السابعة: في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا.

---

(١) رواه أبو داود (٢٤٧٩)، والدارمي (٢٥١٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٤٧٠ رقم ٢١٦٦).

(٦٤)

باب لا يُستشفع بالله على خلقه (*)

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، نُهكَت الأنفس ، وجاع العيال ، وهلكت الأموال ، فاستسق لنا ربَّك ، فإنا نستشفع بالله عليك ، وبك على الله ، فقال النبي ﷺ : «**سُبحَان الله ، سُبحَان الله !**» ، فما زال يسبِّح حتى عُرف ذلك في وُجوه أصحابه ، ثم قال : «**وَيْحك ! أتدري ما الله ؟ إنَّ شأن الله أعظمُ من ذلك ، إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه**» ، وذكر الحديث ، رواه أبو داود[1] .

(*) أي : إن ذلك حرام ، لأنه الكبير المتعال فكيف يشفع عند أحد من خلقه؟ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ، فإن الشافع إنما يشفع عند من هو أعلى منه فهذا من أعظم التنقص لرب العالمين ، فلذلك استعظمه رسول الله ﷺ .

وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة عن أبي وجرة يزيد بن عبيد السلمي قال : لما قفل رسول الله من غزوة تبوك أتاه وفد من بني فزارة فقالوا : يا رسول الله : ادع ربك أن يغيثنا واشفع لنا إلى ربك ويشفع ربك

(١) رواه أبو داود (٤٧٢٦) ، وابن خزيمة (١٤٧) ، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (١٠١٧) .

إليك؛ فقال رسول الله ﷺ: «**ويلك أنا اشفع إلى ربي فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه؟ لا إله إلا الله العلي العظيم وسع كرسيه السموات والأرض، فهي تئط من عظمته كما يئط الرحل الجديد**»، قال الشارح: أبو وجرة تابعي. انتهى فالحديث مرسل.

* * *

فيه مسائل

الأولى: إنكاره على من قال: «نَستَشفعُ بالله عليك».

الثانية: تَغيُّرهُ تغيراً عُرِف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله: «نستشفع بك على الله».

الرابعة: التنبيه على تفسير «سبحان الله».

الخامسة: أن المسلمين يسألونه الاستسقاء.

(٦٥)

باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حِمَى التوحيد، وسدِّه طُرق الشرك

عن عبدالله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدُنا، فقال: «**السيد الله تبارك وتعالى**»، قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً، فقال: «**قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يَستجْرِيَنَّكم الشيطانُ**» رواه أبو داود بسند جيد[١].

قوله: «**السيد الله**» قال الخطابي: يريد عليه السلام أن السؤدد حقيقة لله عز وجل، وأن الخلق كلهم عبيد له إلى أن قال: فعلمهم الثناء عليه السلام وأرشدهم إلى الأدب في ذلك؛ وقال عليه السلام: «**قولوا بقولكم**» يريد قولوا بقول أهل دينكم وملتكم، وادعوني نبيًا ورسولاً كما سماني الله في كتابه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، و ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾، ولا تسموني سيدًا كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم ولا تجعلوني مثلهم فإني لست كأحدهم إذ كانوا يسودونكم في أسباب الدنيا وأنا أسودكم بالنبوة والرسالة فسموني رسولاً ونبيًا. قوله: «**أو بعض قولكم**» فيه حذف واختصار ومعناه: دعوا

(١) رواه أبو داود (٤٨٠٦)، وأحمد (٤/ ٢٤، ٢٥)، قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع (٣٧٠٠).

وعن أنس رضي الله عنه : أن ناسًا قالوا : يا رسول الله ، يا خَيْرَنَا وابن خَيرِنَا وسيدنا وابن سيدنا ، فقال : **«يا أيها الناس قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أُحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل»** رواه النسائي بسند جيد(١) .

بعض قولكم واتركوه ، يريد بذلك الاقتصاد في المقال ، وقوله ﷺ : **«لا يستجرينكم الشيطان»** معناه : لا يتخذنكم جريًا ، والجريّ الوكيل ، ويقال الأجير ، انتهى كلام الخطابي . وقال شيخنا : الذي وقع في نسخ التوحيد الصحيحة بخط المصنف وغيره : **«ولا يسخرنكم الشيطان»** بالياء المثناة تحت والسين المهملة والخاء المعجمة بعدها راء ثم نون ، وعزا الحديث لأبي داود ، والذي وجدناه في نسخ أبي داود الصحيحة المعتمدة **«يستجرينكم»** بالتاء المثناة فوق بعد السين ثم جيم ؛ ثم مثناة تحتية بعد الراء ثم نون ؛ قال في «النهاية» : لا يستجرينكم الشيطان ، أي لا يستغلبنكم فيتخذكم جريًا أي رسولاً وكيلاً ، وذلك أنهم كانوا مدحوه فكره لهم المبالغة في المدح ، فنهاهم عنه يريد تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتكلفوه كأنكم وكلاء الشيطان ورسله تنطقون على لسانه . انتهى . وهذان الحديثان وما شابههما دليل على الأدب [مع الله] . وقوله :

---

(١) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٢٤٨ ، ٢٤٩) ، وأحمد (٣/ ١٥٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٩) ، وابن حبان في صحيحه (٨/ ٤٦) ، والترمذي (٣١٤٨) ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (٢٥١٦) .

«أنا سيد ولد آدم»[١] وشبهه دليل على الجواز[٢].

* * *

فيه مسائل

الأولى : تحذير الناس من الغلو.

الثانية : ما ينبغي أن يقول من قيل له : «أنت سيدنا».

الثالثة : قوله: «**لا يستجرينكم الشيطان**» مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة : قوله: «**ما أُحِبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي**».

---

(١) رواه مسلم (٢٢٧٨).

(٢) انظر : تعليق الشيخ سليمان بن حمدان على هذا الموضع في : «الدر النضيد على أبواب التوحيد» (ص/ ٤٢٨)، دار الصميعي.

(٦٦)

باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية

[الزمر: ٦٧].

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره وما عظم الله حق عظمته هؤلاء المشركون الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان، ثم روى بسنده عن ابن عباس قال: هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره، انتهى.

وأما قوله: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية [الزمر: ٦٧]، فقال النبي ﷺ: «**يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى**» الحديث ذكره المصنف، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: «**يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟**»[1] رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه [وابن جرير][2] وعبد بن حميد.

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية، ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها

---

(١) رواه البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

(٢) من النسخة [س].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : جاء حبرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء على إصبع ،

يقبل بها ويدبر يمجد الرب نفسه : «**أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الملك ، أنا العزيز ، أنا الكريم**» فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرّن به[1].
رواه أحمد وهذا لفظه والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي. علقهما الشارح.

وقال شيخنا : قال الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» : «باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين لورود خبر الصادق به» قال الله تعالى : ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص : ٧٥]، وقال : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة : ٦٤] وذكر الأحاديث الصحيحة في هذا الباب مثل قوله في حديث الشفاعة : «**يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده**»[2]، ومثل قوله في الحديث المتفق عليه : «**أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك الألواح بيده**»[3]، ومثل ما في صحيح مسلم : «**وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده**»، وقوله ﷺ : «**تكون**

---

(١) رواه أحمد (٥٤١٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٤٦)، وقال الألباني : إسناده صحيح على شرط مسلم.
(٢) رواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات (٦٨٤).
(٣) رواه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

والثرَى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: «**أنا الملك**»، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقًا لقول الحَبْر، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية، أخرجاه.

وفي رواية لمسلم: «**والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزُّهن فيقول: أنا الملك، أنا الله**».

وفي رواية للبخاري: «**يجعل السموات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع**» أخرجاه[1].

الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته»[2].

وقوله: «**وروي عن ابن عباس**» رواه معاذ بن هشام الدستوائي حدثنا أبي عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: إن السموات السبع والأرضون السبع وما فيهما في يد الله عز وجل إلا كخردلة في يد أحدكم. قال الشارح: وهذا الإسناد في نقدي صحيح، قال: وحديث زيد بن أسلم رواه أيضًا اصبغ بن الفرج بهذا الطريق واللفظ وهو مرسل، وعبدالرحمن بن زيد ضعيف.

قوله: «**وقال أبو ذر**» قال الشارح: يوهم أن ذلك عطف على قول

---

(١) رواه البخاري (٤٨١١، ٧٤١٤)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٢) رواه البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢).

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعًا: «**يَطوي الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهنَّ بيده اليُمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**»[1].

زيد قال رسول الله ﷺ وليس كذا فيما ظهر لي، فإن حديث أبي ذر هذا رواه يحيى بن سعيد العبشمي ثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر قلت: يا رسول الله أي آية أعظم؟ قال: «**آية الكرسي، ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة**». قال الذهبي: يحيى بن سعيد هو الأموي صدوق؛ وإلا فهو آخر لا أعرفه. وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات وابن مردويه عن أبي ذر قال: سُئل النبي ﷺ عن الكرسي فقال: «**يا أبا ذر ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة**»، وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وأبو الشيخ والبيهقي عن مجاهد قال: ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة وما موضع كرسيه من العرش إلا مثل حلقة في أرض فلاة[2]. وأخرج أثر ابن مسعود الثاني عبدالله بن أحمد في كتاب السنة وابن المنذر والطبراني

---

(١) رواه مسلم (٢٧٨٨).

(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٣)

وروي عن ابن عباس قال: ما السموات السبعُ والأرضون السبعُ في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم[1].

وقال ابن جرير: حدثني يونُس، أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أُلقيت في تُرس**». قال: وقال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد أُلقيت بين ظهري فلاة من الأرض**»[2].

وأبو الشيخ وأبو عمر الطلمنكي واللالكائي وابن عبدالبر والبيهقي وغيرهم، قاله الشارح.

قوله: «**والله فوق ذلك**» أي فوق جميع المخلوقات مستو على عرشه سبحانه وبحمده، فله العلو الكامل من جميع الوجوه، علو الذات وعلو القهر وعلو القدر؛ وهذا مذهب أهل السنة والجماعة الذي اجتمعوا عليه وبدّعوا وضللوا من خالفه من الجهمية النافية؛ وعليه يدل الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة، وذكر ابن القيم له مائة دليل من القرآن في «كافيته»، واستدل له بأحد وعشرين وجهًا، وذكر عليه إجماع المرسلين، وليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ولا جاء عن أحد من السلف المقتدى بهم

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٢٤/ ١٧)، وهو ضعيف. انظر: العلو للذهبي (ص/ ٩١).

(٢) راه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٧٩٤)، وأبو الشيخ في كتاب العظمة (٢٢٠، ٢٥٢)، وهو ضعيف.

وعن ابن مسعود قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم». أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبدالله. ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبدالله[1]. قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق.

حرف واحد يخالفه. قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ في ستة مواضع: [الأعراف: ٥٤؛ يونس: ٣؛ الرعد: ٢؛ الفرقان: ٥٩؛ السجدة: ٤؛ الحديد: ٤]، وقال: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، ونظائر هذا لا تحصى إلا بكلفة. وفي الأحاديث قصة المعراج ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه، وقوله في حديث الأوعال: «**والعرش فوق ذلك، والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه**»[2]، وحديث الجارية: «**أين الله؟**»، قالت: في السماء، وقال: «**من أنا؟**»،

---

(١) رواه الدارمي في الرد على الجهمية (٢٦)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٥٩٤).

(٢) روه أبو داود (٢٧٨٨)، والترمذي (٣٥٥٤)، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (١٩٣)، وهو ضعيف.

وعن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كلِّ سماءٍ إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكِثَفُ كلِّ سماءٍ مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحرٌ، بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيءٌ من أعمال بني آدم» أخرجه أبو داود وغيره[1].

قالت: أنت رسول الله، قال: «فأعتقها فإنها مؤمنة»[2]. وفي حديث قبض الأرواح: «حتى يعرج بها إلى السماء التي فيها الله»، إلى غير ذلك من الأحاديث التي بعضها يكفي من طلب الإنصاف وأراد الله به خيرًا.

قال ابن قتيبة: ما زالت الأمم عربها وعجمها في جاهليتها وإسلامها معترفة بأن الله في السماء. وروى عبدالله بن أحمد وغيره بأسانيد صحاح عن عبدالله بن المبارك أنه قيل له: بماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه؛ وروى ابن أبي حاتم في كتاب «الرد على الجهمية» عن سعيد بن عامر الضبعي إمام أهل البصرة علمًا ودينًا من شيوخ

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣١٧) وقال: هذا حديث حسن غريب. وابن ماجه (١٩٣)، أحمد (١/ ٢٠٦، ٢٠٧)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ص/ ١٠٤).

(٢) رواه مسلم (٥٣٧).

الإمام أحمد أنه ذكر عنده الجهمية فقال: هم أشر قولاً من اليهود والنصارى؛ وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان على أن الله على العرش، وقالوا: هم ليس عليه شيء، وقال محمد بن إسحاق إمام الأئمة: من لم يقل إن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، وجب أن يستتاب فإن تاب وإلا ضُرب عنقه ثم ألقي على مزبلة لئلا يتأذى بنتن ريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة. ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح.

وفي كتاب الفقه الأكبر المشهور المروي عن أبي مطيع الحكم بن عبدالله البلخي قال: سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض، قال: قد كفر لأن الله يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وعرشه فوق سماواته، فقلت: إنه يقول أقول على العرش استوى ولكن لا أدري العرش في السماء أو في الأرض، فقال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر، روى هذا أبو إسماعيل صاحب «الفاروق».

وقال الموفق بن قدامة: بلغني عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال من أنكر أن يكون الله عز وجل في السماء فقد كفر، وروى عبدالله بن أحمد عن عبدالله بن نافع قال: قال مالك بن أنس: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء. وروى أبو الشيخ الأصبهاني وأبو بكر البيهقي عن يحيى بن يحيى قال: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبدالله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرُّحَضَاء ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول،

والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا، فأمر به أن يُخرج.

وروى شيخ الإسلام أبو الحسن البكاري عن أبي شعيب وأبي ثور كلاهما عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله قال: القول في السنة التي أنا عليها وأدركت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء، وذكر سائر الاعتقاد، وروى الخلال في كتاب السنة حدثنا يونس بن موسى قال: أخبرنا عبدالله بن أحمد قال: قال لي أبي: ربنا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان.

وقال الإمام أبو محمد بن أبي زيد المغربي القيرواني شيخ المالكية في وقته في أول رسالته المشهورة في مذهب مالك: وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته وأنه في كل مكان بعلمه، قال الإمام أبو بكر محمد بن وهب المالكي شارح رسالة ابن أبي زيد لما ذكر قوله: وأنه تعالى فوق عرشه المجيد، معنى فوق وعلا واحد عند جميع العرب، ثم ساق الآيات والأحاديث إلى أن قال:

وقد تأتي لفظة «في» في لغة العرب بمعنى فوق كقوله: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥]، ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]. قال أهل التأويل: يريد فوقها وهو قول مالك مما فهمه عن التابعين مما فهموه عن الصحابة، مما فهموه عن النبي ﷺ أن الله في السماء يعني فوقها، فلذلك

قال الشيخ أبو محمد: إنه فوق عرشه، ثم بين أن علوه فوق عرشه إنما هو بذاته [بائن عن جميع خلقه بلا كيف وهو بكل مكان بعلمه لا بذاته](١) فلا تحويه الأماكن لأنه أعظم منها. انتهى كلام الشارح.

وذكرَ ابن أبي زيد في كتابه الفرد في السنة في تقرير العلو واستواء الرب على العرش بذاته وقرره أتم تقرير، وقال في «مختصر المدونة»: إنه تعالى فوق عرشه بذاته، فوق سماواته دون أرضه، وقال الحافظ الذهبي لما ذكر قول ابن أبي زيد: وإنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته. وقد تقدم مثل هذه العبارة عن [أبي حفص](٢) ابن أبي شيبة وعثمان بن سعيد الدارمي، وكذلك أطلقها يحيى بن عمار واعظ سجستان في رسالته، والحافظ أبو نصر السجزي في كتاب «الإبانة» فإنه قال:

وأئمتنا كالثوري ومالك والحمادين وابن عيينة وابن المبارك والفضيل وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته، وأن علمه بكل مكان، وكذلك أطلقها ابن عبدالبر، وكذا عبارة شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري فإنه قال في أخبار شتى: إن الله في السماء السابعة على العرش بنفسه، وكذا قال أبو الحسن الكرخي الشافعي في تلك القصيدة:

عقائدهم أن الإله بذاته
على عرشه مع علمه بالغوائل

(١) ساقط من المطبوع.
(٢) ليست في المطبوع.

وعلى هذه القصيدة مكتوب بخط العلامة تقي الدين بن الصلاح: وهذه عقيدة أهل السنة وأهل[1] الحديث، وكذا أطلق هذه اللفظة أحمد بن ثابت الطرقي الحافظ، والشيخ عبدالقادر الجيلي، والمفتي عبدالعزيز القحيطي وطائفة، والله تعالى خالق كل شيء بذاته، ومدبر الخلائق بذاته بلا معين ولا مؤازر، وإنما أراد ابن أبي زيد وغيره التفرقة بين كونه معنا وبين كونه فوق العرش، فهو معنا بالعلم، وهو على العرش كما علمنا حيث يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقد لفظ بالكلمة المذكورة جماعة من العلماء كما قدمنا، وبلا ريب أن فضول الكلام تركه من حسن الإسلام.

وكان ابن أبي زيد من العلماء العاملين بالمغرب، وكان يلقب بمالك الصغير، وكان غاية في معرفة الأصول، وقد نقموا عليه في قوله: «بذاته» فليته تركها. انتهى كلام الذهبي. توفي ابن أبي زيد سنة ست وثمانين وثلاثمائة وقيل سنة تسع وثمانين وثلاثمائة رحمه الله [تعالى]، ومن كلام [الإمام] أبي حنيفة إلى هنا نقلته من رسالة الشيخ أحمد بن ناصر المعمري رحمه الله وعفا عنه.

فأما تأويل الاستواء بالإستيلاء، ونحو ذلك فمن أبطل الباطل، وأظهر التحريف للكلم عن مواضعه. قال شيخ الإسلام: وبطلان تأويل استوى بمعنى استولى من وجوه:

(١) في النسخة (أ) أصحاب.

أحدها: أن هذا التفسير لم يفسره أحد من السلف من سائر المسلمين من الصحابة والتابعين، بل أول من قال ذلك بعض الجهمية، والمعتزلة.

الثاني: أن معنى هذه الكلمة مشهور، ولهذا قال مالك لمن سأله وكذلك ربيعة بن عبدالرحمن: الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ولم يرد أن الاستواء معلوم في اللغة دون الآية لأنه سُئل عن الاستواء في الآية لا كيف استوى الناس.

الثالث: أنه إذا كان معلومًا في اللغة التي نزل بها القرآن كان معلومًا في القرآن.

الرابع: أنه لو لم يكن معنى الاستواء في الآية معلومًا لم يحتج أن يقول: الكيف مجهول، لأن نفي العلم بالكيف لا ينفي إلا ما قد علم أصله كما نقول: إنا نقرّ بالله ونؤمن به ولا نعلم كيف هو.

الخامس: أنه لو كان استوى بمعنى استولى الذي هو عام في جميع الموجودات لجاز أن يقال: استوى على الماء والهواء و [والبحار] الأرض إذ هو مستول على الأشياء كلها، فلما اتفق المسلمون أنه مستوٍ على العرش ولا يُقال اَستوى على هذه الأشياء مع أنه يقال استولى على العرش والأشياء كلها عُلم أن معنى الاستواء خاص بالعرش ليس عامًا.

السادس: أنه أخبر بخلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، وأخبر أن عرشه كان على الماء قبل خلقهما، وثبت ذلك في البخاري من حديث عمران بن حصين، فلما ثبت خلق العرش

قبل [خلق][(١)] السماوات وأن الاستواء متأخر عن خلقهن، والله مستولٍ على العرش قبل خلق السماوات وبعده عُلم أن الاستواء على العرش الخاص به غير الإستيلاء العام عليه وعلى غيره [ذكرت هذا الوجه بمعناه][(٢)].

السابع: أنه لم يثبت أن لفظ استوى في اللغة بمعنى استولى إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور:

ثم استوى بشر على العراق

من غير سيف ودم مهراق

ولم يثبت نقل صحيح أنه عربي ولا غيره - وغير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا [إنه] بيت مصنوع لا يعرف في اللغة، وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده - وقد طعن فيه أئمة اللغة؟

وذكر أبو الحسن في كتاب «الإفصاح» قال: سُئل الخليل هل وجدت في اللغة: استوى بمعنى استولى؟ فقال: هذا ما لا تعرفه العرب، ولا هو جائز في لغاتها، وهو إمام في اللغة على ما عُرف من حاله.

فحينئذ حمله على ما لا يعرف حمل باطل.

---

(١) من النسخة [س].

(٢) ساقطة من المطبوع.

الثامن: أنه روي عن جماعة من أهل اللغة أنه لا يجوز استوى بمعنى استولى إلا فيمن كان منازعًا مغالبًا، فإذا غلب أحدهما صاحبه قيل استوى، والله لم ينازعه أحد.

التاسع: أنه لو ثبت أنه في لغة العرب لم يجب أن [يكون] من لغة العرب العربي، ولو من لغة العرب العربي لم يجب أن يكون من لغة رسول الله ﷺ. ولو كان من لغته لكان بالمعنى المعروف في الكتاب والسنة هو الذي يراد به.

العاشر: أن معنى الاستواء كان معلومًا [علمًا] ظاهرًا بين الصحابة والتابعين وتابعيهم فيكون التفسير المحدث بعدهم باطلاً قطعًا. وهذا قول يزيد بن هارون الواسطي قال: من قال إن الرحمن على العرش استوى: خلاف ما تقرر في النفوس فهو جهمي، وقول مالك الاستواء معلوم، ليس المراد أن هذا اللفظ في القرآن معلوم كما قال [بعض الناس] استولى، وإنه يسأل عن الكيفية، ومالك جعله معلومًا، والسؤال عن نزول لفظ الاستواء ليس بدعة ولا الكلام فيه؛ فقد تكلم فيه بعض الصحابة والتابعين، وإنما البدعة السؤال عن الكيفية، ومنشأ هذه الضلالات من سوء التخيلات.

انتهى كلام الشيخ ملخصًا.

وقد رد هذا التأويل أيضًا عن عشرين وجهًا وأبطله ابن القيم رحمه الله [وعفى عنه] من أربعين طريقة في كتاب «الصواعق» وكذا غيره من أهل العلم، فرحمهم الله وعفا عنهم، وألحقنا بآثارهم، إنه على كل شيء قدير.

تمت الحاشية بحمد الله تعالى وتوفيقه ضحوة الأربعاء لعله رابع عشر من رجب أحد شهور سنة ١٢٧٣ بقلم الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن عبدالله بن قريش غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين.

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير قوله ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧].

الثانية : أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها.

الثالثة : أن الحَبْرَ لما ذكر ذلك للنبي ﷺ صدَّقهُ، ونزل القرآن بتقرير ذلك.

الرابعة : وقوع الضحك من رسول الله ﷺ لما ذكر الحَبْرُ هذا العلم العظيم.

الخامسة : التصريح بذكر اليدين، وأن السماوات في اليد اليمنى، والأرضين في الأخرى.

السادسة : التصريح بتسميتها الشمال.

السابعة : ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

الثامنة : قوله «**كخردلة في كف أحدكم**».

التاسعة : عظم الكرسي بالنسبة إلى السماء.

العاشرة : عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي.

الحادية عشرة : أن العرش غير الكرسي والماء.

الثانية عشرة : كم بين كل سماء إلى سماء.

الثالثة عشرة : كم بين السماء السابعة والكرسي.

الرابعة عشرة : كم بين الكرسي والماء.

الخامسة عشرة : أن العرش فوق الماء.

السادسة عشرة : أن الله فوق العرش.

السابعة عشرة : كم بين السماء والأرض.

الثامنة عشرة : كِثَفُ كل سماء خمسمائة سنة.

التاسعة عشرة : أَن البحر الذي فوق السماوات بين أسفله وأعلاه خمسمائة سنة، والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

الفهارس

(١) فهرس الآيات القرآنية

(٢) فهرس الأحاديث النبوية والآثار .

(٣) فهرس الأشعار .

(٤) فهرس الفوائد .

(٥) فهرس أهم المراجع .

(٦) فهرس المحتويات .



أولاً - فهرس الآيات القرآنية :

الآيـــة / الآيـــات	رقمها	السورة	الصفحة
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ	١٧٢	الأعـراف	٢٢
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا	١٨٠	الأعـراف	٢٥٠، ٢٥٢
قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا	١٨٨	الأعـراف	٩١، ١١٤
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ	١٨٩	الأعـراف	٢٤٧، ٢٤٨
فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ	١٩٠	الأعـراف	٢٤٧، ٢٤٨
أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ	١٩١-١٩٢	الأعـراف	٨٩
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ	٢	الأنفـال	١٩٠
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ	٦٤	الأنفـال	١٩٠، ١٩١
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ	١٨	التـوبة	٤١، ١٨٥
اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا	٣١	التـوبة	٤٨، ٢١٠
قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ	٢٤	التـوبة	١٨٠
وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ	٥٨	التـوبة	٢٠٦
وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ	٦٥	التـوبة	٢٣٨
لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ	٦٦	التـوبة	٢٣٩، ٢٤٠
لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ	١٠٨	التـوبة	٧٣، ٧٦

الآيــــة / الآيــــات	رقمها	السورة	الصفحة
مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ	١١٣	التــوبة	١٠٩، ١١٠
لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ	١٢٨	التــوبة	١٢٩
قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ	٣١	يــونــس	٦
قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ	٨١-٨٢	يــونــس	١٦١
وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ	١٠٦-١٠٧	يــونــس	٨٤، ٨٥، ٨٧
مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا	١٥-١٦	هــــود	٢٠٣
فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ	١٠٧	هــــود	٢٥٠
فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ	١١٢	هــــود	١١٢
وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ	٨٧	يــوسـف	١٩٤
وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ	١٠٦	يــوسـف	٥٤
قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ	١٠٨	يــوسـف	٣٩
وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي	٣٠	الرعــــد	٢١٧، ٢١٨، ٢١٩

الآيـــة / الآيـــات	رقمها	السورة	الصفحة
وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ	٢٧	إبـراهـيـم	٢٥٠
وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ	٣٥	إبـراهـيـم	٣٦
رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ	٣٦	إبـراهـيـم	٣٦، ٣٨
وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ	١٧-١٨	الحـجـر	٩٦
وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ	٥٦	الحـجـر	١٩٣
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً	٣٦	الـنـحـل	٩
ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ	٥٣	الـنـحـل	٥٢
يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا	٨٣	الـنـحـل	٢٢٠
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلَّهِ	١٢٠	الـنـحـل	٢٨
لاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ	٢٢	الإســـراء	١٦
وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ	٢٣	الإســـراء	١٠
وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَىٰ	٣٩	الإســـراء	١٦
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ	٥٧	الإســـراء	٤٧
قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً	٢١	الـكـهـف	١٣٤

الآيـــة / الآيـــات	رقمها	السورة	الصفحة
أمَّن يُجيبُ الْمُضْطَرَّ إذا دَعَاهُ	٦٢، ٨٦، ٨٧	النمل	٨٦، ٨٧
صُنْعَ اللَّهِ الَّذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ	٨٨	النمل	٢٥٠
إِنَّكَ لا تَهْدي مَنْ أَحْبَبْتَ	٥٦	القصص	١٠٨، ١١٠
قَالَ إِنَّمَا أُوتيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندي	٧٨	القصص	٢٤٢، ٢٤٦
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ	١٠	العنكبوت	١٨٥
فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ	١٧	العنكبوت	٨٥
إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ	١٣	لقمان	٨٥
أَنِ اشْكُرْ لي وَلِوَالِدَيْكَ	١٤	لقمان	١٠
إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ	٥٧	الأحزاب	٢٣٢
قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ	٢٢-٢٣	سبأ	١٠٢، ١٠٣
حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ	٢٣	سبأ	٩٥، ٩٦، ٩٩
إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ	١٠	فاطر	٣١٠

الآيــة / الآيــات	رقمها	السورة	الصفحة
ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ	٦٠	غــافــر	٨٤
وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ	٥٠	فــصلت	٢٤٢، ٢٤٦
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ	٢٦-٢٧	الزخــرف	٤٧، ٥٠
وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ	٢٨	الزخــرف	٥٠
الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ	٦٧	الزخــرف	١٨٣
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ	٨٧	الزخــرف	٢١٧
وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا	٢٤	الجــاثيــة	٢٣١، ٢٣٢
وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ	٥-٦	الأحـقـاف	٨٦
فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ	٢٢-٢٣	مـحـمـد	١٧٣، ١٧٤
الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ	٦	الفــتـح	٢٧٢
وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً	٩	الفــتـح	١١٤

ثانيًا - فهرس الأحاديث النبوية والآثار :

ثالثًا - فهرس الأشعار :

رابعًا - فهرس الفوائد :

خامساً - فهرس أهم المراجع :

- إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد للشيخ حمد بن عتيق، تقديم ومراجعة الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق، دار الهداية.
- أحكام الجنائز، للألباني، مكتبة المعارف.
- إرواء الغليل للألباني، المكتب الإسلامي.
- تفسير ابن جرير الطبري، تحقيق الدكتور عبدالله التركي، ط. دار هجر.
- تفسير ابن كثير، تحقيق سامي السلامة، دار طيبة.
- تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبدالله، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.
- جامع العلوم والحكم، تحقيق إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة.
- الجامع المفهرس لأطراف الأحاديث النبوية التي خرجها الألباني، سليم الهلالي، دار ابن الجوزي.
- الجامع للمتون العلمية، عبدالله بن محمد الشمراني، دار الوطن.
- الحجة على تارك المحجة، لابن نصر، الجامعة السلفية بالهند.
- جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد، لمحمد بن سليمان المغربي، تحقيق سليمان بن دريع، دار ابن حزم.
- الدر النضيد على أبواب التوحيد للشيخ سليمان بن حمدان، اعتنى به عبدالإله بن عثمان الشايع، دار الصميعي.
- الدر النضيد في تخريج أحاديث كتاب التوحيد، صالح العصيمي، دار ابن خزيمة.
- رياض الصالحين، للنووي، تحقيق زهير الشاويش، تخريج الشيخ الألباني، ط. المكتب الإسلامي.
- زوائد السنن على الصحيحين، صالح الشامي، دار القلم.
- السلسلة الصحيحية، للألباني، مكتبة المعارف.
- السلسلة الضعيفة، للألباني، مكتبة المعارف.
- السنة لابن أبي عاصم، تحقيق باسم الجوابرة، دار الصميعي.

- سنن أبي داود.
- سنن أبي داود الطيالسي، تحقيق الدكتور محمد التركي، دار هجر.
- سنن ابن ماجه.
- سنن الترمذي.
- سنن النسائي.
- شرح السنة، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤط، المكتب الإسلامي.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة.
- صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي.
- صحيح البخاري.
- صحيح الترغيب والترهيب للألباني، مكتبة المعارف.
- صحيح الجامع للألباني، المكتب الإسلامي.
- الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل الوادعي، دار ابن حزم.
- صحيح سنن أبي داود للألباني.
- صحيح سنن ابن ماجه للألباني.
- صحيح سنن الترمذي للألباني.
- صحيح سنن النسائي للألباني.
- صحيح مسلم.
- ضعيف الترغيب والترهيب للألباني، مكتبة المعارف.
- ضعيف الجامع للألباني، المكتب الإسلامي.
- علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالله البسام، دار العاصمة.
- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، للألباني، المكتب الإسلامي.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ط. دار السلام.
- فتح المجيد على كتاب التوحيد، للشيخ عبدالرحمن بن حسن، تحقيق الوليد الفريان، دار الصميعي.

- قرة عيون الموحدين، للشيخ عبدالرحمن بن حسن، تحقيق إسماعيل الأنصاري، دار الإفتاء.
- الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية، لابن القيم، تحقيق عبدالله العمير، دار ابن خزيمة.
- كتاب التوحيد، لابن خزيمة، تحقيق الدكتور عبدالعزيز الشهوان، مكتبة الرشد.
- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، للإمام محمد بن عبدالوهاب، ط جامعة الإمام محمد بن سعود.
- كنز العمال، بيت الأفكار الدولي.
- مجموع فتاوى ابن تيمية
- مستدرك الحاكم، ط. دار المعرفة.
- مسند الإمام أحمد، ط. مؤسسة الرسالة.
- المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق طارق عوض الله، دار الحرمين.
- المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق حمدي السلفي.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي.
- المعجم المفهرس لكلمات القرآن الكريم، الشيخ عبدالوحيد نور أحمد، دار السلام.
- المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، للنووي، ط. بيت الأفكار.
- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية.
- موسوعة الحافظ ابن حجر العسقلاني الحديثية، جمع وإعداد وليد الزبيري وإياد القيسي وجماعة، مجلة الحكمة.

وغيرها من المراجع.

صدر للمحقق

(١) آراء ابن قدامة حول الإعاقة، دار الصميعي.

(٢) آراء ابن تيمة حول الإعاقة، دار الصميعي.

(٣) آراء ابن القيم حول الإعاقة، دار الصميعي.

(٤) اللؤلؤ الثمين من فتاوى المعوقين، مجلدان، دار الصميعي.

(٥) عناية العلماء بكتاب التوحيد، دار طيبة.

(٦) فتاوى عن الكتب، دار الصميعي.

(٧) الدر النضيد على أبواب التوحيد للشيخ سليمان بن حمدان (تحقيق)، دار الصميعي.

(٨) مختصر كتاب نكت الهميان في نكت العميان للصفدي، دار الصميعي.

(٩) ملخص منهاج السنة للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (تحقيق)، مكتبة الرشد.

(١٠) كشف النقاب عن مؤلفات الأصحاب للشيخ سليمان بن حمدان (تحقيق) تحت الطبع.

(١١) كتب أثنى عليها العلماء - المجموعة الأولى - قسم العقيدة (تحت الطبع).

(١٢) الكتب التي تكلم عنها ابن القيم - رحمه الله - (تحت الإعداد).

(١٣) إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد للشيخ حمد بن عتيق (تحقيق)، دار أطلس الخضراء.